الجامعة الأردنيــــــة
<u>كلية الدراسات العليا</u>

التاريـــخ: / /

نموذج رقم (١٦)
اقرار والتزام بالمعايير الأخلاقية والأمانة العلمية وقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الدكتوراة

أنا الطالب: محمد فاروق صبحي أبو حلاوة الرقم الجامعي: (٩٠٤٠٢٥٢)
تخصص: لغة عربية الكليـــــة: الآداب

عنوان الاطروحة: آيات التوحيد في القرآن الكريم: دراسة لغوية بيانية

اعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد اطروحات الدكتوراه عندما قمت شخصيا" باعداد اطروحتي وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية وكافة المعايير الأخلاقية المتعارف عليها في كتابة الأطروحات العلمية. كما أنني أعلن بأن اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: .... التاريخ: ٢٦ / ٥ / ٢٠١١

الجامعة الأردنية

التفويض

أنا الطالب : محمد فاروق صبحي أبو حلاوة ، أفوّض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ٢٦ / ٥ / ٢٠١١

آيات التّوحيد في القرآن الكريم : دراسة لغويّة بيانيّة

إعداد
محمد فاروق صبحي أبو حلاوة

المشرف
الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة

قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

اللغة العربية

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

أيار، 2011

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة: (آيات التَّوحيد في القرآن الكريم : دراسةٌ لغويّةٌ بيانيّةٌ) ،

وأجيزت بتاريخ ١٢ / ٥ /٢٠١١

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة، مشرفاً أستاذ – اللسانيات و فقه اللغة العربية	....
الدكتور محمد حسن عوّاد، عضواً أستاذ – النحو والصرف	....
الدكتور محمود جفال الحديد، عضواً أستاذ مشارك – فقه اللغة العربية	....
الدكتور عودة أبو عودة، عضواً أستاذ – النحو والصرف (الجامعة الإسلامية العالمية)	....

الإهداء

إلى من زرع في نفسي حبّ العلم، وعرّفني قيمته ..... أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

إلى صاحبة الفضل بعد الله فيما وصلت إليه ... إلى التي ما انفكّت تدعو، لترى ابنها متسلحاً بأعلى درجة علمية... والدتي أطال الله عمرها

إلى وطن لطالما دعوت الله أن يعيده إلى الإسلام والمسلمين ، وأن يرزقني صلاة في مسجده الأقصى ... فلسطين حرّرها الله

إلى التي عاشت معي جميع لحظات إعداد الرسالة، فكانت السند والمعين والمشجّع في فترات فتُرت فيها الهمم... زوجتي رابعة (أم عامر)... حباً ووفاءً

إلى من أرى فيه نفسي ... ابني عامر... قرّة العين ومهجة الروح

إلى كل من دعا لي بالنجاح أخواني ... أخواتي... أصدقائي ... تقديراً واحتراماً

إليكم جميعاً أهدي بحثي هذا

محمد

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً على تفضّله وإنعامه علي، والذي قدرني وأعانني على تكملة هذا المشـــوار العلمي، فله الحمد في الأولى والآخرة. ومن ثمّ أتوجّه بالشكر والتقدير إلى شيخي الأستاذ الـــدكتور إسماعيل عمايرة الذي رعى الرسالة طيلة مدّةإعدادها، فأغناها بالملاحظات القيّمة والآراء الســـديدة التي كان لها الأثر الواضح في نضوجها ووصولها إلى هذه الصورة، فجزاه الله عني وعن العلم خـــير الجزاء وأطال الله في عمرك يا أستاذي.

كما أتقدّم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تحمّلوا عناء قـــراءة الرســـالة، وإبـــداء الملاحظات القيّمة، فجزاهم الله خيراً.

والشكر موصول إلى كل من ساعد في إعداد هذه الرسالة، سواء أكان بقراءة فصول منها وتقديم الملاحظات عليها، وأخص بالذكر عمي الدكتور صلاح الخالدي؛ أم بتوفير ما احتجته مـــن مصادر ومراجع وأخص أخي الشيخ مهران أبو حلاوة، والدكتور مروان العمايرة، والأستاذ أحمـــد الصري.

كما أشكر من تحمّل عناء طباعة هذه الرسالة لإخراجها على هذه الصورة، زوجتي المهندسة رابعة الخالدي (أم عامر).

محمد

فهرس المحتويات

قائمة الجداول

آيات التوحيد في القرآن الكريم
دراسة لغويّة بيانيّة

إعداد

محمد فاروق صبحي أبو حلاوة

المشرف

الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة

مُلخّص

تتناول هذه الدراسة الأساليب التعبيرية في آيات التوحيد، وذلك باستقرائها من القرآن الكريم وتحليلها والوقوف على خصائصها، وبيان أكثرها شيوعاً، إضافة إلى بعض المواضيع الصرفية ذات الدلالة التوحيدية كالمصادر والمشتقات، وصيغ الأفعال، وبعض المواضيع النحويّة البارزة كالأفعال المتعدية لمفعولين، والتمييز، وإعراب بعض الآيات التوحيدية، والوقوف على الاختلاف في إعرابها. كما تناولت هذه الدراسة دلالة بعض الألفاظ التوحيدية مُبرزةً أهميّتها في تقوية الدلالة التوحيدية في سياق آيات الدراسة. وفيها عَرضٌ للأثر النفسي الذي تركه الخطاب التوحيدي على نفسيّة المُخاطَب. وقد خُتمت الدراسة بفصل بيانيّ بلاغيّ جاء فيه أهم الفنون البلاغية في آيات التوحيد، وبعض مظاهر الإعجاز اللغويّ والبيانيّ في آيات الدراسة.

وقد خَلصت الدراسة إلى عدّة نتائج تمثّلت في تنوّع الأسلوب التعبيري في عرض الخطاب التوحيدي، ولكنّ أسلوب الاستفهام كان من بينها الأكثر انتشاراً والأنسب للسياق القرآني ؛ وذلك لإشراك المُخاطَب في هذا الخطاب. وقد اسهمت بعض الألفاظ في تقوية الخطاب التوحيدي، إمّا عن طريق توكيد الأسلوب التعبيري بإحدى صور التوكيد الإعرابية كالنعت، والبدل، والعطف، ...، وإمّا باستخدام بعض الألفاظ التوحيدية، نحو (رَبّ) مكان (إله) وبالعكس.

بالإضافة إلى أنّ الخطاب التوحيدي استخدم مُعظم الأساليب التعبيرية للتأثير في نفسيّة المُخاطَب، فنتج عن هذا الخطاب عدة معانٍ نفسية، كان أهمّها الخوف والرهبة للمُخاطَب غير

المؤمن بالله، والراحة والطمأنينة للمُخاطَب المؤمن الموحّد. وذهبت الدراسة إلى أن أسـماء الله وصفاته جميعها على الحقيقة لا مجاز فيها.وأنّ الفنون البلاغية قليلة مع أن آيات الدراسة كثيرة. وأنّ الإعجاز اللغوي جاء في مستويات اللغة جميعها؛ ففي آية كان نحوياً، وفي آية أخرى كـان صرفياً، وفي ثالثة دلالياً معجمياً، وكل ذلك كان دقيقاً في موضعه، لا يُمكـن أن يكـون علـى صورة أخرى.

المقدّمة

جاءت هذه الدراسة بعنوان (آيات التوحيد في القرآن الكريم: دراسة لغويّة بيانيّة)، وقد قُسّمت إلى مقدّمة وخمسة فصول، وخاتمة، كان الفصل الأول تمهيداً للموضوع عُرض فيه لمفهوم التوحيد وأقسامه، والآيات المُختارة للدراسة.

أمّا الفصل الثاني فجاء بعنوان (الأساليب التعبيرية في آيات التوحيد)، إذ عُرضت الأساليب التعبيرية في الآيات المُختارة وهي: القصر، والاستفهام، والأمر، والنداء، والقسم، والشرط، والتوكيد، والنفي، ثمّ حُلّلت هذه الأساليب إلى مكوناتها اللغويّة، ووُقِف على خصائصها وبُيّن أكثرها شيوعاً، وقد طُبّق ذلك على آيات الدراسة.

أمّا الفصل الثالث فكان بعنوان: (المستويان: الصرفي والنحوي)، عُرض في المبحث الأول قضايا صرفية ذات دلالة توحيدية في سياق الآية: كالمصادر، والمشتقات وصيغ الأفعال، إضافةً إلى استخدام صيغة صرفية مكان أخرى، وهو ما أطلقنا عليه بالعدول الصرفي. وجاء في المبحث الثاني من هذا الفصل مواضيع نحوية بارزة في آيات التوحيد، وهي:الأفعال المتعدية لمفعولين، والتمييز ،وإعراب بعض الآيات المُختلف فيها.

أمّا الفصل الرابع فجاء بعنوان (التوحيد على المستوى الدلالي والنفسي)، وقد قُسّم إلى مبحثين؛ الأول منهما بعنوان: الأداء والمعنى في آيات التوحيد. تناول هذا المبحث مجموعةً من المطالب، ففي المطلب الأول عَرْضٌ لمبحث أسلوبي دلالي وهو الإضافة، إذ بُحث نوعا الإضافة، ورجّح أنّ هناك إضافات لفظية في ظاهرها،إلا أنها عُدّت معنوية لفقدانها شرطاً من شروط اللفظية، وعُرض لتقدير حرف الجر بين المُضاف والمُضاف إليه، وأن هذا التقدير يصعب في بعض الإضافات، وفي بعضها الآخرالتقدير غير ما قاله اللغويون والمفسرون. وفي المطلب الثاني عَرْضٌ للفرق الدلالي بين المصدر المؤول والمصدر الصريح، وذلك للوصول إلى إجابة عن السؤال الآتي: لمَ عبّر في سياق الآيات المُختارة بالمصدر المؤوّل ولم يُعبّر بالمصدر الصريح؟ وما دلالة هذا الاختيار في السياق؟ وفي المطلب الثالث جاء الحديث عن دلالة بعض المُفردات، نحو (رب، إله)، و(واحد، أحد)، و(رحمن، رحيم)، وقد استعنّا بالمعاجم والتفاسير وتفسير أسماء الله لترجيح دلالة لفظ على آخر. أمّا المبحث الثاني من هذا الفصل فجاء بعنوان: الأثر النفسي لآيات التوحيد، إذ كُشف عن أثر الخطاب التوحيدي على المُخاطَب، وذلك باستخلاص المعاني النفسية المُستفادة من هذا الخطاب، ولا سيما من الإشارات الإيحائية للألفاظ والتراكيب في السياق، حيث دلّت الدراسة على اختلاف هذه المعاني باختلاف المُخاطَب؛ لأنّ

المُخاطَب إمّا أن يكون موحِداً أو غير موحد. وأشهر المعاني هي: الخوف والرهبة، الارتياح والطمأنينة، والتعظيم، ... .

أمّا الفصل الأخير فجاء بعنوان (التوحيد على المستوى البلاغي)، وقد جاء في ثلاثة مباحث، تناوَل المبحث الأول الحقيقة والمجاز في آيات الأسماء والصفات؛ وقد ذهبت الدراسة إلى أنّ لا مجاز في أسماء الله وصفاته، وأنّ الآيات أرادت التعبير عن معنى، هو الخُلاصة المُرادة، وهو ما أطلقنا عليه الكناية وفق مفهوم الزمخشري لها، بمعنى أن نأخذ المعنى المُراد دون النظر إلى حقيقة اللفظ ومجازه .

أمّا المبحث الثاني من هذا الفصل فتناوَل فنوناً بلاغية في آيات التوحيد؛ حيث قُسّمت هذه الفنون وفق علوم البلاغة الثلاثة –المعاني والبيان والبديع–، ثمّ كان البحث للفنون البلاغية الخاصة بكل علم من هذه العلوم، وأشهر هذه الفنون: الإيجاز، والتشبيه، والطِباق، والمُقابلة، والجِناس،... ، وهذه الفنون قليلة مع أن الآيات كثيرة.

وفي المبحث الأخير من هذا الفصل، الذي جاء بعنوان: من مظاهر الإعجاز اللغوي في آيات التوحيد،عَرْضٌ لأسئلةٍ يقف الدارسُ أمامها حائراً،نحو: لمَ عُبِّر بـ(رب) ولم يُعبّر بـ(إله) والعكس؟ ولمَ جاء في آية بهذا الأسلوب أو التركيب ولم يأتِ بغيره؟...،لهذا كان هدف هذا المبحث الإجابة عن السؤال (لمَ) مع اختلاف المراد منه بين آيةٍ وأخرى. والإجابة عن هذا السؤال يُدرج تحتها إعجاز لغوي بكل مستوياته(الصرفية والنحوية والدلالية)، كما طُرحت عدة أسئلة عن آياتٍ الاختلاف بينها وبين غيرها، إمّا بإضافة كلمة أو حذفها، وإما بالانتقال من صيغة صرفية إلى غيرها وقد أجيب عنها. أمّا الخاتمة ففيها عرض للنتائج والتوصيات التي توصّل إليها الباحث.

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر علمائنا الأجلاء ومراجعهم ، فمنها ما هو تفسيري مثل: الكشاف للزمخشري، وتفسيرالبحر المحيط لأبي حيان، والتحرير والتنوير لابن عاشور، ومنها ما هو خاصٌ بعلوم القرآن، نحو: البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، والتعبير القرآني للسامرائي، ومنها ما هو خاصٌ بعلوم اللغة: كالكتاب لسيبويه، وشرح الكافية للأستراباذي، والمفصّل لابن يعيش، ...، وغيرها من المصادر والمراجع التي اثبتت في نهاية البحث .

ولم يغفل الباحث عن بعض الدراسات التي تناولت الموضوع ،وإن كان تناولها ضمن دراسات عامة ،وليس دراسة لغوية بيانية متخصصة .

الدراسات السابقة

الدراسات التي تناولت آيات التوحيد هي الدراسات القرآنية العامة ؛ ككتب التفاسير، وكتب إعراب القرآن الكريم ، وكتب الإعجاز القرآني ، من غير الوقوف على الخصائص اللغوية ، والأساليب التعبيرية ومظاهر الإعجاز اللغوي التي تفرّدت بها.

وكتب التفسير تعطي المعنى لبعض الألفاظ ، وتشير الى إعراب بعض التراكيب ، واشتقاق اللفظة ، والقراءات القرآنية .وهذا ما نجده لدى الزمخشري في الكشاف ، وأبي حيان في تفسير البحر المحيط ، وابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

أما كتب علوم القرآن فهي تتناول أمثلة على عناوين بلاغية ، فقد ورد في (البرهان في علوم القرآن) للزّركشي تحت عنوان : القول في التقديم والتأخير إنّ سبب تقديم (إيّاه) على (تعبدون) في قوله تعالى :(واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) لمشاكلة رؤوس الآي، وفي قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) قدم (إياك) على (نعبد) للاختصاص ؛ أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك. وكذلك في قوله (إن كنتم إياه تعبدون)؛ أي إن كنتم تخصّونه بالعبادة.

ومن الدراسات السابقة الحديثة : التعبير القرآني لفاضل صالح السّامرائي ، إذ تحدث عن التقديم والتأخير فقال : ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، مثل قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم) فقد قدم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل (إيّانا اهدِ) ، وسبب ذلك أن العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى ، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. وهذا نظير قوله تعالى (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقوله(واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون) فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى .

ومن الدراسات الحديثة أيضاً :

- " **أثر التوحيد والتنزيه في توجيه إعراب القرآن الكريم عند السنة والمعتزلة** " رسالة ماجستير للطالب خالد السعيد – الجامعة الأردنية – ١٩٨٤م .

وهي دراسة في نصوص من القرآن ، أثرت العقيدة في توجيه إعرابها عند كثير من العلماء ، وفيها يستعرض الباحث آراء المُعربين لها ويُعلل أن اختلافهم في توجيه الإعراب يرجع إلى الآراء التي بنوا عليها عقيدتهم . ومن الآيات التي شملتها الدراسة آيات مختصة بصفة العلم وآيات خاصة بعقيدة القضاء والقدر وغيرها ممّا اختُلف فيه بين أهل السنّة والمعتزلة ، و فيه تركيز على آيات الأسماء والصفات لأنها موضع الاختلاف بين أهل السنة والمعتزلة.

وقد تناول الباحث جزءاً مما سنتناوله في دراستنا ،إضافةً إلى أنه يُقسّم الدراسة وفق معاني العقيدة ،وهذه الدراسة تقسَّم وفق الأساليب التعبيرية ، كما أنها تتناول آيات التوحيد على نحو أوسع مما جاء في تلك الدراسة، إضافة إلى مباحث نحوية وصرفية ودلالية تنفرد بها عنها ، كما أنها تكشف عن مظاهر الإعجاز اللغوي في آيات التوحيد وهذا مما لا نجده في الدراسة السابقة .

- " **أثر العقيدة الأشعرية في التوجيه النحوي واللغوي لنصوص القرآن والسنة** " رسالة ماجستير للطالب شاهر فارس ذياب – الجامعة الأردنية – ٢٠٠١م .

هذه الرسالة تبحث أثر العقيدة في توجيه نصوص القرآن الكريم والسنة عند الأشاعرة ،ومن تأثر بهم ، والنظر فيه نظراً نحوياً ولغوياً ، وهي تتناول الآيات المتعلقة بكلام الله تعالى ، وبالأفعال الحادثة المُسندة إلى الله – عز وجل – ، والمُسميات الحسيّة المُضافة إليه سبحانه وتعالى ، والآيات الدالة على نسبة الجهة والمكان لله ، وآيات عقيدة القضاء والقدر .

وهي تتناول آيات التوحيد التي أثرت العقيدة الأشعرية في توجيهها ، كما هو واضح من عنوانها ، أما آيات التوحيد الأخرى ، وما تضمنته من أساليب تعبيرية ، وبُنى صرفية ، ودلالات بيانية ، فهي لا تتناولها .

منهجيّة البحث

تسير هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي ؛ حيث تستقري آيات التوحيد من كتاب الله ، وتُحللها وفق أساليب التعبير التي جاءت عليها ، وتكشف عن البُنى الصرفية التي جاءت عليها بعض الألفاظ ، والدلالات البيانية في هذه الآيات ، ومظاهر الإعجاز اللغوي ، إضافةً إلى الأثر النفسي الذي تتركه هذه الآيات على المُخاطَب .

الفصل الأول

مفهوم التوحيد ومحدِّدات آياته

المبحث الأول

مفهوم التّوحيد لغةً ، واصطلاحاً ، وأقسامه

يعرض هذا المبحث مفهوم التوحيد لغةً واصطلاحاً ، ثم أقسامه ، هذا يُساعد في اختيار آيات الدراسة ، وسيكون القسم التوحيدي معياراً في اختيار الآية التي ستتم دراستها ؛ فالآية التي تُشير إلى أن الله– سبحانه – هو خالق كل شيء باحتوائها على لفظي (ربّ) أو (خلق) ، سيكون المعيار فيها توحيد ربوبية ، والآية التي تُشير إلى تفرده بالعبادة ، وأنه الإله الواحد ، واحتوت على لفظي (إله) أو (عبد) ، سيكون المعيار فيها توحيد ألوهية . أمّا الآية التي دلّت على وحدانيته عن طريق صفة من صفاته ، فهي توحيد الأسماء والصفات.

أولاً : مفهوم التوحيد

- التوحيد لغةً

" أَحَدٌ ، ووَحَدٌ ، ووَحِدٌ ، ووَحْدٌ ، و وحيدٌ ، ومتوحدٌ أي منفردٌ. ورجل وحيد : لا أحد معه يؤنسه . والوَحدة في معنى التوحّد ، وتوحّد برأيه : تفرّد به . والوَحْدة : الانفراد ، يقال رأيته وحده وجلس وحده أي منفرداً . وفلان واحد دهره أي لا نظير له ، وأوحده الله : جعله واحد زمانه ."(١)

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : " الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد ."(٢)

وجاء في التعريفات للجرجاني : " التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد "(٣)

فالمعنى اللغوي للتّوحيد هو : التّفرّد ، بمعنى إفراده – سبحانه وتعالى – بالعبودية ، ونفي التعدد عنه (٤).

---

(١) انظر : ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط١، ١٨ج ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ٢٠٠٠ م ، مادة (وَحَدَ) .

(٢) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، معجم مقاييس اللغة ط ١ ، اعتنى به د. محمد عوض مرعب ، وفاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١ م، مادة (وَحَدَ) .

(٣) الجرجاني ،علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) ،التعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٦٩م :٧٣

(٤) انظر :الجوهري ، إسماعيل بن حمّاد(ت٣٩٣ هـ) ،تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) ، ط٣ ،٦ج ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ،ج٢ :٥٤٧ ،والزمخشري ، محمود بن عمر(٥٣٨هـ) ،أساس البلاغة ، ط١ ، دار النفائس ١٩٩٢م : ٦٦٨.

- التوحيد اصطلاحاً (شرعاً)

" هو الإيمان بالله وحده لا شريك له "[١]

" هوتجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيّل في الأوهام والأذهان "[٢]

" هو إفراد الله – سبحانه – بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات "[٣]

والتوحيد أول ما دعا إليه الرسل ، حيث كان كل نبيّ يطلب من قومه عبادة الله وحده ، وقد أخبرت عن ذلك آيات القرآن[٤] .

وهو أول ما يُدخَل به في الإسلام ، وآخر ما يُخرَج به من الدنيا .فهو أول واجب وآخر واجب[٥] .

ثانياً : أقسام التوحيد

يتضمن التوحيد ثلاثة أقسام :

الأول : توحيد الربوبية : وهو " الإقرار بأن الله خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال ، وهذا التوحيد حقٌ لا ريبَ فيه " [٦]

---

[١] الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) ، العين ،٨ج ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، مادة (وَحَدَ).
[٢] الجرجاني ، التعريفات : ٧٣.
[٣] العثيمين ، محمد بن صالح (٢٠٠٤ م) . القول المفيد على كتاب التوحيد ، ط١، ٢ ج ، تحقيق الشحات أحمد الطحان ، دار المنار، القاهرة ، ج١ : ٥ ، وانظر:القنوجي ، محمد صديق حسن(ت١٢٥٣هـ)، الدين الخالص ، ط١،٤ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥م ، ج١ : ٤١ ، والرشيد ، عبد العزيز بن ناصر ، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ،ط٣ ، الدار الأسلامية ، المنصورة : ١٤ ، وعبد الوهاب ، سليمان بن عبدالله بن محمد (ت١٢٣٣هـ) ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ،ط٣ ، الدار البيضاء ١٩٩١م :٣٢
[٤] انظر : الأعراف : ٥٩ ، الأعراف : ٦٥ ، الأعراف : ٧٣ ، الأعراف : ٨٥ ، النحل : ٣٦ ، الأنبياء : ٢٥.
[٥] ابن أبي العز ، علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ) . شرح العقيدة الطحاوية ، ٢ ج ، تحقيق د.عبدالله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ج ١ : ٢٣ .
[٦] المصدر نفسه ، ج ١: ٢٥ .

" وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به ، أعظم من كونها مفطورةً على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل عليهم السلام فيما حكى الله عنهم :﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١) "(٢).

فالله قد فطر قلوب الناس – حتى الكفار – على الإقرار بالله وتوحيده ، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وقد وضّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن كل مولود يولد على الفطرة ، أيّاً كان دين أبويه ، وأن هذه الفطرة هي الإسلام ، وأن أبويه يحرفانه ، ويصرفانه بعد ذلك عن الإسلام إلى غيره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة : " مامن مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه "(٤).

الثاني: توحيد الألوهية: "هو استحقاقه – سبحانه وتعالى– أن يُعبَد وحدَه لا شريك له" (٥) ويقال له توحيد العبادة باعتبارين ، فباعتبار إضافته إلى الله يسمّى : توحيد الألوهية ، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمّى : توحيد العبادة .(٦)

وتوحيد الألوهية هو الذي دعت إليه الرسل ، ويتضمن توحيد الربوبية ، وهو الذي كان المشركون يناقشون ويجادلون فيه ، لأنهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، ويعترفون بأن الله هو الخالق المدبر ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٧).

فتوحيد الألوهية هو الأساس، وتوحيد الربوبية فرع عنه ومبنيٌّ عليه ، لأن من اعترف بأن الله هو الخالق والمالك والمدبر ، فلا بدَّ بأن يُقر بأنه – سبحانه – هو المستحق للعبادة ،

---

(١) إبراهيم : ١٠ .
(٢) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ج١ : ٢٦ .
(٣) الروم : ٣٠ .
(٤) البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، دار المنار، القاهرة ٢٠٠١ م ، ج١ : ٣١٣
(٥) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ج١ :٢٤ .
(٦) العثيمين ، القول المفيد ، ج ١ :٧ .
(٧) لقمان : ٢٥ .

فالخالق يصلح أن يكون إلهاً ، " ومن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً ، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً " [١].

وقد جعلت آيات القرآن الكريم توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الألوهية ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ [٢].

وقد ضرب القرآن الأمثلة الكثيرة التي تقرر توحيد الألوهية ، منها قوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٤].

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢ ﴾ [٥] .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات : " أن يُثبت لله الصفات التي وصف بها نفسه ، وأن يناديه بالأسماء التي سمّى بها نفسه " [٦].

وهذا التوحيد يتطلب أن نثبت لله – عز وجل – جميع أسمائه وصفاته، التي أثبتها لنفسه ، في كتابه أو سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، وأن ننفي عنه – سبحانه – كل صفة تتعارض معه ، ورفض ما قاله الكفار من أنه – تعالى – يحلّ في مخلوقاته ، ويتّحد بها ، ثم الإقرار بأن صفاته خاصة به ، لا يمكن للمخلوق أن يشركه بها ، ولا يشبهه فيها شيء [٧].

---

[١] ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ج١ : ٤١ .
[٢] النمل : ٥٩ – ٦٠ .
[٣] المؤمنون : ٩١ .
[٤] الأنبياء : ٢٢ .
[٥] الإسراء : ٤٢ .
[٦] الخالدي ، صلاح عبد الفتاح (٢٠٠٠ م) . القبسات السنيّة من شرح العقيدة الطحاوية ، ط١، دار القلم ، بيروت : ٢٣ .
[٧] انظر : ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ج١ : ص ٢٥ ، والخالدي ، القبسات السنيّة : ٢٤.

المبحث الثاني

معيار آيات التوحيد وحدودها

(آيات الدراسة)

يقصد بحدود آيات التوحيد ، الآيات التي ستتناولها هذه الدراسة ، وقد اعتُمد في هذا الاختيار على الأسلوب التعبيري الذي جاءت عليه آيات التوحيد ، الذي احتوى على لفظ (إله) ومادة (عَبَدَ) وما اشتق منها ، ومادة (أَلَهَ) ، إضافة إلى بعض آيات الأسماء والصفات ، التي اختلف في تفسيرها.

وهذا لايعني أن كل آية جاء فيها ألفاظ (إله ، رب ، عبد) قد اختيرت ، فقد تحتوي هذه الآية على هذه الألفاظ ولا تدل على التوحيد ، وإنما المقياس في ذلك : الدلالة على أحد أقسام التوحيد،كأن تكون الآية دالةً على تفرد الله بالألوهية ونفيها عن غيره،نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [(١)]،

أو مُخصصته بالعبادة وأنه المعبود حقاً،وكل ما يعبد غيره فهو باطل،نحو:﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(٢)].

أو ناهيةً عن ادعاء آلهة مع الله،نحو: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[(٣)] وهذا هو توحيد الألوهية .

أو مُقرّةً بأن الله هو الخالق ، نحو: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[(٤)] ، أو مُثبتةً قدرة الله عن طريق ربوبيته لكل شيء ، نحو: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٥)] وهذا هو توحيد الربوبية. وقد تُثبت الآية وحدانيته بصفة من صفاته نحو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[(٦)] إضافة إلى احتواء الآية على أحد الألفاظ التوحيدية وهي: (إله ، رب ، عبد ، خلق) ومادتها .

وقد تكون الدلالة على التوحيد لفظية ، أي إن اللفظ نفسه هو ما أفاد التوحيد في سياق الآية ، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٧)] ، فالآية لا تنتمي إلى أسلوب من أساليب التعبير المستخدمة في الدراسة ، وإنما الدلالة على التوحيد كان بلفظ (واحد)

---

(١) الصافات : ٣٥.
(٢) آل عمران : ٦٤.
(٣) الذاريات : ٥١.
(٤) فاطر : ٣ .
(٥) الجاثية : ٣٦.
(٦) الحشر : ٢٣.
(٧) البقرة : ١٦٣.

، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[١] ، فـ(أحد) و(الصمد) هما ما دلّ على التوحيد ، فالتوحيد في هذه الآيات وغيرها ليس بالأسلوب التعبيري وإنما باللفظ.

وتحت اللفظ التوحيدي يُضاف أغلب آيات الأسماء والصفات ، نحو قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [٢] ، وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾[٣]. وقد تكون الآية مشتملة على الأسلوب التعبيري وعلى لفظٍ توحيدي (الدلالة على التوحيد أسلوبي ولفظي) ، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢﴾ [٤]

وهذا كثير في آيات التوحيد.

الآية التي سيتم اختيارها إما أن تكون دلالتها على التوحيد بالأسلوب التعبيري ،وهذا الأسلوب مُشتمل على أحد ألفاظ التوحيد التالية : (إله ، رب ، عبد ، خلق) وما اشتق منها ، وإما أن تكون باللفظ التوحيدي . وهذان المعياران موزعان على أقسام التوحيد الثلاثة (ألوهية ،

---

[١] الإخلاص : ١- ٢ .
[٢] الفاتحة : ١- ٤ .
[٣] غافر : ٣.
[٤] آل عمران : ٦٢.

ربوبية ، أسماء وصفات) . وهذا جدول يبيّن الآيات المختارة والقسم التوحيدي والأسلوب التعبيري الذي تنتمي إليه:

الجدول ١ . الآيات المختارة للدراسة

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي	الأسلوب التعبيري
١. ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	البقرة/١٦٣ ،النحل/٢٢، الحج/٣٤	ألوهية	
٢. ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	البقرة/١٦٣ ،البقرة/٢٥٥ ،آل عمران/٢، ٦ ، ١٨ ، النساء/٨٧،الأنعام/ ١٠٢، ١٠٦، الأعراف/ ١٥٨ ،التوبة/ ٣١، ١٢٩ ،هود/١٤ ، الرعد/٣٠ ، طه/٨ ، ٩٨ ، المؤمنون/ ١٦ ،النمل/٢٦ ، القصص/٧٠ ،٨٨، فاطر/٣ ، الزمر/٦ ، غافر/٣ ، ٦٢ ، ٦٥ ، الدخان/٨ ، الحشر/٢٢ ،٢٣ ،التغابن/١٣ ، المزمل/٩	ألوهية	قصر
٣. ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	آل عمران/٦٢، ص/٦٥	ألوهية	قصر
٤. ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	النساء/١٧١ .	ألوهية	قصر
٥. ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	المائدة/٧٣	ألوهية	قصر
٧. ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	الأنعام/١٩ ،النحل/٥١ .	ألوهية	قصر
٨. ﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾	الأنعام/٤٦،القصص/٧٢،٧١	ألوهية	قصر
٩. ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	الأعراف/ ٥٩،٦٥،٧٣،٨٥ ،هود/٥٠،٦١،٨٤ ، المؤمنون/٢٣، ٣٢.	ألوهية	قصر
١٠. ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	يونس/٩٠ .	ألوهية	قصر
١١. ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	إبراهيم/٥٢ .	ألوهية	قصر

١٢. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾	النحل/٢،طه/١٤، الأنبياء/٢٥	ألوهية	قصر
١٣. ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	الكهف/١١٠، الأنبياء/١٠٨، فصلت/٦	ألوهية	قصر
١٤. ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾	طه/٩٨ .	ألوهية	قصر
١٥. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾	النمل/٦٠،٦١، ٦٢ ،٦٣،٦٤	ألوهية	استفهام
١٦. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾	فاطر/٣ .	ربوبية	استفهام
١٧. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	الصافات/٣٥.	ألوهية	قصر
١٨. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	محمد/١٩ .	ألوهية	قصر
١٩. ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ...﴾	المؤمنون/٩١ .	ألوهية	شرط
٢٠. ﴿...ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ...﴾	الأعراف/٥٩، ٦٥،٧٣،٨٥ هود/٥٠، ٦١ ، ٨٤ ، المؤمنون/٢٣، ٣٢ ، البقرة/٢١ ،النساء/٣٦ ، المائدة/٧٢ ، ١١٧ ، النحل/٣٦ ،النمل/٤٥ ، العنكبوت/ ١٦،٣٦، نوح/٣.	ألوهية	أمر
٢١. ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾	الأعراف/١٤٠ .	ألوهية	استفهام
٢٢. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾	التوبة/٣١ .	ألوهية	قصر
٢٣. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	البينة/٥ .	ألوهية	قصر
٢٤. ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾	قريش/٣ .	ألوهية	أمر
٢٥. ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	الحجر/٩٦ .	ألوهية	شرط
٢٦. ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	الإسراء/٢٢ ، ٣٩ .	ألوهية	نهي
٢٨. ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾	المؤمنون/١١٧ .	ألوهية	شرط
٢٩. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	الشعراء/٢١٣ ، القصص/٨٨	ألوهية	نهي
٣٠. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾	ق/٢٦ .	ألوهية	شرط

٣١. ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	الذاريات/٥١ .	ألوهية	نهي
٣٢. ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾	الفرقان/٤٣ .	ألوهية	استفهام
٣٣. ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾	الجاثية/٢٣ .	ألوهية	استفهام
٣٤.﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾	الإسراء/٤٢ .	ألوهية	شرط
٣٧.﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	الأنبياء/٢٢ .	ألوهية	شرط
٣٨.﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ ﴾	الأنبياء/٢٤ .	ألوهية	استفهام
٣٩.﴿ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾	الأنبياء/٤٣ .	ألوهية	استفهام
٤٠.﴿ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَا ﴾	الأنبياء/٩٩ .	ألوهية	شرط
٤٢.﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ ﴾	يس/٢٣ .	ألوهية	استفهام
٤٣.﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾	الصافات/٨٦.	ألوهية	استفهام
٤٤.﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾	ص/٥ .	ألوهية	استفهام
٤٥.﴿ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾	الزخرف/٤٥ .	ألوهية	استفهام
٤٦.﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾	الفاتحة/ ٥	ألوهية	قصر
٤٨.﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	آل عمران/٦٤ .	ألوهية	قصر
٤٩.﴿ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ ﴾	الأعراف/٧٠ .	ألوهية	استفهام
٥٠.﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾	سبأ/٤٠ .	ألوهية	استفهام
٥١.﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	الذاريات/٥٦ .	ربوبية	قصر
٥٢.﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾	الحجر/٩٩ .	ألوهية	أمر
٥٣.﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	الزمر/٢ .	ألوهية	أمر
٥٤.﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	الزمر/٦٦ .	ألوهية	قصر
٥٥.﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾	طه/١٤ .	ألوهية	أمر
٥٦.﴿ فَٱعۡبُدۡهُ ﴾	هود/١٢٣ ،مريم/٥٦ .	ألوهية	أمر
٥٧.﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾	البقرة/٢١ ، الحج/٧٧ .	ألوهية	أمر
٥٨.﴿ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ﴾	النجم/٦٢ .	ألوهية	أمر
٥٩.﴿ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	العنكبوت/٥٦ .	ألوهية	قصر
٦٠.﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾	آل عمران/٥١. الأنعام/١٠٢	ألوهية	أمر

	يونس/٣ ، مريم/٣٦ ، العنكبوت/١٧، الزخرف/٦٤		
٦١.﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الفاتحة/٢، يونس/١٠،الزمر/ ٧٥.	ربوبية	
٦٢.﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	الأنعام/١٦٤ .	ربوبية	استفهام
٦٣.﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف/٥٤ .	ربوبية	قصر
٦٤.﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾	الرعد/١٦ .	ربوبية	استفهام
٦٥.﴿ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾	الإسراء/١٠٢ .	ربوبية	قصر
٦٦.﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	المؤمنون/٨٦ .	ربوبية	استفهام
٦٧.﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	الشعراء/٢٣–٢٨ .	ربوبية	استفهام
٦٨.﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الصافات/٨٧ .	ربوبية	استفهام
٦٩.﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الجاثية/٣٦ .	ربوبية	قصر
٧٠.﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾	الذاريات/٢٣ .	ربوبية	قسم
٧١.﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾	المعارج/٤٠ .	ربوبية	قسم
٧٢.﴿ رَبِّ ﴾	البقرة/١٢٦، ٢٦٠ ، آل عمران/٣٥،٣٦، ٣٨، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٧ ، المائدة/٢٥ ، الأعراف/١٤٣، ١٥١، ١٥٥ هود/٤٥، ٤٧ ، يوسف/٣٣، ١٠١، إبراهيم/٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، الحجر/٣٦ ، ٣٩ ، الإسراء/٢٤، ٨٠ ، مريم/٤ ، ٦، ٨ ، ١٠ ، طه/٢٥ ، ٨٤ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، الأنبياء/٨٩ ، ١١٢ ، المؤمنون/٢٦، ٢٩، ٣٩، ٩٣،٩٤، ٩٧،٩٨،٩٩، ١١٨ ، الفرقان	ربوبية	نداء

	/٣٠ ، الشعراء/ ١٢،٨٣،١١٧،١٦ ٩،النمل/١٩،٤٤، القصص/ ١٦،١٧،٢١،٢٤، ٣٣، العنكبوت/٣٠، الصافات/١٠٠، ص/٣٥،٧٩،الزخ رف/٨٨، الأحقاف/١٥،المنا فقون/١٠، التحريم/١١، نوح/ ٥،٢١،٢٦،٢٨.		
٧٣. ﴿رَبَّنَا﴾	البقرة/١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٨٥، ٢٨٦. آل عمران/٨، ٩ ، ١٦ ،٥٣، ١٤٧ ، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤. النساء/٧٥، ٧٧ . المائدة/ ٨٣ ، ١١٤. الأنعام/١٢٨ . الأعراف/٢٣، ٣٨، ٤٧، ٨٩، ١٢٦. يونس/٨٥، ٨٨. إبراهيم/ ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١ ، ٤٤. النحل/٨٦. الكهف/١٠. طه/٤٥، ١٣٤. المؤمنون/١٠٦، ١٠٧ ، ١٠٩. الفرقان/٦٥، ٧٤. القصص/٤٧، ٦٣. السجدة/ ١٢. الأحزاب/ ٦٧، ٦٨. سبأ/ ١٩. فاطر/ ٣٧. ص/١٦، ٦١.	ربوبية	نداء

	غافر/٧، ٨، ١١. فصلت/٢٩. الدخان/١٢. ق/٢٧. الحشر/١٠. الممتحنة/٤، ٥. التحريم/٨.		
٧٤.﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	النساء/٦٥.	ربوبية	قسم
٧٥.﴿ فَوَرَبِّكَ ﴾	الحجر/ ٩٢. مريم/٦٨.	ربوبية	قسم
٧٦.﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	الإسراء/٢٣.	ألوهية	قصر
٧٧.﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾	الزخرف/٣٢.	ربوبية	استفهام
٧٨.﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	الرحمن/٢٧.	أسماء وصفات	
٧٩.﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾	المدثر/٣.	ربوبية	قصر
٨٠.﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	الفجر/٢٢.	أسماء وصفات	
٨١.﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾	الأعراف/١٧٢.	ربوبية	استفهام
٨٢.﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾	طه/٨٦.	ربوبية	استفهام
٨٣.﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾	الأنعام/٣٠. الأحقاف/٣٤.	ربوبية	قسم
٨٤.﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾	يونس/٥٣.	ربوبية	قسم
٨٥.﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى ﴾	سبأ/٣. التغابن/٧.	ربوبية	قسم
٨٦.﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	يونس/٥	ربوبية	قصر
٨٧.﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾	إبراهيم/١٩.	ربوبية	استفهام
٨٨.﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾	النحل/٤٨.	ربوبية	استفهام
٨٩.﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾	الإسراء/٩٩.	ربوبية	استفهام
٩٠.﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	الأحقاف/٣٣.	ربوبية	استفهام
٩١.﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾	يس/٨١.	ربوبية	استفهام
٩٢.﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾	نوح/١٥.	ربوبية	استفهام
٩٣.﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	الحجر/٨٥ . الأحقاف/٣.	ربوبية	قصر
٩٤.﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾	الأنبياء/١٦. الدخان/٣٨.	ربوبية	نفي

٩٥." ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾	ص/٢٧.	ربوبية	نفي
٩٦.﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾	يس/٧١.	ربوبية	استفهام
٩٧.﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾	الصافات/١١.	ربوبية	استفهام
٩٨.﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	المؤمنون/١١٥.	ربوبية	استفهام
٩٩.﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾	مريم /٦٧.	ربوبية	استفهام
١٠٠.﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾	يس/٧٧.	ربوبية	استفهام
١٠١.﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الدخان/٣٩.	ربوبية	قصر
١٠٢.﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾	عبس/ ١٨ – ١٩.	ربوبية	استفهام
١٠٣.﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾	الطور/٣٥ – ٣٦.	ربوبية	استفهام
١٠٤.﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	الطور/٤٣.	ربوبية	استفهام
١٠٥.﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ ﴾	الرعد/١٦.	ربوبية	استفهام
١٠٦.﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ ﴾	العنكبوت/ ١٧.	ألوهية	قصر
١٠٧.﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	الواقعة/٥٩.	ربوبية	استفهام
١٠٨.﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾	المرسلات/ ٢٠.	ربوبية	استفهام
١٠٩.﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	الأعراف/١٩١.	ربوبية	استفهام
١١٠.﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	الزمر/٤.	ألوهية	شرط
١١١.﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	النحل/١٧.	ربوبية	استفهام
١١٢.﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾	الحج/٧٣.	ربوبية	نفي
١١٣.﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾	الطارق/٥–٦.	ربوبية	استفهام
١١٤.﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾	الكهف/٥١.	ربوبية	نفي
١١٥.﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	النمل/٦٤.	ربوبية	استفهام
١١٦.﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ	العنكبوت/١٩.	ربوبية	استفهام

﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾			
١١٧.﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	ق/١٥.	ربوبية	استفهام
١١٨.﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾	الملك/٣.	ربوبية	نفي
١١٩.﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	الروم/٢٢. الشورى/١٩.	ربوبية	قصر
١٢٠.﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾	الإسراء/٤٩، ٩٨.	ربوبية	استفهام
١٢١.﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾	النازعات/٢٧.	ربوبية	استفهام
١٢٢﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	لقمان/٢٨.	ربوبية	قصر
١٢٣﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾	آل عمران/٢٦.	أسماء وصفات	
١٢٤.﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	طه/٥.	أسماء وصفات	
١٢٥.﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ﴾	المائدة/١١٦.	أسماء وصفات	
١٢٦.﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾	آل عمران/٢٨.	أسماء وصفات	
١٢٧.﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾	الأنعام/ ٣.	أسماء وصفات	
١٢٨.﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ ﴾	الزخرف/٨٤.	أسماء وصفات	
١٢٩.﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾	فصلت/١١.	أسماء وصفات	
١٣٠.﴿ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾	الأنعام/١٥٨.	أسماء وصفات	
١٣١."﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	الفجر/٢٢.	أسماء وصفات	
١٣٢.﴿ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾	الزمر/٥٦.	أسماء وصفات	
١٣٣.﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾	الرحمن/٣١.	أسماء وصفات	
١٣٤.﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	البقرة/٢٥٥	أسماء وصفات	نفي
١٣٥.﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾	ص/٧٥.	أسماء وصفات	
١٣٦.﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	الرحمن/ ٢٧.	أسماء وصفات	
١٣٧.﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾	يس/٧١.	أسماء وصفات	
١٣٨.﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	طه/٣٩.	أسماء وصفات	
١٣٩.﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾	القمر/١٤.	أسماء وصفات	
١٤٠.﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	هود/٣٧.	أسماء وصفات	
١٤١.﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	البقرة/١١٥.	أسماء وصفات	
١٤٢.﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾	الإنسان/٩.	أسماء وصفات	
١٤٣.﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾	القصص/٨٨.	أسماء وصفات	

١٤٤.﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾	الملك/١.	أسماء وصفات	
١٤٥.﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	المائد/٦٤.	أسماء وصفات	
١٤٦."﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	الإسراء/١١٠.	أسماء وصفات	
١٤٧.﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾	الزمر/٦٧.	أسماء وصفات	
١٤٨.﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾	غافر/ ٣.	أسماء وصفات	

الفصل الثاني
الأساليب التعبيرية في آيات التوحيد

مقدِّمة

في هذا الفصل تقسيم للآيات وفق الأساليب التعبيرية ، ثم حصر للآيات الخاصة بكل أسلوب على حدة ، وقد قُدّم في بداية كل أسلوب توضيحاً للقاعدة النحوية ، أو الأسلوب البلاغي من كتب النحو والبلاغة ، ثم طبّقت على آيات الدراسة ، بتحليل كل أسلوب إلى مكوناته ، وذكر فائدة كل أسلوب في إعطاء الدلالة التوحيدية ، وكيف يكون المعنى به ، ولا يكون بغيره ، مُستعيناً بالتفاسير لشرح الآيات وبيان المعاني البلاغية .

كما نُحيّ جانباً الخلافات بين المفسرين في معاني الآيات ، واختير منها ما اتفق عليه المُفسّرون .

كما أنني لم يتم الإشارة في الحاشية إلى اسم السورة ورقم الآية في بعض الأساليب ، واكتفي بعرض هذه الآيات في جدول في نهايته شمل الآية ، واسم السورة ، ورقم الآية ، والقسم التوحيدي ،..... .

الأسلوب الأول : القصر (الحصر)

القصر لغةً : الحبس .[١]

اصطلاحاً : هو" تخصيص أمر بآخر ، أو إثبات الحُكم للمذكور ونفيه عمّا عداه "[٢] .

طُرق القَصر : وطُرق القَصر التي جاءت عليها آيات التوحيد ، ضمن الآيات المُختارة من القرآن الكريم هي :

- **الطريقة الأولى : النفي والاستثناء**

النفي في الآيات المختارة للدراسة جاء بـــ (لا) النافية للجنس ، وبـــ (ما) .

وسنعرض لشروط عمل (لا) النافية للجنس ؛ لأن في شروطها ما يؤدي دلالة توحيدية ، وهي : نفيها للجنس (نفي جنس الآلهة في الآيات المختارة) ، وكون اسمها نكرة يُعطـــي أيضـــاً دلالة توحيدية، وهي عموم النفي (نفي عام لجنس الآلهة). أمّا ذكر القاعدة النحوية، فيُساعد فـــي ترجيح المعنى الدلالي التوحيدي، وفي تفسير التأويلات التي لجأ إليها النحاة والمفسرون ، الذين انتصروا للقاعدة النحوية على حساب المعنى . كما ذُكرت الأدوات النافية الأخرى لورودها فـــي الآيات المختارة ، ولكي نفرّق بينها وبين (لا) النافية للجنس من حيثُ عملها ودلالتها، إذ إنّ (لا) النافية للجنس أقوى في الدلالة على التوحيد من الأدوات النافية الأخرى.

فـــ(لا) النافية للجنس تعمل عمل إنّ بشروط [٣] ، واسمها إما منصوب أو مبني في محل نصب ، وتنكير خبرها واجب ؛ لأنه لا يجوز الإخبار عن النكرة بالمعرفـــة ويكثـــر حذفـــه إذا عُلم.[٤]

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قصر).

[٢] السيوطي ، أبو الفضل ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـــ) ، الإتقان في علوم القرآن ، ٤ج، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ج٣: ١٠٧ .

[٣] انظر: سيبويه ، أبا البشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـــ)، الكتـــاب ، ط١ ، ٤ج ، تحقيق:عبدالسلام هارون ، دار الجبل ،بيروت ، ج٢ : ٢٧٤ – ٢٧٦ ، وابن هشام ، أبا محمد ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله (ت٧٦١هـــ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ٢ج ، تحقيق محمد محيـــي الـــدين عبدالحميد،مطبعـــة المـــدني، القـــاهرة ، ج١ : ٢٣٧ – ٢٣٩ ، والسيوطي ، جلال الدين بن عبدالرحمن (ت ٩١١ هـــ) ،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ط١ ،٤ج،تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨،ج١: ٤٦٢ – ٤٦٥.

[٤] انظر: ابن هشام المغني ، ج١ : ٢٣٧ – ٢٣٩ ، وابن عقيل ، بهاء الدين عبـــدالله العقيلـــي المصري الهمذاني (ت ٧٦٩ هـــ) ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ٤ج ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ج٢ : ٣١١ ، والسيوطي ، الهمـــع ، ج١ : ٤٦٦ – ٤٧٠

واختُلِف في بناء اسمها ، فقيل لتركيبه مع (لا) تركيب خمسة عشر ، وقيل لتضمنه معنى (من) الاستغراقية.[١]

أما (ما) فتنفي الجمل الاسمية والفعلية ، فإذا دخلت على الجمل الاسمية عملت عمل (ليس) في لغة أهل الحجاز بشروط ، وتميم تهملها ، ولا تعمل إن دخلت على الفعلية.[٢]

أما الاستثناء فهو" المُخرَج بـ(إلا) أو إحدى أخواتها تحقيقاً أو تقديراً من مذكور أو متروك بشرط الفائدة".[٣] وأدوات الاستثناء هي: إلا،وغير، وسوى، وخلا، وعدا وحاشا. وأمّ أدوات الاستثناء هي(إلا)، ولم يأتِ الاستثناء في الآيات المختارة إلا بها، وفي آية واحدة بـ(غير)، وهذا ما دلّ عليه إحصاء الآيات المختارة كما هو مُبيّن في الجدول في نهاية هذا الأسلوب.

أمّا أنواع الاستثناء فتساعد في تحديد المعنى المترتب على كل نوع ، إذ سنذكر نوع الاستثناء في كل آية . والاستثناء بـ(إلا) يُقسم إلى قسمين:

الأول : الاستثناء التام : ويُقسم إلى قسمين : متصل ومنقطع.

الثاني : الاستثناء المفرغ[٤].

التطبيق

نعمل في هذا التطبيق على ذكر الآية التي ستُدرس ، والتي تمثل نمطاً في النفي والاستثناء خاصاً ومُغايراً للأنماط الأخرى ، ثم نذكر المعيار التوحيدي الذي احتكمنا إليه في اختيار هذا النمط ، ثم نحلل هذا النمط ونذكر ما فيه من معانٍ توحيدية أداها الأسلوب التعبيري.

١. " لا إله إلا الله (هو ، الذي ، أنا) "

المعيار: توحيد ألوهية ؛ بنفي الآلهة المتعددة و إثبات الألوهية الحقة لله تعالى.

مكونات الأسلوب : (لا) النافية للجنس + اسم نكرة + (إلا) أداة حصر + المخصوص بالحكم.

لا	إله	إلا	الله

(١) انظر: سيبويه ، الكتاب،ج٢ : ٢٧٤، والأستراباذي، رضي الدين ، محمد بن الحسن(ت٦٨٦هـ) ،شرح الرضي على كافية ابن الحاجب،ط١،٧ج، تحقيق عبد العال سالم مكرم ،عالم الكتب ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ج١ : ٢٧٩ .

(٢) انظر: ابن هشام ، مغني اللبيب، ج١ : ٣٠٣ .

(٣) السيوطي ، الهمع ، ج٢ : ١٨٥ .

(٤) انظر: ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج٢ : ٤٧١ – ٤٧٣ ، والسيوطي ، الهمع ، ج٢ : ١٨٤ – ١٩٥ والسامرائي ، فاضل صالح (٢٠٠٣ م) ، معاني النحو ، ط٢ ، ٤ج ، دار الفكر، عمان ، ج٢: ٢١٢ –٢١٤ .

فهذا الأسلوب هو نفي: (لا إله) وإثبات: (إلا الله).وبلغ عدد آيات هذا الأسلوب ثلاثاً وثلاثين آية.

جاء النفي بـ(لا) النافية للجنس ، للدلالة على نفي الجنس ، فلا يُراد بها نفي الوحدة ، بخلاف (لا) العاملة عمل (ليس) ، فإنها تحتمل نفي الجنس وتحتمل نفي الوحدة ، فـ (لا إله) نفي عام لجنس الآلهة ، بمعنى أنك نفيت أن يكون أحد من الآلهة غير الله، أي استغرقت في نفيك جنس الآلهة عامة.[١] وتنكير اسمها دليل على إفادة العموم ،لأن النكرة في حيز النفي تكون أرجح في الدلالة على العموم .[٢]

و(لا إله) جواب لسؤال مقدّر هو : (هل من إله) ، جاء في الكتاب : " فـ(لا) لا تعمل إلا في نكرة، من قبل أنها جواب فيما زعم الخليل لقوله (هل من عبد أو جارية) "[٣] كما أنّ هذا الجواب يكون إعلاماً للمخاطب بما لم يكن يعلم ، فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٤] جاء بـ(وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ) رداً على الكفار المنكرين ، وإعلاماً لهم بشدة العذاب الذي سينالهم .

أما الإثبات فهو (إلا الله) ، فـ (إلا) أداة حصر ، وهي التي أفادت اختصاص ما بعدها بالحكم نفياً أو إثباتاً ،وقد أشار الرماني إلى أنّ معنى (إلا)هو الاختصاص بالشيء دون غيره [٥].

ومعنى هذا أن قولنا (لا إله إلا الله) : تخصيص الله – تعالى– بالألوهية دون غيره .

ونوع الاستثناء هنا متصل من عموم النفي المستفاد من (لا) النافية للنكرة ، ذلك أن (لا) تستغرق النفي للجنس كله ؛ أي نفي الآلهة والمعبودات الباطلة ، وهذا لا يعني أننا ننفي الوجود الذاتي لهذه الآلهة ؛ لأن " آلهة الكفار موجودة ، وإنما ننفي الوجود الفعلي المؤثر ، فهذه الآلهة التي يعبدها الكفار ، ليست آلهة في الحقيقة ، لأنها ليس لها وجود فعلي مؤثر".[٦]

---

[١] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج١ : ٣٣٢ ، وج٤ : ١٧٥ .
[٢] انظر: السيوطي ، الإتقان ، ج٢ : ٢١٣ .
[٣] سيبويه ، الكتاب ، ج٢ : ٢٧٥ .
[٤] البقرة : ١٦١– ١٦٣
[٥] الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤ هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، ٤ج ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ٢٠٠١ م ، ج٤ : ٢٦٨ .
[٦] الخالدي ، القبسات السنية : ٥٦ .

وتقدير الخبر (في الوجود) أو (لنا) اعتُرض عليه بإثبات تعدد الآلهة ، فأقول هذا ليس إثبات لتعدد الآلهة ، وإنما هو إبطال لآلهة الكفار بنفي الألوهية التي ليس لها دور فعلي مؤثر ، وفي هذا إثبات لصفة الألوهية الحقة لله – تعالى-.

وابتعاداً عن الإضمار الذي ذكره النحاة، والاعتراضات الكثيرة على هذا الإضمار، بأنك تُثبت آلهة غير الله ، أميل إلى ما ذهب إليه الرازي من عدم تقدير الخبر وجعلها حقيقة عامة دخل عليها حرف النفي حيث يُصبح المعنى لا تحقق لحقيقة الألوهية إلا في حق الله .[١]

و القاعدة النحوية هي السبب في جعلهم الاستثناء هنا متصلاً ، فالنحاة لا يجيزون أن يكون خبر (لا) النافية للجنس معرفة ، كما أنهم لا يجيزون أن يكون الخاص خبراً عن العام[٢]، إذ إنّ اسم (لا) عام ، وقولك (إلا الله) خاص . وإلا فالاستثناء مفرّغ بحذف المستثنى منه قياساً على قوله تعالى: (وما من إله إلا الله) ، فهم يقولون إن الاستثناء فيها مُفرّغ والتقدير: (وما من إله موجود إلا الله) ويُعربون (الله) خبراً لـ(إله) المرفوع محلاً على الابتداء.

إذن لولا القاعدة النحوية والتمسك باطرادها لصحَّ أن يكون المخصوص بالحكم بعد (إلا) خبراً لـ(إله) والمعنى (الإله هو الله) ، أو مبتدأ خبره (إله) المقدّم والتقدير: (الله هو الإله)، وهذا أقوى في الدلالة على معنى التفرّد بالألوهية المفهوم من كلمة الشهادة وأعمُّ وأشمل في إفادة الحصر ، حيث إن (لا إله إلا الله) معناها: (الإله الموجود حقاً هو الله) أو (الله هو الإله الموجود حقاً) . فالأسلوب المكون من اجتماع النفي والاستثناء، هو الذي أعطى دلالة حصر الألوهية بالله– سبحانه وتعالى–، ولو كانت الجملة بالإثبات وحده كقولنا:(الله واحد)،لاحتمل ألوهية غيره.وقد اعتُرض على تقدير: (موجود)، لأنه اسم مفعول، وقالوا: إنّ التقدير (واجب الوجود).

٢. ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [٣]

المعيار: توحيد ألوهية ، بنفي العبادة عن غيره وإثباتها له سبحانه .

مكونات الأسلوب:(لا) النافية + جملة فعلية فعلها مُضارع + (إلا) أداة الحصر+المخصوص بالحكم.

لا نعبد إلا الله

---

[١] انظر: الرازي ، فخر الدين ، أبا عبدالله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ١٧ج ، تحقيق خليل محيي الدين الميس، دار الفكر ، بيروت (١٩٩٥ م) ، ج١٤ : ١٥٤ .

[٢] انظر: الآلوسي ، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ٣٠ج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ م ، ج٣ : ٦٠ .

[٣] آل عمران : ٦٤ .

وقد بلغ عدد آيات هذه الصورة في الآيات المختارة خمس آيات وهي: البقرة ٨٣ ، هود ٢، ٢٦ ، فصلت ١٤ ، الأحقاف ٢١ .

فهو نفي و إثبات ، والنفي هنا للجملة الفعلية ، لأن السياق يتطلب ذلك ، فالخطاب ردّ على أهل الكتاب ، يدعوهم إلى عبادة الله والاستمرار على العبادة ، والعبادة بمعناها اللغوي تعني الخضوع والتذلل[١]، وهذا المعنى بحاجة إلى مداومة على الطاعة وجهد ومشقة وتجدد، وهذا لا يناسبه إلا الجملة الفعلية الدالة على التجدد، والمُضارع الدال على الحال والاستقبال ، فالمطلوب منهم أن يعبدوا الله بتركهم الشرك والاستمرار على عبادته ، فجاء بالجملة الفعلية لتؤدي هذا الغرض.

وأغلب الآيات التي جاءت بهذا الأسلوب –النفي للجملة الفعلية والاستثناء–، كانت ردّاً على إنكار أهل الكتاب كما في الآية السابقة أو على اليهود، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[٢] ، أو قوم أحد الرسل ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [٣] فهي دعوة لهم بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة غيره، وهذا يعني الانتقال من حال إلى حال (تجديد) ، وما يُناسب هذا الحال هو الجملة الفعلية .

وعليه فإننا نخرج بنتيجة مفادها أن النفي بـ(لا) النافية للجنس للجملة الاسمية في الآيات المُختارة جاء إعلاماً للمُخاطَب بمالم يكن يعلم ، أما النفي بـ(لا) للجملة الفعلية فجاء ردّاً على إنكار وفيه قوة وتأكيد جاءه من الرد على الإنكار ، لأن المُنكر يحتاج إلى قوة وتأكيد في الرد عليه[٤] ، ونوع الاستثناء مفرّغ ، بحذف المُستثنى منه ، والتقدير: (لا تعبدون أحداً إلا الله) ، والمُراد بالتقدير التقدير المعنوي لا الصناعي.[٥] ونقصد بالتقدير المعنوي المقدّر الذي يتوجه إليه النفي في الاستثناء المفرغ ، إذ لابدّ من مُستثنى منه عام يُخرج منه المُستثنى ، وهذا المُستثنى منه لا يظهر في الاستثناء المفرغ ، لأن العامل يتسلط على ما بعد (إلا) ويكون معمولاً له ، أما التقدير الصناعي فهو التقدير النحوي، ويكون المعمول محذوفاً ونقدره لإتمام معنى

---

[١] انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عبد).
[٢] البقرة : ٨٣ .
[٣] هود : ٢٥– ٢٦
[٤] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٢ : ٢١٧ .
[٥] انظر: السيوطي ، الإتقان ، ج٣ : ١٠٨

الجملة، وهذا لا يكون في الاستثناء المفرغ ؛ لأن شرط الاستثناء المفرغ أن يكون المستثنى منه محذوفاً وما بعد إلا هو معمول ما قبلها.

٣. (ومامن إله إلا الله)

المعيار: توحيد ألوهية بنفي الآلهة المتعددة وإثبات الألوهية الحقة لله تعالى .

مكونات الأسلوب:

(ما) النافية + (من) حرف جر + (إله) اسم نكرة + (إلا) أداة حصر + المخصوص بالحكم (نفي للجملة الاسمية)

ما	من	إله	إلا	الله

وعدد آيات هذه الصورة في الآيات المختارة ثلاث آيات هي:آل عمران ٦٢،المائدة ٧٣،ص ٦٥.

(ما) لنفي الجنس كـ(لا) في قوله (لا إله إلا الله) ، ولكنّ هناك فرقاً في المعنى والاستعمال ، فـ(لا) جواب عن سؤال مُقدّر هو (هل من) ، وهذا الجواب يكون إعلاماً للمخاطَب بما لم يكن يعلم ، أما (ما) فهي ردٌّ على قول أو ما أنزل هذه المنزلة[١]، ويؤكد ذلك الاستعمال القرآني ، فقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢] و﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٣] جاء ردّاً على النصارى في تثليثهم[٤] . وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[٥] ، جاء ردّاً على مُشركي مكة.[٦]

ونفي (ما) للجملة الاسمية للرد على النصارى غير مُقيّد بزمن ، بمعنى أن كل من قال في التثليث فردّوا عليه بـ(مامن إله إلا الله) . أما الرد على مشركي مكة في سورة ص والرد على أقوام الأنبياء فالنفي بـ(ما) جاء للحال، أي رُدّ عليهم يا محمد وقُل لهم : (مامن إله إلا الله). جاء في معاني النحو :" (ما) إذا دخلت على الجمل الاسمية ، كان نفيها للحال عند الإطلاق ، وإذا قُيّدت كانت بحسب القيد ،....وقد تكون للحقيقة غير مُقيّدة بزمن".[٧]

---

[١] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج١ : ٣٣٥.
[٢] آل عمران : ٦٢ .
[٣] المائدة: ٧٣.
[٤] انظر: الزمخشري،أبا القاسم ،محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ط١،تحقيق عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي،بيروت ١٩٩٧م ، ج١ : ٣٩٧
[٥] ص : ٦٥.
[٦] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ : ١٠٥ .
[٧] السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٦٣ – ١٦٤ .

٤. (مالكم من إله غيرُه)

المعيار: توحيد ألوهية بنفي الآلهة المتعددة وإثبات الألوهية الحقة لله تعالى .

مكونات الأسلوب : (ما) النافية + (لكم) الجار والمجرور + (من) حرف جر + (إلـه) اسم نكرة + (غير) الحاملة لمعنى الاستثناء + (ه) الضمير المخصوص بالحكم (العائد على لفظ الجلالة (الله))

بلغ عدد آيات هذه الصورة في الآيات المختارة سبع آيات[١].

جاء هذا الأسلوب ردّاً على أقوام الأنبياء (نوح، هود، صالح، شعيب) ؛ لبيان وجه اختصاصه بالعبادة[٢]. أما نوع الاستثناء ، ففي قوله تعالى: (ومامن إله إلا الله) و(مالكم من إله غيره) إمّا مُفرغ بالنفي وحذف المستثنى منه والتقدير: (ومامن إله في الوجود إلا الله) و(مالكم من إله في الوجود غيره) ، وإمّا متصل من محل (إله) . لكن النحاة لا يقولون بالتفريغ في(مالكم من إله غيره) مع أنهم يقيسونه على (ومامن إله إلا الله) و على (لا إله إلا الله) في المتصل[٣] ، فالمعنى واحد في الآيات الثلاثة ، فلماذا يصح التفريغ في (ومامن إله إلا الله) ولا يصح في الآيتين ! ويبدو أنّ السبب هو التزامهم بالقاعدة النحوية التي وضعوها في (لا إله إلا الله) ، وهي أن (لا) النافية لا يكون خبرها معرفة . أما في (مالكم من إله غيره) هو وجود (غير) حيث إن الأصل في(غير) أن يوصف بها ، والسياق يدل أنه أراد أن يصف بأنه لا يوجد غيره إله يستحق أن يُعبد، فـ(ما لكم من إله غيره) بحكم العلة لقوله (اعبدوا) أي: اعبدوه لأنه لم يكن لكم إله غيره يستحق منكم أن يكون معبوداً[٤]. فهو في معرض إبطال عبادة الآلهة المتعددة التي كان يعبدها قوم نوح – عليه السلام – ، وإثبات استحقاقه – سبحانه- بالعبادة ، وليس في معرض نفي الآلهة المتعددة بشكل عام وإثبات ألوهية الله الحقة (لا إله إلا الله) . فهو يُريد نفي العبادة عن غير الله (اعبدوا الله) ، ثم جاء بما يثبت استحقاقه – سبحانه- بالعبودية .

٥. (ما) + جملة فعلية + إلا + المخصوص بالحكم

ما + أمروا + إلا + ليعبدوا إلهاً واحداً

---

(١) الأعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣، ٨٥ ، هود ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ .
(٢) انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ : ١٠٧ .
(٣) انظر: الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٤ : ١٥٣ – ١٥٤ ، العكبري، أبا البقاء، عبد الله بن الحسين (٦١٦ هـ)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، مراجعة: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (٢٠٠٢ م): ٢٤٨ ، والآلوسي ، روح المعاني ، ج٨: ١٥٠ .
(٤) انظر : الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية في علم التفسير، ط٢، ٥ج ، دار الوفاء المنصورة ، ودار الخاني الرياض (١٩٩٧ م) ج٢ : ٣٠٥.

جاءت هذه الصورة في ست آيات[١]

نفي (ما) للجملة الفعلية جاء بالفعل الماضي في الآيات المُختارة ، وهو إمّا لنفي الماضي القريب من الحال كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا ﴾[٢] ردّاً على اليهود والنصارى الذين عبدوا أحبارهم والمسيح ابن مريم من دون الله . والمعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ألوهية بأمرهم عبادة إله واحدٍ وهو الله . وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ ﴾[٣] ردّاً على فرعون،والمعيار التوحيدي: توحيد ربوبية بإثبات القدرة على إنزال الآيات الخارقة لرب السماوات والأرض القادر على ذلك، والتي أيّد بها موسى.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾[٤] ردّاً على الشرك وأهله ، والمعيار التوحيدي : توحيد ألوهية بنفي الآلهة التي تُعبَد من دونه ،ووصفها بأنها من اختراع المشركين .

وإمّا للماضي البعيد ، وهو خاص بنفي الفعل الماضي (خلق) ؛ وذلك لإثبات حقيقة عامة من وراء الرد ؛ هي أن الهدف من الخلق هو العبادة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[٥] ، والمعيار التوحيدي في هذه الآية توحيد ربوبية من جهة إثبات الخلق له سبحانه ، ثم توحيد ألوهية من جهة أن الهدف من الخلق هو العبادة . أو أنّ خلق السماوات والأرض حقيقةٌ مُسلَّمٌ بها ، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾[٦] ، وقوله تعالى : ﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٧][٨] ، والمعيار التوحيدي في هاتين الآيتين : توحيد ربوبية بإثبات أحقيّته وقدرته – سبحانه –على خلق السماوات والأرض .

---

[١] التوبة ٣١ ، يوسف ٣٩-٤٠ ، الحجر ٨٥ ، الإسراء ١٠٢ ، الأحقاف ٣ ، الدخان ٣٩ .
[٢] التوبة : ٣١ .
[٣] الإسراء : ١٠٢
[٤] يوسف : ٣٩ – ٤٠ .
[٥] الذاريات : ٥٦ .
[٦] الحجر : ٨٥ و الأحقاف : ٣ .
[٧] الدخان : ٣٩ .
[٨] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٢ : ٢١٧ ، وج٤ : ١٦٤ – ١٦٥ .

أمّا نوع الاستثناء ففي قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ مفرغ بالنفي وحذف المُستثنى منه والتقدير : (وما أنزل هؤلاء أحدٌ إلا ربُّ السموات والأرض....).

أمّا في قولـــه تعـــالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ و ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ فهو مفرغ من أعم العلل والأسباب ، والتقدير : (وما أمـــروا لســـبب مـــن الأسباب إلا لهذا السبب (وهو العبادة)) ، و (ما خلقت الإنس والجن لسبب من الأسباب إلا لهـــذا السبب (وهو العبادة)) .

وفي قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾و﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ مفرغ من أعم الأحوال ، والتقدير: ما خلق ذلك إلا مُتلبساً بالحق .[١] فأسلوب الحصر المكـــون من النفي بـــ(ما) والاستثناء هو الذي أعطى هذه الدلالة ، وهي الرد على قول مزعوم وتصحيح ظن ، وغيره لا يؤدي المعنى نفسه ، فلو قلت :(الله إله) لم تكن ردّاً على قول ولم تحمل معنـــى التفرُّد بالألوهية المُستفاد من أسلوب الحصر .

أمّا الفرق بين (لا) و (ما) من حيث الاستعمال ، فـــ(ما) تُســـتخدم متصـــلة بمنفيهـــا أو مُنفصلة عنه ، أمّا (لا) فلا تُستَخدم إلا متصلة ؛ لأنها مركبة مع منفيها فأصبحتا كالكلمة الواحدة ، فـــ(ما) أوسع استعمالاً من (لا) .[٢]

و (ما) فيها معنى التأكيد ، فقد ذكر سيبويه أنها نفي لـــ(لقد فعل) ، قال سيبويه:"وإذا قال (لقد فعل) فإن نفيه (مافعل) لأنه كأنه قال :(والله لقد فعل) فقال:(والله مافعـــل)"[٣] ؛ جـــاء فـــي الإتقان : "ومُقتضى كلام سيبويه أن فيها معنى التأكيد ؛ لأنه جعلها في النفي جواباً لـــ(قد) فـــي الإثبات ، فكما أن قد فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جُعِل جواباً لها".[٤]

---

[١] انظر: الأندلسي ، أبا حيان ، أبا عبدالله محمد بن يوسف (ت ٧٥٤ هـــ) ، البحر المحيط في التفسير ١٠ ج ، مراجعة : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيـــروت ٢٠٠٥ م ، ج٦ :٤٩٣ ، وابن عاشور،محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ٣٠ج في ١٢مج، دار سحنون للنشر والتوزيـــع، تونس١٩٩٧م، ج١٤ : ٧٥ و ج٢٥ : ٣١٠ ، والدرويش ، محيي الدين (٢٠٠٣ م) ، إعـــراب القرآن الكريم وبيانه، ط٩، ٩ج ،دار ابن كثير واليمامة ، دمشق ، ج٣ : ٣٠٦ ، وج٤ : ٢١٠ .
[٢] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج١ : ٣٣٦ .
[٣] سيبويه : الكتاب ، ج٣ : ١١٧
[٤] السيوطي ، الإتقان ، ج٢ : ١٧٣ .

أمّا (من) فهي " لتأكيد الاستغراق المفهوم من النكرة المنفية "[١] ، فـ(ما من إله إلا الله) فيها من القوة و التأكيد والمُبالغة ما ليس في (لا إله إلا الله) ، وذلك لاجتماع مؤكدّيْن ظـاهريْن داليْن على المُبالغة ، لأنها ردٌّ على قول فيه من الإنكار لوحدانية الله ما يجعله بحاجة إلى قـوة وتوكيد في الرد عليه . جاء في التفسير الكبير " ثم قال (وما من إله إلا الله) وهذا يُفيـد تأكيـد النفي ، لأنك لو قُلت عندي من الناس أحد ، أفاد أن عندك بعض الناس ، فإذا قلت ما عندي من الناس من أحد ، أفاد أنه ليس عندك بعضهم ، وإذا لم يكن عندك بعضهم ، فبأن لا يكون عنـدك كلهم أولى ، فثبَت أنّ قوله (وما من إله إلا الله) مُبالغة في أنه (لا إلـه إلا الله) الواحـد الحـق سبحانه وتعالى ".[٢]

---

[١] الآلوسي ، روح المعاني ، ج٣ : ١٩١ .
[٢] الرازي ، التفسير الكبير ، ج٨ : ٩٤ .

الطريقة الثانية : القصر بــ(إنّما)

القصر بــ(إنما) عبارة عن (إنّ أو أنّ) + (ما) ، و(إنّ) حرف مشــبّه بالفعــل خــاص بالدخول على الجملة الاسمية ، واختُلِف في (ما) ، فمنهم من جعلها اسماً مُبهماً بمنزلة ضــمير الشأن في التفخيم والإبهام ، ومنهم من عدّها نافية والجمهور على أنها زائدة كافة تكف (إنّ) عن العمل ، وتهيئها للدخول على مالم تكن تدخل عليه من جمل فعلية[(١)]. واعتبــار (مــا) كافــة لا اعتراض عليه ، ولكن الاعتراض على زيادتها ، فهل هي زائدة؟

الذي يبدو أنّ (إنّما) أداة خاصة موضوعة لإفادة الحصر مع التعريض ،فمعنى الحصــر مُتأتٍ من أنها تدل على النفي والاستثناء ، ولكنها ليست نفياً واستثناءً ، والتعريض مُتأتٍ من أنها ردٌّ يحمل الذم للمردود عليهم والتعريض بهم.

وهذا الحكم على (إنما) بأنها تُفيد التعريض ، خاص بآيات الدراسة، ولا ينطبــق علــى جميع مواضع (إنما) في القرآن الكريم.

مكونات الأسلوب:

١. إنّ + ما + جملة اسمية : (إنما الله إله واحد) و (إنما هو إله واحد)

٢. أنّ + ما + جملة اسمية : (أنما هو إله واحد) و (أنما إلهكم إله واحد)

المعيار التوحيدي في الآيات السابقة : توحيد ألوهية ، بحصر الألوهية به – سبحانه- ، ثــم تأكيد تفرّده بالألوهية بكلمة (واحد) .

٣. إنّ + ما + جملة فعلية : (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً)

المعيار التوحيدي : توحيد ألوهية بإبطال عبادة غيره ، واعتبار ما يعبدونه بأنه كذبٌ ، وهذا يستلزم تخصيصه – سبحانه- بالعبادة ؛لأن نفي العبادة عن غيــره يســتلزم إثباتهــا لــه – سبحانه-.

ووجه إفادة الحصر فيهما أنهما في معنى النفي والاستثناء ، جاء في دلائل الإعجاز :" قال الشيخ أبو علي في الشيرازيات : يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى: ﴿قــل إنمــا حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ : إنّ المعنى : ما حرّم ربي إلا الفواحش : (قــال) وأصبت ما يدل على صحة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

---

(١) انظر: ابن هشام ، المغني ، ج١ : ٣٠٧ –٣٠٩ ، والسيوطي ، الهمع ، ج١ : ٤٥٨ – ٤٦١ ، والأستراباذي ، شرح الرضي على الكافية ، ج٦ : ٩٧.

فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفياً ، فلو كان المراد به الإيجاب لم يستقم ، ألا ترى أنك لا تقول: يُدافع أنا ولا يُقاتل أنا ،وإنما تقول : أدافع وأقاتل ، إلا لمعنى كان: ما يُدافع إلا أنا: فصلت الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه (إلا) حملاً على المعنى".[١]

وهذا يدل أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٢] يعني: (ما الله إلا إله واحد) ، وقوله : ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٣] يعني: (ماهو إلا إله واحد) ، وقوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[٤] يعني (ماتعبدون من دون الله إلا أوثاناً....) .

وقد قُدّر النفي بـ(ما) لسببين : الأول : أن الآيات التي جاءت ب(إنما) ضمن الآيات المُختارة كانت ردّاً على قول مزعوم باطل ، وهذا وافق ما قلناه عند الحديث عن النفي بـ(ما) والاستثناء في الطريقة الأولى من طرق القصر ، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ رد على قول النصارى[٥] ، وقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ في سورة الأنعام جاء ردّاً على من يُثبت الشركاء لله ، وفي سورة النحل جاء ردّاً على من يتخذ إلهين من دون الله. وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ رد على جميع الخلق[٦] ، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾[٧]، ومن المفسرين من قال إن المقصود بالناس الكفار[٨] ، فيكون على هذا القول رداً على الكفار.

---

[١] الجرجاني ، عبدالقاهر، (ت٤٧١ هـ) ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد رشيد رضا، نسخة محمد عبده ومحمد الشنقيطي ، مكتبة العلم بجدة (١٩٩٠ م) : ٢٦٢ – ٢٦٣ .
[٢] النساء : ١٧١ ، الأنعام : ١٩ ، النحل : ٥١ .
[٣] إبراهيم : ٥٢ .
[٤] العنكبوت : ١٧ .
[٥] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج١ : ٦٢٧ ، وابن كثير ، أبا الفداء ، عمادالدين إسماعيل(ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم ، ٤ج ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٦٩ م ، ج١ : ٥٩١ .
[٦] انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ : ٥٤٥ .
[٧] إبراهيم : ٥٢ .
[٨] انظر: الشوكاني ، فتح القدير،ج٣ : ١٦٣ .

أمّا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ، ففي الكهف جـاء رداً على المُكذبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الأنبياء ردّاً على المشركين. وفي قولـه تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ جاء ردّاً على قوم إبراهيم .

أما السبب الآخر فهو التشابه في الدلالة مع آية أخرى ، فقوله تعـالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ جاء ما يدل على المعنى نفسه ولكن بالنفي والاستثناء ، وهو قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.[١]

ورُبّ سائل يقول إذا كانت (إنما) تحمل دلالة النفي والاستثناء نفسها ، فلمَ لمْ يـأتِ فـي مواضع (إنما) بالنفي والاستثناء ؟ والسبب : أن (إنما) تحمل معنىً إضـافياً لا يحملـه النفـي والاستثناء ، وهو التعريض ؛ فهي ليست فقط للرد عليهم ، وإنما لذم المردود عليهم والتعريض بهم ، تفسير ذلك أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ هو ردّ على النصارى إضافة إلى ذمّهـم والتعريض بهم ، وهذا المعنى الإضافي جاء من (إنما) .[٢]

وليس معنى إفادتها الحصر أنّ (إنّ) للإثبات ، و(ما) للنفي ، ولكن معنى الحصر مُتـأتٍ بالمفهوم ، لأن (إنّ) ليست للإثبات بل هي للتأكيد ، و(ما) ليست للنفي بل زائـدة ، جـاء فـي المغنى: "... ليست (إنّ) للإثبات ، وإنما هي لتوكيد الكلام إثباتاً كان، مثل: (إنّ زيـداً قـائم) أو نفياً ، مثل: (إنّ زيداً ليس بقائم) ، ومنه (إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً) ، وليس (ما) للنفي بل هـي بمنزلتها في أخواتها ليتما ، ولعلّما ، ولكنّما ، وكأنّما ".[٣]

وقد قالوا إن القصر بـ(إنما) " يجيء لخبرٍ لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة . وتفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم ، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويُقرّ به ، إلا أنك تريد أن تُنبهـه للـذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب...وأما مثال هذه المنزلة فكقوله :

إنما مصعب شهاب من اللـــ ـــه تجلت عن وجهه الظلماء

---

[١] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج١ : ٣٠٠ .
[٢] انظر : الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٨١ – ٢٨٣ .
[٣] ابن هشام ، المغني ، ج١ : ٣٠٧

ادّعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع ... ".[١]

وعند استقراء آيات التوحيد التي جاء الحصر فيها بـــ(إنما) ، نجد أن الحصر فيهـــا لـــم يأتِ لخبر لا يجهله المُخاطَب ولا يدفع صحته ، فمن أُلقي إليهم هذا الخبر هم النصارى القائلون بالتثليث ، والمشركون ، والذين يتخذون إلهين من دون الله ، والمُكذبون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء يدفعون صحة الخبر المُلقى إليهم ، وإنما أنزلهم الله منزلة مـــن لا يجهـــل الخبر لما في الخطاب المُوجه إليهم من أمر ظاهر معلوم لا يُمكن أن يجهله أحد.

ويبدو في هذا المعنى زيادة في التعريض بهم وذمّهم ، بمعنى أنهم يعلمون الحق وهو أنه – سبحانه– إله واحد ، إلا أنهم ضالون لا يريدون الإقرار بذلك .

فالأسلوب اللغوي وهو الحصر بـــ(إنما) هو الذي أعطى هذه الدلالة ، وهذا لا يحصـــل من دون (إنما) ، فلو قلت: (الله إله واحد) أو (إلهكم إله واحد) لكان مُجرّد وصف لله بالألوهيـــة الواحدة ، ولانتفى الحصر الدال على الرد على قولهم والتعريض بهم وذمهم .

---

[١] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٢٦٤ – ٢٦٦

الطريقة الثالثة : تقديم ما حقُّه التأخير

هذه الطريقة موزعة على أبواب كثيرة من أبواب النحو ، كتقديم المفعول به ، وتقديم الخبر المُفرَد أو الظرف أو الجار والمجرور على المبتدأ ، أو تقديم الجار والمجرور على عامله.

أما الأغراض التي من أجلها يتم التقديم فهي:

١. **الاختصاص** : وهو من أبرز أغراض التقديم وأهمها ، وهو أن تخصّ المتقدم بالحكم نفياً أو إثباتاً دون غيره ، فقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[(١)]، قدّم المفعول به (إيّاك) لتخصيصه بحكم العبادة ، على معنى نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك ، بخلاف لو أخّر وقال (نعبدك) لاحتمل أن تكون العبادة لغيره تعالى ، فالتقديم أبلغ في التوحيد وأبعد عن احتمال الشرك[(٢)].

لهذا نقول: إنّ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ جملة مغلقة* ذات دلالة قطعية ، وهي الدلالة على التوحيد ، أما (نعبدك) فهي جملة مفتوحة* ذات دلالة احتمالية ، وهي احتمال عبادة الله ، وعبادة غيره ، فـ(إيّاك نعبد) توحيد ، و(نعبدك) شرك على معنى نعبدك ونعبد غيرك .

كذلك قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(٤)] ، وقوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[(٥)].

---

(١) الفاتحة : ٥ .

(٢) انظر: الآلوسي ، روح المعاني ، ج١ : ٨٧ .

* مصطلح الجملة المفتوحة جملة ذات دلالة ثنائية ، فإذا قلنا (نعبدك) دلّت على عبادة الله وعبادة غيره.

* مُصطلح الجملة المغلقة يعني الجملة التي تحمل دلالة واحدة وهي في قوله تعالى : (إياك نعبد) الدلالة على التوحيد أي لا نعبد غيرك. وهذان المصطلحان أشار إليهما د. إسماعيل عمايرة . وأطلق عليهما د. السامرائي : الدلالة القطعية (جملة مغلقة) ، والدلالة الاحتمالية (جملة مفتوحة). انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج١: ١٧.

(٣) البقرة : ١٧٢ .

(٤) الزمر : ٦٦ .

(٥) الزمر : ٦٤

وقوله: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾[١] ، وقولــه: ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾[٢] ، وقوله: ﴿ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣] ، الغرض من تقديم المفعول به فيها للاختصاص[٤].

أمّا قولــه تعــالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] ، فقــدّم الخبــر الجــار والمجرور (له) على المبتدأ (الخلق) لتخصيص الخلق بالله تعالى ؛ بمعنى أنه هو الــذي خلــق الأشياء كلها ، وهو الذي صرّفها على حسب إرادته[٦] ، ولو قال: (الخلق والأمــر لــه) لكــان إخباراً بأن الخلق والأمر له دون نفيه عن غيره . فتقديم الجار والمجرور أفاد حصرهما عليــه واختصاصهما به دون غيره.وأغلب الآيات التي قُدّم فيها الخبر (الجار والمجرور) على المبتــدأ جاءت للاختصاص .

أمّا قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٧] ، فقُدِّم الجار والمجرور (في السماء) على مُتعلقه الخبر وهو (إله) المتضمن معنى معبود ، لغرض تخصيصه تعالى باستحقاق الألوهية[٨].

٢. **الاهتمام والعناية بالمتقدم** : أغلب المواضع التي يتم فيها التقديم تكون من أجــل هــذا الغرض ؛ لأن المتكلم لا يُقدّم إلا ماهو مهتمٌ ومعنيٌّ به[٩] ، ومعنى ذلك أنّ قوله تعــالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قُدِّم المفعول به للاهتمام والعناية للمتقدم ثم لتخصيصه بالحكم وهو العبــادة ، وهذا ينطبق على الآيات جميعها التي حصل فيها التقديم .

---

(١) الأنعام : ١٦٤.
(٢) سبأ : ٤٠ .
(٣) العنكبوت : ٥٦
(٤) انظر :الزمخشري ، الكشاف، ج١: ٥٦، ٢٤٠ ، وج٣ : ٤٦٥ ، والآلوسي ، روح المعاني ، ج١: ٨٧ ، وج٢ : ٤١ .
(٥) الأعراف : ٥٤ .
(٦) الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ : ١٠٤ .
(٧) الزخرف : ٨٤ .
(٨) انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ : ٢٦٩ – ٢٧٠ ، والبيضاوي ، أبا سعيد ، ناصر الدين ، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، (ت ٧٩١ هـ) ، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ٥ج ، تحقيق عبدالقادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦ م ، ج٥ : ١٥٥ .
(٩) انظر: سيبويه ، الكتاب ، ج١ : ٣٤ ، والجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٩٩ .

٣. **مُراعاة المُشاكلة لرؤوس الآي في التسجيع** : كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ ليطابق قوله (مؤمنون) و (تكذبون) التي بعدها .وقوله ﴿وربك فكبر﴾ لتُطابق (فأنذر) التي قبلها و(فطهر) التي بعدها . وقوله: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لتطابق (تهتدون) التي قبلها و(تعقلون) التي بعدها ، وقوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ لتُطابق (تعملون) التي قبلها، و(ترجعون) التي بعدها.[١]

هذا مُحتمل ، ولكن غرض الاهتمام والعناية بالمُتقدم من أجل تخصيصه بالحكم ، أولى من غرض مراعاة مشاكلة رؤوس الآي.

٤. **التوجيه والتعليم:** كقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٢] ، وهذا – أيضاً– من باب التخصيص بهدف التعليم والتوجيه ؛ بمعنى : خُصّ يا محمد ربك بالتكبير . فهو يُخصص التكبير بالله ، ثم تعليم تكبير الله لمحمد صلى الله عليه وسلم[٣].

(١) انظر: السيوطي ، الإتقان ، ج٣ : ٢٣٦ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج١ : ١٤١ .
(٢) المدثر : ٣ .
(٣) انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٢ : ٢١٧ .

جدول٢. الآيات التي جاءت بأسلوب القصر بـــ(النفي والاستثناء)

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١.﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	البقرة/١٦٣، آل عمران/٢،٦،١٨ ، النساء/٨٧، الأنعام/١٠٢،١٠٦، الأعراف/ ١٥٨، التوبة/٣١،١٢٩، هود/١٤، الرعد/٣٠ ، طه/٨ ، ٩٨، المؤمنون/١١٦ ، النمل/٢٦ ، القصص/٧٠ ، ١٨ ، فاطر/٣، الزمر/٦ ، غافر/٣،٦٢، ٦٥، الدخان/٨، الحشر/٢٢ ، ٢٣، التغابن/١٣، المزمل/٩ .	ألوهية
٢.﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	آل عمران/٦٢ ، ص/٦٥ .	ألوهية
٣.﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	المائدة/٧٣ .	ألوهية
٤.﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾	الأعراف٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود٥٠،٦١،٨٤، المؤمنون/ ٢٣،٣٢	ألوهية
٥.﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ... ﴾	يونس/٩٠ .	ألوهية
٦.﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾	النحل/٢ ، طه/١٤ ، الأنبياء/ ٢٥.	ألوهية
٧.﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	الصافات/٣٥ .	ألوهية
٨.﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾	التوبة/٣١ .	ألوهية
٩.﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	البينة/٥ .	ألوهية
١٠.﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	آل عمران/٦٤ .	ألوهية
١١.﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات/٥٦ .	ربوبية
١٢.﴿ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾	الإسراء/١٠٢ .	ربوبية
١٣.﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ .. ﴾	الإسراء/٢٣ .	ألوهية
١٤.﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	يونس/٥ .	ربوبية
١٥.﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	الحجر/٨٥ ، الأحقاف/٣ .	ربوبية
١٦.﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الدخان/٣٩ .	ربوبية
١٧.﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	لقمان/٢٨ .	ربوبية
١٨.﴿ ...أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ... ﴾	هود/٢،٢٦، فصلت/١٤، الأحقاف ٢١	ألوهية
١٩.﴿ ...لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ... ﴾	البقرة/٨٣ .	ألوهية

٢٠.﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	يوسف/٤٠ .	ألوهية

جدول ٣ . الآيات التي جاءت بأسلوب القصر بـــ(إنّما) :

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١.﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	النساء/١٧١ .	ألوهية
٢.﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	الأنعام/١٩ ، النحل/٥١ .	ألوهية
٣.﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	إبراهيم/٥٢ .	ألوهية
٤.﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	الكهف/١١٠ ، الأنبياء/١٠٨ ، فُصلت/٦	ألوهية
٥.﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾	العنكبوت/١٧ .	ألوهية

جدول٤ . الآيات التي جاءت بأسلوب القصر بـــ (تقديم ما حقه التأخير):

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١.﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	الفاتحة/٥ .	ألوهية
٢.﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	البقرة/١٧٢ .	ألوهية
٣.﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾	الأنعام/١٦٤ .	ألوهية
٤.﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف/٥٤ .	ربوبية
٥﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	الروم/٢٢،الشورى/٢٩	ربوبية
٦.﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم ﴾	الروم/٢٠ ، ٢١ .	ربوبية
٧.﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	الزمر/٦٦ .	ألوهية
٨.﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾	الزمر/٦٤ .	ألوهية
٩.﴿ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾	العنكبوت/٥٦ .	ألوهية
١٠.﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾	سبأ/٤٠ .	ألوهية
١١.﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	الجاثية/٤ .	ربوبية
١٢.﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	الزخرف/٨٤ .	ألوهية
١٣.﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾	المدثر/٣ .	ألوهية

الأسلوب الثاني : الاستفهام

الاستفهام : هو طلب أمرٍ من المُخاطَب لم يستقر عند السائل[١].

أو "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، أو لم يكن مؤكداً لمعرفتــه عــدداً ، وصفةً ، ونوعاً ، وجودةً ".[٢]

والاستفهام يكون بإحدى أدوات الاستفهام وهي : الهمزة ، وهل ، ومن ، وما ، ومتى ، وأيّان ، وكيف ، وأين ، وأنّى ، وكم ، وأيّ.

وتنقسم بحسب الطلب إلى : "ما يُطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى ، وهــو: الهمزة . وما يُطلب به التصديق فقط ، وهو : هل. وما يُطلب به التصور ، وهو بقيــة ألفــاظ الاستفهام ."[٣] والمقصود بالتصور : ما يُجاب عنه بالتعيين ، وبالتصديق : مــا يُجــاب عنــه بــ(نعم) أو(لا).

والاستفهام في الآيات المُختارة جاء بــ:

أولاً : الهمزة : أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً وأكثرها استخداماً في الآيات المُختارة ؛ لأنّها تُستعمل للتصور والتصديق . حيث بلغ الاستفهام بالهمزة في القــرآن أربعمئــة وخمســاً وستين مرة[٤] .

فالتصور: هو إدراك المفرد ، فالنسبة تكون معلومة ، وإنما التردد يكون بالمسؤول عنه ، فالمسؤول متردد في تعيين أحد الشيئين ، لهذا تُذكر بينهما (أم) المتصلة المعادلة.[٥]

معنى ذلك أن قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ ؛ النسبة فيها معلومة وهي ضعف خلق البشر بالنسبة للمخلوقات السماوية، ولكن الاستفهام يطلــب منهم الإقراربالمقصود من طرفي الاستفهام ،وهو الإيمان بالبعث وقدرة الله على إعادة الخلق.[٦]

---

[١] انظر : سيبويه ، الكتاب ، ج١ : ٩٩ .
[٢] الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبــديع ، ط١ ، تحقيــق محمد التونجي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ١٩٩٩ م : ٩٥ .
[٣] المصدر نفسه: ٩٥ .
[٤] العمايرة ، إسماعيل والسيد ، عبد الحميد ، (١٩٨٨م) معجم الأدوات والضمائر في القــرآن الكريم . (ط ٢). عمان : مؤسسة الرسالة ، بيروت :ص ١ –١١.
[٥] انظر: المصدر نفسه : ٩٥ – ٩٦ ، ومحمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قــراءة أخــرى : ٢٨٦ – ٢٨٧ .
[٦] انظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٢٣ :٩٤– ٩٥ .

فهناك تصوّر مُسبق لدى السائل : وهو ما ادّعوه ، وهذا يعلمه السائل (وقوع النسبة) ، وإنما أراد بالاستفهام تعيين أحدهما .

وفي قوله : ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ ، النسبة معلومة وهي قدرة الله على الخلق ، وهي متصوّر سابق لدى السائل ، وإنما أراد تعيين (أنتم) أو (نحن) ، لإبطال زعمهم وهو قدرتهم على الخلق ، وإثباته لله تعالى[١]. وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ ، وهذه هي الآيات التي جاءت للتصوُّر في الآيات المُختارة. والاستفهام فيها ليس بالهمزة وحدها، بل بالهمزة و(أم).[٢]

أمّا التصديق: فـ " هوإدراك وقوع نسبة تامة بين المُسنَد والمُسنَد إليه ، أو عدم وقوعها، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن ممّا استُفهم عنه في جملته مُصدِّقاً للجواب، إثباتاً (بنعم) أو نفياً (بلا) "[٣].

فهناك تصور ذهني سابق لكل طرف من طرفي الإسناد ، والعلاقة بينهما (الإسناد) متصورَّة أيضاً ، ولكن وقوع هذه العلاقة أو عدم وقوعها هو المُراد إدراكه ، أي المُستَفهم عنه أهو مُحققٌ أم لا[٤] .

وإذا طبّقنا القاعدة السابقة على قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾؛ تصبح الرؤية مُتصورّة (أرأيت) ، و(الذي اتخذ إلهه هواه) أيضاً مُتصورّة ، والنسبة بينهما و(وهو رؤية الذي اتخذ إلهه هواه) متصورّة، ولكن وقوع النسبة بينهما أهو مُحقق أم لا ، وهذا هو المقصود بالتصديق ، وهو إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له ، وهنا النسبة موافقة لما في الواقع ؛ لأن المشركين يختارون الإله حسب ما تهواه أنفسهم ، فالمُراد من هذا الاستفهام هو التعجب من حالهم[٥]، والتنبيه على هذه الحالة التي تدل على الجهل والغباء.

قلنا إن المُستفهَم عنه يلي الهمزة ، وهو المُستهدَف في الاستفهام ، لهذا يتوجه الاهتمام إليه ، فإذا كان فعلاً كان غرض الاستفهام موجهاً إليه ، وإذا كان اسماً توجّه غرض الاستفهام إلى هذا الاسم.

---

(١) انظر : ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج٢٧ : ٣١٤

(٢) انظر :محمود عبدالله جقّال، (١٩٩٩م)،أم في اللغة والقرآن،دراسات،٢٦(ملحق)،٨٩٥-٩٠٨.

(٣) الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ٩٦ .

(٤) انظر: محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى : ٢٨٦ .

(٥) انظر: البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج٤ : ٢١٩ ، والشوكاني ، فتح القدير ، ج٤ : ١٠٤

جاء في دلائل الإعجاز :"ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة ، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل ، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه. "(١)

ومعنى ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ، التعجُّب من قول محمد صلى الله عليه وسلم وهو جعله الآلهة إلهاً واحداً ، أو إنكارهم لقوله وهو أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فالإنكار والتعجب موجه إلى الفعل . أما قوله تعالى : ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ ، فالإنكار موجه إلى الاسم على معنى "أغيره يقرن ويجعل شريكاً له".(٢)

أما المعاني التي خرج إليها الاستفهام بالهمزة في الآيات المُختارة فقد انحصرت في أربعة معانٍ هي :

١. **الإنكار:** وذلك كقوله تعالى : ﴿ أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ ، فقد أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة ، وترك دين الآباء(٣) . وقوله : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ ، هو خطاب للكفار يُنكر عليهم قولهم إن الملائكة بنات الله وفيه توبيخ وتقريع على قولهم هذا.(٤)

وهذا الإنكار جاء في (ثلاثٍ وعشرين آية) من مجموع آيات الاستفهام بالهمزة البالغ (واحدة وثلاثين آية) ، مع العلم بأن هناك آيات تحتمل مع الإنكار معنىً آخر كالنفي أو التقرير، وسنوضح ذلك لاحقاً في جدول خاص بذلك ، وما عرضناه سابقاً على سبيل التمثيل لا الحصر.

٢. **التقرير:** وهو "حملك المُخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه "(٥)، وهو مُختص بالوقوع بعد النفي والإثبات ، خلافاً لما قيل إنه يختص بالوقوع بعد النفي(٦)، حيث جاء في الآيات المُختارة بعد النفي والإثبات ، فمن وقوعه بعد النفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ

---

(١) الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ١٠٢ .
(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ٣٨٠ .
(٣) المصدر السابق : ج٢ : ١١١ .
(٤) انظر: الرازي،التفسير الكبير ، ج٢٠ : ٢١٧،والشوكاني،فتح القدير ، ج٣ : ٣١٧ – ٣١٨ .
(٥) ابن هشام ، المغني ، ج١ : ١٨ .
(٦) انظر السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢٠١ .

أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾ ، ومن وقوعه بعد الإثبات قولـــه تعـــالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ ، وقوله: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾.

٣. **التعجُّب والتعجيب:** كقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾، فقـد خرج الاستفهام في الآية السابقة لغرض التعجب من حال المشركين الذين يتخذون آلهة وفق مـا تهواه أنفسهم ، وقد يشترك مع التعجب غرض آخر كالإنكار ، مثل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ، فالتعجب من حالة الإنسان ، الذي تصدّى – على مهانة أصله ودناءة أوله – لمخاصمة الجبار ، وتمادى في كفره، وأفرط في جحود النعم التي أنعمهـا الله عليه.[١]

٤. **النفي:** كقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي لم نعيَ به [٢]. وقد تكون للإنكار، والمعنى :"أنّا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول، حتى نعجزعن الثاني "[٣] ، والذي يبدو أنّ الغرض في الآية السابقة هو إنكار يتضمن معنى النفـي ، والمعنـى : إنكـار عجزنا عن الخلق مع نفينا للتعب المُصاحب لهذا الخلق . كما في قوله تعـالى: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ فالمعنى : إنكار الشريك لله ، ونفي وجود الآلهة في الوقت نفسه .

هذه هي المعاني التي خرج إليها الاستفهام بالهمزة في الآيات المُختارة، وقد غلب عليها معنى الإنكار ، وسبب ذلك أن الهمزة مُختصة بهذا الغرض ، جاء في المُغنـي :"وقـد يكـون الإنكار مُقتضياً لوقوع الفعل ... ، وذلك إذا كان بمعنى ما كان ينبغـي لـك أن تفعـل ، نحـو أتضرب زيداً وهو أخوك"[٤] ثم يذكر أن هذا النوع من الإنكار مختص بالهمزة.

ومعنى ذلك أن المُستفهم عنه واقع ، والآية لم تُرد أن تستفهم عن ذلك، وإنما أرادت أن تنكر ذلك ، وهذا يُلائم آيات التوحيد ، فالمخاطبون بالاستفهام يُشركون مع الله ، ويعبدون غيره ، ويُثبتون صفات لله هو منزّه عنها (ألربك البنات) ، ويُنكرون إعادة الخلق (البعث) ، وغيرهـا

---

[١] الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ : ٣٢ .
[٢] انظر : الدرويش ، إعراب القرآن ، ج٧ : ٢٦٨ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢٠٢.
[٣] ابن هشام ، المغني ، ج٢ : ٣٨٥ .
[٤] انظر: الزركشي ، البرهان ، ج٤ : ٤٥٧ ، وج٢ : ٣٦١ .

من مقتضيات التوحيد ، ومن الطبيعي أن يُنكر الله عليهم هذا بأسلوب حجاجٍ قوي فجاء بأسلوب الاستفهام ، واختار الهمزة لأنها تحمل معنى الرد على إنكارهم .

وقد جاءت الهمزة في معظم الآيات للتصديق ، إلا في أربع آيات ، جـاءت للتصـور ، وربّ سائل يقول : لمَ استخدم الهمزة ولم يستخدم هل؟ وسبب ذلك أن الهمزة لا يُستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يُستفهم عنه ، بخلاف "هل" فإنه لا ترجح عنده بنفي ولا إثبات .[١]

معنى ذلك أن المُستفهم عنه في قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾وهو إشراكهم مع الله ، معلوم مثبت ، مستوثق منه لدى السائل ، وإنما أراد من الاستفهام أن يُنكر عليهم فعلهم هذا.

فالهمزة ذات دلالة ثنائية :

١. الغرض الذي من أجله أتى الاستفهام (إنكار ، تقرير ، نفي ، ....).
٢. توقع إثبات المُستفهم عنه .

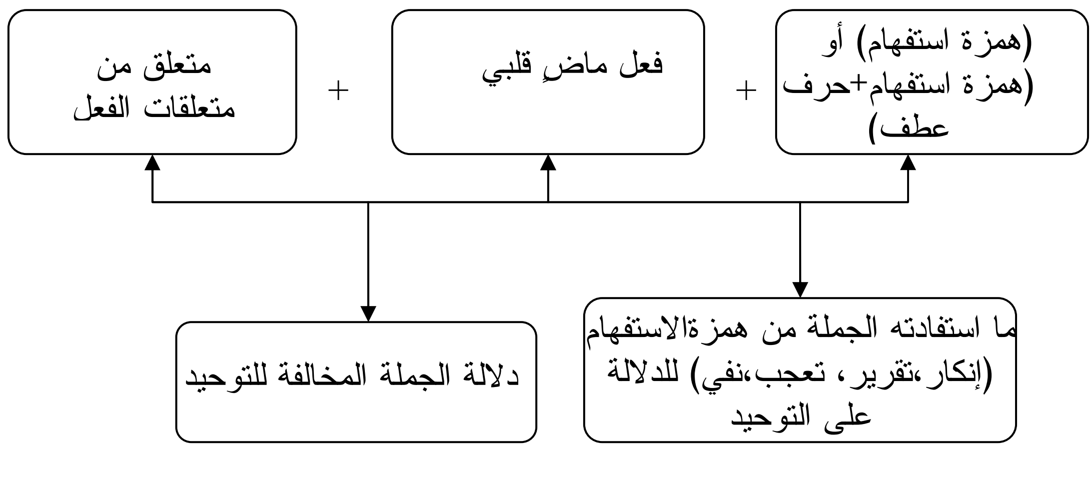
تفسير ذلك : أنك إذا كنت متوقع النجاح ومستوثقاً منه تسأل تقول : (أنجحت؟) . أما إذا لـم تكن متوقع النجاح ، فتقول : (هل نجحت ؟).

أمّا بناء جملة الاستفهام بالهمزة في آيات التوحيد ، فقد دخلت الهمزة على :

١. **الجملة الفعلية** : ودخلت الهمزة على :

أ- الفعل الماضي : وصورُه هي :

الصورة الأولى :



وردت الصورة السابقة في خمس آيات من الآيات المختارة هي :

---

[١] انظر : الزركشي ، البرهان ، ج٢ : ٣٦١ ، وج٤ : ٤٥٧.

١. ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

المعيار التوحيدي : توحيد ألوهية ، بالتعجب من اتخاذ الكفار آلهة متعددة وإشراكهم مع الله آلهة أخرى ، وفق ما تهواه أنفسهم ، فهو يتعجب من هذه العبادة وهذا الشرك وينكرها عليهم ، ، مع علمهم بأنها آلهة باطلة غير مستحقة للعبادة [١].

٢. ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ألوهية ، بإنكارهم ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم- وهو جعل آلهتهم إلهاً واحداً ، والتعجب من دعوته إياهم إلى عبادة الله الواحد[٢].

٣. ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ المعيار التوحيدي: توحيد ألوهية ، بإنكار تعدد الآلهة ،والأمر بعبادة إله واحد ، واعتبار التوحيد هو أساس دين الله الواحد منذ أقدم رسول[٣] .

٤. ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بإنكار اعتقادهم بعبثية خلقهم وعدم رجوعهم إلى الله، ونفي أن يكون خلقهم من أجل العبث ، وإنما للعبادة[٤].

---

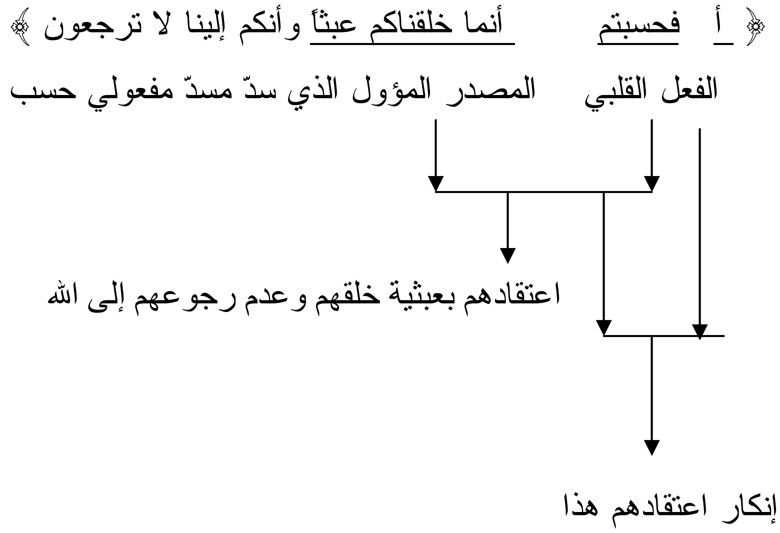
[١] انظر : أبا حيان، البحر المحيط ،ج٨ : ١١٠ ، ج٩: ٤٢٢، وسيد قطب ، في ظلال القرآن، ط١١، ٣٠ج في ٦مج، دار الشروق، بيروت ١٩٨٥م ، ج٢٥: ٣٢٣٠ ، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج١٩ : ٣٥

[٢] انظر : أبا حيان، البحر المحيط ، ج٩: ١٣٨، وسيد قطب ، في ظلال القرآن، ، ج٢٣: ٣٠٠٩ ، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣ : ٢١١

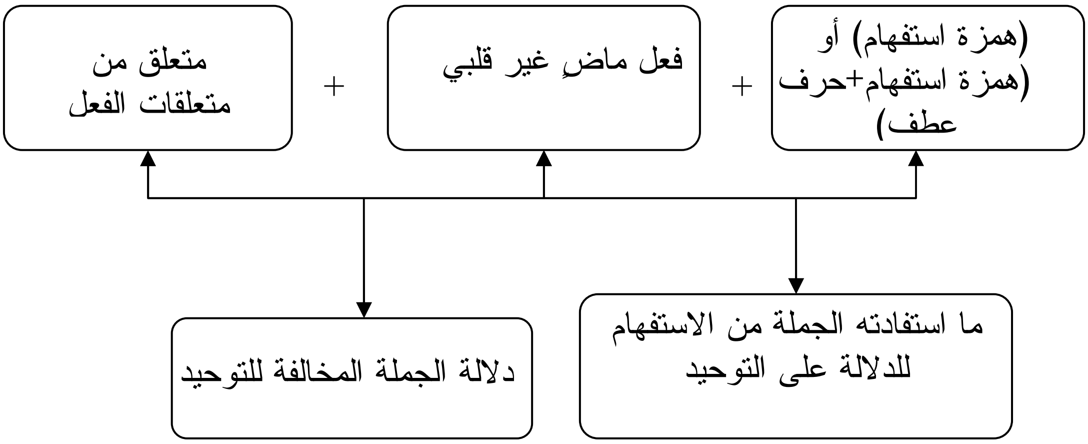
[٣] انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج٢٥: ٣١٩١ ، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٢٥ : ٢٢٢

[٤] انظر : أبا حيان، البحر المحيط ، ج٧ : ٥٨٩

توضيح الصورة السابقة على واحدة من الآيات:



الصورة الثانية :



وردت هذه الصورة في آيتين :

١. ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ألوهية ، بإنكار المشركين الاعتراف بأنه هو الواحد المستحق للعبادة ، دون معبوداتهم ، التي جعلوها شركاء لله . فهم كذبوا نبيهم وانكروا دعوته للتوحيد[1].

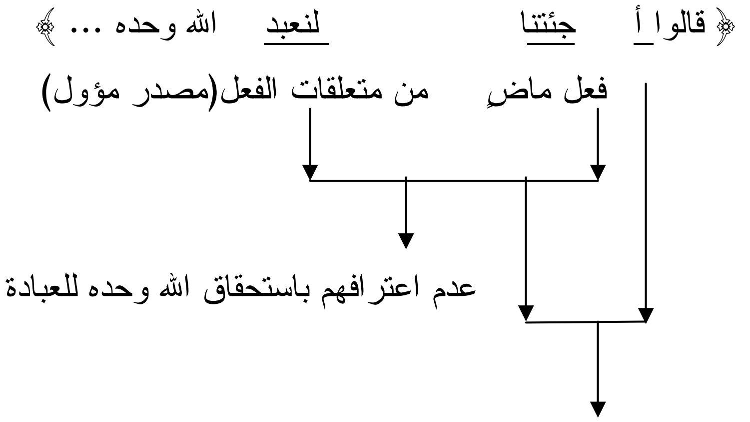
---

[1] انظر : أبا حيان،البحر المحيط ،ج٥: ٨٨، والشوكاني ، فتح القدير،ج ٢ : ٣٠٨،وسيد قطب ، في ظلال القرآن، ج٨: ١٣٠٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٨ : ٢٠٧

٢. ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾

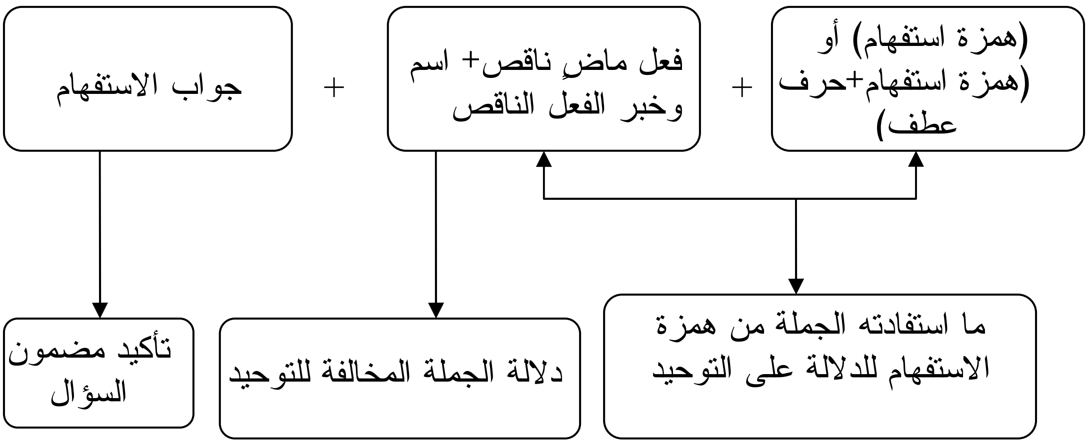
المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بإنكار عجزه – سبحانه- عن الخلق ، مع نفيه للتعب المصاحب لهذا الخلق. فالآية بيان لقدرة الله على الخلق، وعدم عجزه عن إعادته[١]

توضيح الصورة السابقة:



إنكار المشركين الاعتراف بأنه هو الواحد المستحق للعبادة.

الصورة الثالثة :



وردت هذه الصورة في آيتين هما:

١. ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بالاعتراف بأنه – سبحانه- هو الربّ الخالق [٢].

---

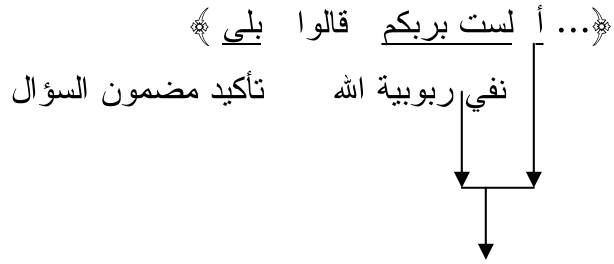
[١] انظر: الشوكاني ، فتح القدير،ج٥ :٩٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٢٦ : ٢٩٧

[٢] ا نظر : الزمخشري ،الكشاف ، ج٢: ١٦٦، وأبا حيان،البحر المحيط ،ج٥: ٢١٨- ٢١٩

٢. ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بالاعتراف بقدرته – سبحانه– على الخلق[١].

– توضيح الصورة السابقة :

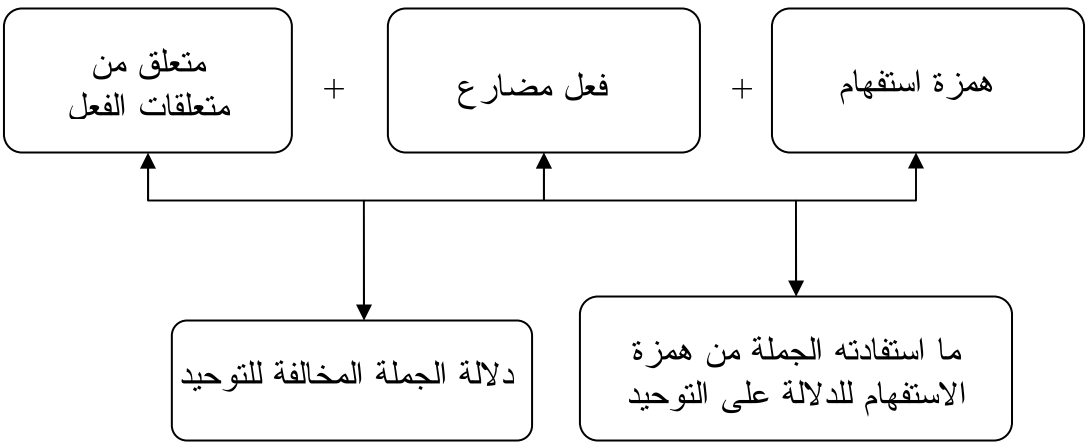


الإقرار والإعتراف بمضمون السؤال إثباتاً أو نفياً وقد اعترفوا بالإيجاب عن طريق الجواب ببلى ؛ أي شهدنا بأنك ربنا لا إله إلا أنت. جاء الخبر في هذه الصورة مجروراً بالباء وذلك لتأكيد نسبة المُسند إلى المُسند إليه (الدلالة التوحيدية) على وجه الإثبات ، أي إثبات صفتين من صفات الله تعالى وهما (الربوبية والقدرة) لأن هناك من ينكرونها.

ب– الفعل المُضارع : ويُقسم إلى:

١– الفعل المضارع المُثبت : وله صورتان:

الصورة الأولى :



ووردت هذه الصورة في آيتين هما:

١. ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾

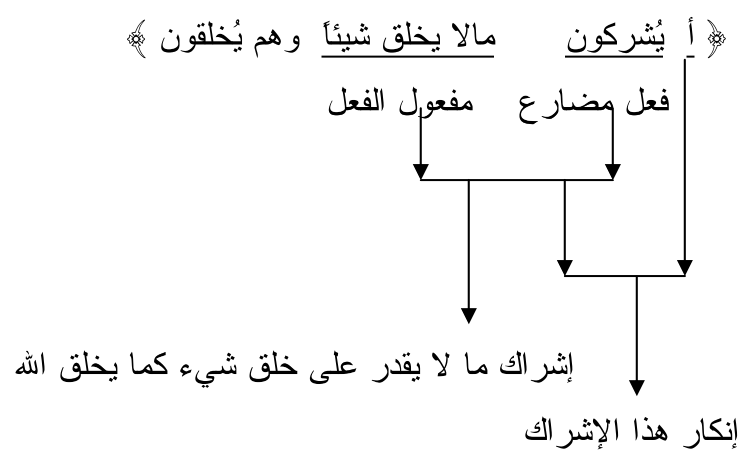
[١] انظر : الزمخشري ،الكشاف ، ج٤: ٣٣-٣٤، والشوكاني ، فتح القدير،ج٤ :٥٠٦

المعيار التوحيدي: توحيد ألوهية ، بإنكار اتخاذ غير الله إلهاً يُعبد يضر وينفع. فهي دعوة لعبادة الله وحده المستحق للعبادة ، وترك كل ما يعبد من دون الله [١].

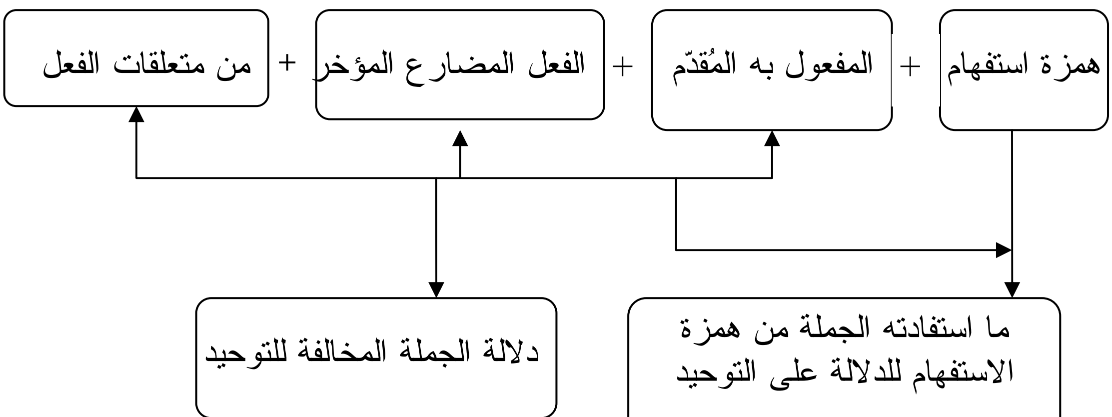
٢. ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بإنكار قدرة غيره على الخلق ، وإثبات القدرة له – سبحانه–، فالله هو الذي يخلقهم ويوجدهم ، وأصنامهم عاجزة لا تستطيع خلق شيء كما يخلق الله ، والذي يخلق هو الذي يستحق أن يعبد [٢].

– توضيح الصورة السابقة:



الصورة الثانية:



---

(١) انظر : أبا حيان،البحر المحيط ،ج٩: ٥٦،والشوكاني ، فتح القدير،ج ٤ : ٤٨١،وسيد قطب ،في ظلال القرآن، ج٢٢: ٢٩٦٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٢٢ : ٣٦٨ – ٣٦٩

(٢) انظر : أبا حيان ، البحر المحيط ،ج٥: ٢٤٨، والشوكاني ، فتح القدير،ج ٢ : ٣٩٣، وسيد قطب ، في ظلال القرآن، ج٩: ١٤١٤

ووردت هذه الصورة في آيتين هما:

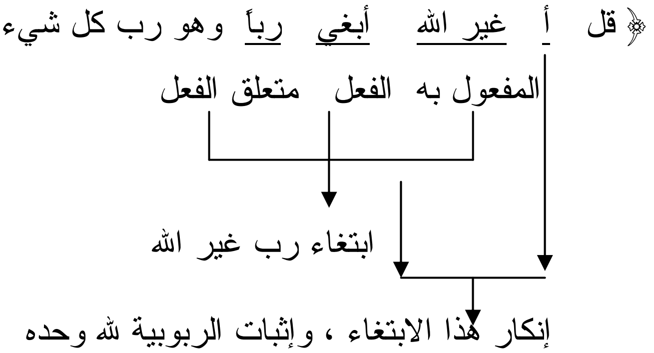
١. ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ألوهية ، بإنكار غيره أن يكون إلهاً، فهو المستحق للعبادة والألوهية ، وغيره لايستحق العبادة لعجزه .فما طلبتم لا يكون أبداً[(١)].

٢. ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾

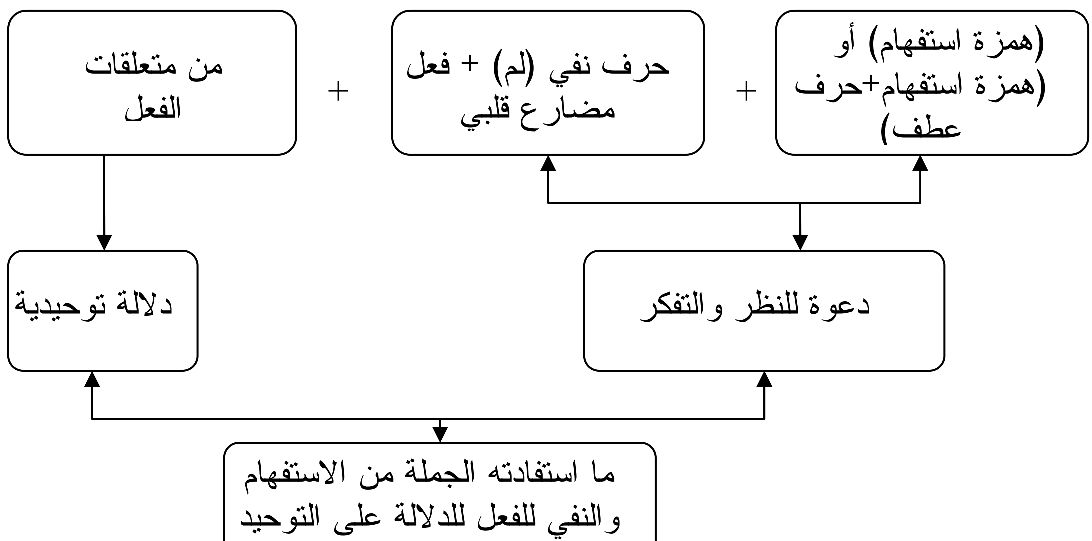
المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بإنكار غيره أن يكون رباً ، وإثبات الربوبية لله وحده.

– توضيح الصورة السابقة:



٢– الفعل المضارع المنفي : وله صورتان :

الصورة الأولى :



(١) انظر : الزمخشري ،الكشاف ، ج٢: ١٤١– ١٤٢، وأبا حيان،البحر المحيط ،ج٥: ١٥٩، والشوكاني ، فتح القدير،ج ٢ : ٣٤٢

ووردت هذه الصورة في ثماني آيات هي :

١. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية بالإقرار بأحقية الله في خلق السماوات والأرض[١].

٢. ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية، بالإنكار عليهم ادعاءهم والإقرار بأحقية الله في خلق السماوات ، وبيان كمال قدرته وبديع صنعه في هذا الخلق[٢] .

٣. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بالإقرار بقدرة الله على الخلق[٣].

٤. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بالإنكار عليهم إشراكهم مع الله آلهة لا تقدر على شيء ، وإثبات القدرة على الخلق لله تعالى، وتدبير أحوال العالم[٤].

٥. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية، بالإقرار بقدرة الله على الخلق ، والمن عليهم بملكها، فالآية تثبت تفرده –سبحانه– بالخلق[٥].

٦. ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية بالامتنان على الإنسان بمادة خلقه ، والإنكار والتعجب من مخاصمته لله بعدما عرف حقيقة منشئه[٦].

---

[١] انظر: سيد قطب،في ظلال القرآن ،ج١٣: ٢٠٩٤- ٢٠٩٥، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١٣: ٢١٤.
[٢] انظر: الشوكاني ، فتح القدير،ج ٥ :٣٩٦
[٣] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج٢: ٦٥٠-٦٥١،وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١٥:٢١٩-٢٢٠
[٤] انظر: الشوكاني ، فتح القدير،ج ٣ :٢٢٩، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١٤: ١٦٨-١٦٩
[٥] انظر: الشوكاني ، فتح القدير،ج ٤ :٥٠٣، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٢٣: ٦٧-٦٨.
[٦] انظر:الزمخشري ،الكشاف،ج٤: ٣٢،و سيد قطب،في ظلال القرآن،ج٢٣: ٢٩٨٢-٢٩٨٤، وابن عاشور ،التحرير والتنوير،ج٢٣: ٧٣-٧٤.

٧. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية، بإقرارهم بكيفية بدء الخلق الذي أنكروه، ثم الإتيان بأصعب من ذلك وهو إعادته[١].

٨. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بالإقرار بقدرة الله على الخلق ، ونفي التعب عنه[٢] .

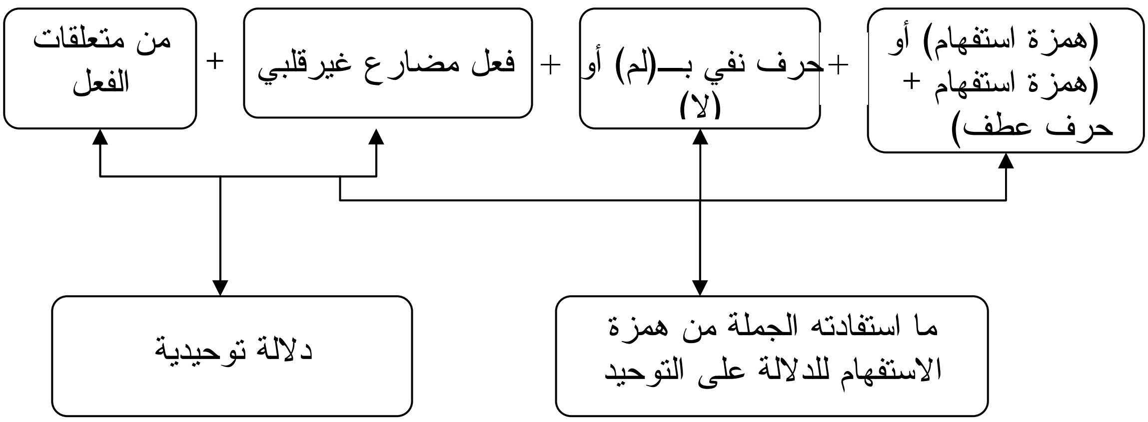
- توضيح الصورة السابقة:

﴿ ألم ترَ أنّ الله خلق السموات والأرض بالحق ﴾

دعوة للنظر والتفكر ــ دلالة توحيدية ، وهي تأكيد خلق الله للسموات والأرض

الإقرار بخصوص الجملة التوحيدية ، عن طريق النظر والتفكر في هذا الخلق ، وإثبات أحقية الله في هذا الخلق.

الصورة الثانية :



ووردت هذه الصورة في آيتين هما :

١. ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بالإقرار بكيفية خلقهم ، وإنكار كذبهم بقدرتناعلى إعادة الخلق كما بُدئ أول مرة .فالدلالة التوحيدية في الآية هي الخلق والقدرة على إعادته[٣].

---

[١] انظر: سيد قطب،في ظلال القرآن،ج٢٠: ٢٧٢٩، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٢٠: ٢٢٨
[٢] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج٤: ٣١٦
[٣] انظر :ابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٢٩: ٤٣٠-٤٣١

٢. ﴿ أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئاً﴾

المعيار التوحيدي: توحيد ربوبية ، بأن الله هو المُنشئ من العدم إلى الوجود ، فكيف ينكر هذا الإنسان هذه النشأة.فالتوحيد في الآية هو قدرة الله على الخلق وإعادته[١].

– توضيح الصورة السابقة:

﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾

خلق الإنسان من ماء مهين

طلب الإقرار بكيفية خلقهم ، أو الإنكار على من كذّب بقدرتنا على ذلك.

٢ . **الجملة الاسمية** : وصورتها معروفة هي :

همزة الاستفهام + المبتدأ والخبر + متمم لدلالة الاستفهام

أ أنتم أشد خلقا

دخل الاستفهام على المبتدأ والخبر في خمس آيات ، كقوله تعالى:﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾. كما دخل الاستفهام على (إنّ) المؤكدة للجملة الاسمية ، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾ وذلك لتأكيد بعثهم وخلقهم من جديد بعد الموت ، ولتأكيد إنكار ما يتساءلون عنه واستبعاده ، وهو عدم القدرة على إعادة الخلق .والمعيار التوحيدي في هذه الآية: توحيد ربوبية ، بالإقرار أن الله هو القادر على بعثهم من جديد بعد الموت.

هذا هو بناء جملة الاستفهام في الآيات المُختارة ، وقد غلب عليها الجملة الفعلية ؛ وقد استُفهم بالجملة الفعلية في ثلاث وعشرين آية من مجموع الآيات البالغ إحدى وثلاثين آية وفي ثمان آيات بالجملة الاسمية ، وكان نصيب الفعل المضارع الأكثر حيث ورد في أربع عشرة آية.

كما غلب على الجملة الفعلية استخدام الفعل القلبي ،فقد ورد في ثلاث عشرة آية ، وسبب ذلك ملاءمةً للمستفهم عنه ، فهو يُنكر عليهم اتخاذ آلهة من دون الله ، وعبادة غيره ، أو أن يتخذ كل منهم إلهاً على هواه ، كما يدعوهم للنظر والتفكر في خلقه للتوصل إلى قدرة الله تعالى ، وهذا يُناسبه الفعل القلبي الدال على الاعتقاد واليقين ، والجملة الفعلية الدالة على التجدّد والحدوث .

[١] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج٣: ٣٣، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١٦: ١٤٥-١٤٦

ثانيا : هل : "هو حرف موضوع لطلب التصديق الإيجـــابي، دون التصـــور ودون التصـــديق السلبي"[١]

وهي مُختصة بالتصديق ، فيُجاب عنها بنعم أو لا ، فلا تُستعمل للتصور ؛ لهذا لا يجوز استعمال (أم) المعادلة بعدها ؛ فهي لطلب الحكم فقــط ؛ لأن الحكــم فيهــا يكــون مجهــولاً ، واجتماعها مع (أم) يؤدي إلى التناقض،فــ(أم) المعادلة تُفيد أنّ السائل عالم بالحكم ، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين،فإن جاءت (أم) كذلك كانت منقطعة بمعنى (بل) التي تفيد الإضراب[٢].

وقد ورد الاستفهام بــ(هل) في الآيات المختارة مرة واحدة ، وغرض الاستفهام فيهــا خرج إلى النفي ، ومعنى النفي المُستفاد من (هل) لا يُطابق النفي بحرف النفي ؛ وذلك أنّ النفي بــ(هل) ليس نفياً محضاً بل هو استفهام أُشرب معنى النفي ، فقوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يختلف عن قولنا: (ما من خالق غير الله) ، فالأولى ليست نفياً خالصاً فإن فيها طلباً بــالإقرار وإثبات الخلق لله تعالى ، كما أنّ فيها إنكاراً وتوبيخاً لمن لا يقرّ بذلك ، فالمعنى مختلــف عــن النفي المحض ؛ لأن النفي في الثانية لا يؤدي ما أدّاه الاستفهام ، والنفي الصريح هو إقرار مــن المُخبر ، فإذا قال : (ما من خالق غير الله) كان هذا إخباراً من المــتكلم ، أمّــا إذا قــال ذلــك بالاستفهام ، فإن المقصود إشراك المخاطب في الأمر ، فهو مدعوّ لأن يجيب[٣].

والكثير في جواب (هل) أن يكون لما يتوقع أن يُجاب بالنفي ، فالإجابة عن قوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ ؟ هو: لا ، ليس من خالق غير الله يرزقنا[٤].

ثالثاً : أيّ :

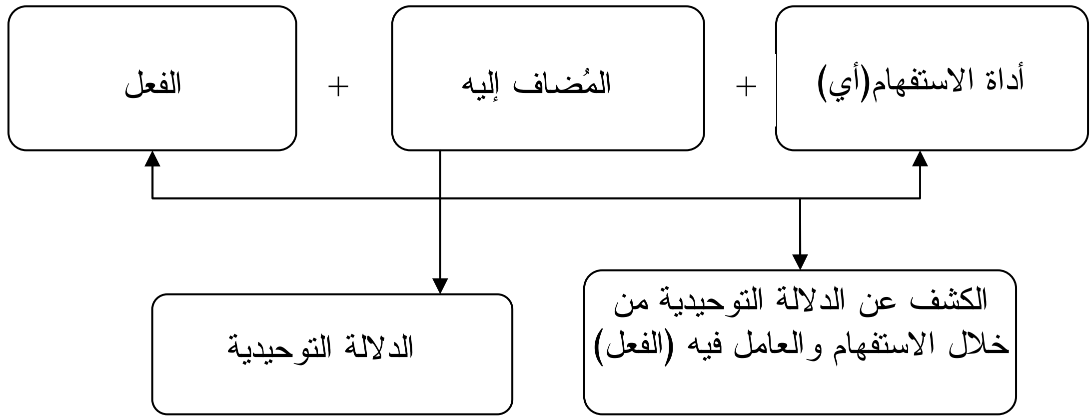
يُستَفهم بها عن الزمان ، والمكان ، والحال ، والعدد ، والعاقل وغيــره ، حســب مــا تُضاف إليه ، فهي تأخذ معناها مما تُضاف إليه ، ويُطلب بها تمييز أحد المتشاركين فــي أمــر يعمهم ، وهي معربة دون سائر أدوات الاستفهام ، ويعمل فيها ما بعدها ، ولا يجوز أن يعمــل فيها ما قبلها ، لأن لها صدر الكلام ، وعمل ما بعدها لا يُخرجها من الصدر في اللفظ[٥].

---

[١] ابن هشام : المُغني ، ج٢ : ٣٤٩ .
[٢] انظر: الهاشمي ، جواهر البلاغة : ٩٨ .
[٣] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢٠٨ – ٢١٠ .
[٤] انظر: المرجع نفسه ، ج٤ : ٢١٣ –٢١٤ .
[٥] انظر: الرماني ، أبا الحسن ، علي بن عيسى (ت ٣٨٤ هــــ) ، معــاني الحــروف ، ط٣ ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، جدة ، ١٩٨٤ م : ١٦٠ ، والهاشمي ، جواهر البلاغة : ١٠٢ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢١٩ – ٢٢٠ .

جاء الاستفهام بـــ(أيّ) في الآيات المختارة في آية واحدة ، وهي قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ ، خرج الاستفهام للتقرير مع التحقيـــر ، بمعنـــى: "من أيّ شيء حقير مُهين خلقه ، ثم بيّن ذلك الشيء بقوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ "[١]. والمعيار التوحيدي في هذه الآية توحيد ربوبية ، بنفي الخالقية عن غيره وإثباتها له –سبحانه– .

أما بناء جملة الاستفهام بـــ(أيّ) فصورته هي :



- توضيح الصورة السابقة :

قوله تعالى: ﴿من أي شيء خلقه﴾، يعمل الفعل (خلق) ، ومُتعلقه الاستفهام بـــ(أي) على كشـــف الدلالة التوحيدية المرادة من المضاف إليه وهي الإقرار بمادة خلق هذا الإنسان وهـــي النطفـــة الحقيرة .

رابعاً : ما :

يُستفهم بها عن ذوات مالا يعقل ، وأجناسه ، وصفاته ، وللسؤال عن صفة من يعقـــل ، وعن حقيقة الشيء . ويجب حذف ألفها إذا جُرّت بحرف الجر وإبقاء الفتحة دليلاً عليها.[٢]

جاء الاستفهام بـــ(ما) في الآيات المختارة في ثلاث آيات ، ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، استفهام عن حقيقة الله سبحانه وتعالى من فرعون ، والمراد بحقيقته تعـــالى

---

[١] الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ : ٧٠٣ ، وانظر : الرازي ، التفسير الكبير ، ج٣١ : ٦٠ .
[٢] انظر: ابن هشام ، المغني ، ج١ : ٢٩٨ .

صفاته وأفعاله ، لأنه لو أراد عينه لسأل بـــ(من).[١] ويُحتمل أن يكون الاســـتفهام إنكـــاراً مـــن فرعون "لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الألوهية "[٢]. والمعيار التوحيدي في هـــذه الآيـــة توحيد ربوبية ، وهو طلب فرعون معرفة حقيقة رب العالمين لأنه يُنكر للعالمين رباً سواه.

أما قوله تعالى: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فقد خرج الاستفهام للإنكـــار والتـــوبيخ ؛ أي: "ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن"[٣] ،والمعيار التوحيدي هو توحيد ربوبية ، بإنكـــار الظن به – سبحانه– . وفي قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ ، استفهام حقيقي للنظر والتفكر في خلقه ، ليعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادر على إعادتـــه ، ولتعلـــيم هـــذا الإنسان مادة خلقه ، لهذا بيّن سبحانه الشيء الذي خُلق منه بقوله: ﴿خُلق مـــن مـــاء دافـــق﴾. والمعيار التوحيدي توحيد ربوبية ، بالإقرار بأن الله هو الخالق ، الذي خلق الإنسان من نطفـــة وهي الماء الدافق[٤] .

والاستفهام الحقيقي في الآية الأخيرة لا يعني أن الله تعالى يطلب العلم بشيء لا يعلمه ، فالله مُنزّه عن ذلك ، وإنما جاء الخطاب بطريقة الاستفهام للفت انتباه المخاطَب ، وجعله يتفكـــر في مُبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ذلك ، فالاستفهام أقوى في أداء هذا المعنى ، فهو ليس طلـــب العلم بشيء وإنما دعوة للتفكر والنظر.

خامساً : من :

يُستفهم بها عن العاقل ، وتلحقها (ذا) فتصبح (من ذا) ، وفي هذا التركيب تكون (مـــن) استفهامية و(ذا) إشارة أو موصولة ، أو تكون (من ذا) كلها استفهاماً.

---

[١] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ٣١٣ ، والدرويش ، إعراب القـــرآن ، ج٥ : ٣٩٧ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢٢٤ .
[٢] الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ٣١٣ .
[٣] الدرويش ، إعراب القرآن ، ج٦ : ٤٠٤ .
[٤] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ : ٧٣٦ ، والشوكاني ، فتح القدير ، ج٥ : ٥٥٩ .

جاء الاستفهام بـــ(من) في الآيات المختارة في أربع آيات ، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ ، خرج الاستفهام للنفي ؛ أي : "لا أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم"[(١)] .

أو للتوبيخ[(٢)]،أي توبيخهم على زعمهم أن غير الله إله يقدر على ذلك.والمعيار التوحيدي في هذه الآية توحيد ألوهية،بنفي القدرة عن غيره في رد ما سلب منهم ، وإثباتها له – سبحانه–.

وخرج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾إلـــى التقريـــر ،أي الطلب من المُخاطب بأن يقرّ ان الله تعالى رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم ، فجاء الجواب إقراراً بذلك الطلب[(٣)]. والمعيار التوحيدي في الآيتين توحيد ربوبية ، بالإقرار بـــأن الله تعالى هو رب السماوات وغيره مربوبون.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ، خرج الاستفهام للإنكار ؛ أي إنكار فرعون أن يكون لموسى وهارون رب سواه. والمعيار التوحيدي : توحيد ربوبية ، باقرار موسى – عليه السلام – بربوبية الله للخلق ، ردا على إنكار فرعون .

سادساً : (أم) المنقطعة :

وهي التي تقع بين جملتين مستقلتين، ولا تكون في أول الكلام ، بل لا بدّ مـــن الابتـــداء بشيء ثم الإضراب عنه إلى شيء آخر،ومعناها في الغالب (بل) و(الهمزة الاستفهامية)،وتـــأتي على ثلاثة أحوال:فمرةً تكون مجرّدة للإضراب،كقوله تعـــالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾[(٤)]،وذلـــك لأن الاســـتفهام فـــي الأولـــى لايـــدخل علـــى استفهام،ولأن المعنى في الثانية على الإخبارعنهم باعتقاد الشركاء.ومرةً تتضمن مع الإضـــراب

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ : ١٣٣ .
(٢) انظر: الشوكاني ، فتح القدير ، ج٢ : ١٦٥ .
(٣) انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ : ٤٩٢ .
(٤) الرعد : ١٦ .

استفهاماً إنكارياً،كقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[١]،ومرةً تتضمن مع الإضراب استفهاماً طلبياً كقولهم: (إنها لإبلٌ أم شاء)[٢]. والفرق بين (أم) و(بل) ، أن ما بعد (بل) يكون يقيناً ، وما بعد (أم) مظنوناً مشكوكاً فيه[٣].

جاء الاستفهام بـــ(أم) التي بمعنى (بل) و(همزة الاستفهام) في الآيات المختارة في ثماني آيات ، خرج الاستفهام في معظمها للإنكار ، إلا في آية واحدة جاء للتقرير.

فمثال ما خرج منها للإنكار قوله تعـــالى:﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ ، فالتقدير: (بل أجعلوا لله شركاء..) ،ومعنى الهمزة :"أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى تتشابه عليهم الخلق، فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلـــق الله فاســـتحقوا العبادة كما استحقها ، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً عمّا يقدر عليه الخالق"[٤]. والمعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ربوبية ، بإنكار شـــركاء لله في الخلق وبالتالي إثبات القدرة على الخلق لله تعالى ، والعجز لكل من سواه . وبقية الآيات التي جاءت للإنكار هي:

- ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ - ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

المعيار التوحيدي في هاتين الآيتين: توحيد ألوهية ، بإنكار إشراكهم مـــع الله آلهـــة أخـــرى ،وإثبات الإله الواحد وهو الله القادر على كل شيء ،بخلاف آلهتهم غير القادرة[٥] .

- ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾

المعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ربوبية ، بإنكار قدرتهم على الخلق وإثبـــات هـــذه القدرة لله تعالى، وتوبيخهم على عدم الإقراربأن الله خالقهم، وأنه المستحق للعبادة[٦].

---

[١] الطور : ٣٩ .
[٢] انظر: ابن هشام ، المغني ، ج١ : ٤٤ – ٤٥ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج٣ : ٢١٤ – ٢١٧ ، وج٤ : ٢١٧ – ٢١٨.
[٣] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٣ : ٢١٥، ومحمود جقّـال، أم فـــي اللغـــة والقـــرآن، دراسات، ٢٦، ٨٩٦ .
[٤] البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج٣ : ٣٢٥ .
[٥] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج ٣: ١٠٩-١١٠، وأبا حيان، البحر المحـــيط،ج١٧:٤١٧-٤١٨ ، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١٧: ٣٧ ، وج٢٧: ٧٨ .
[٦] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج٤: ٤١٦،وأبا حيان،البحر المحيط،ج٩: ٥٧٥،و الشوكاني ، فتح القدير،ج٥ : ١٣٤- ١٣٥ .

- ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ المعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ربوبية ، بالإقرار أنه هو القادر على إعادة الخلق وعلى رزقهم، وفيه تـذكير لهـم بنعمـة الإيجاد ونعمة الإمداد[١].

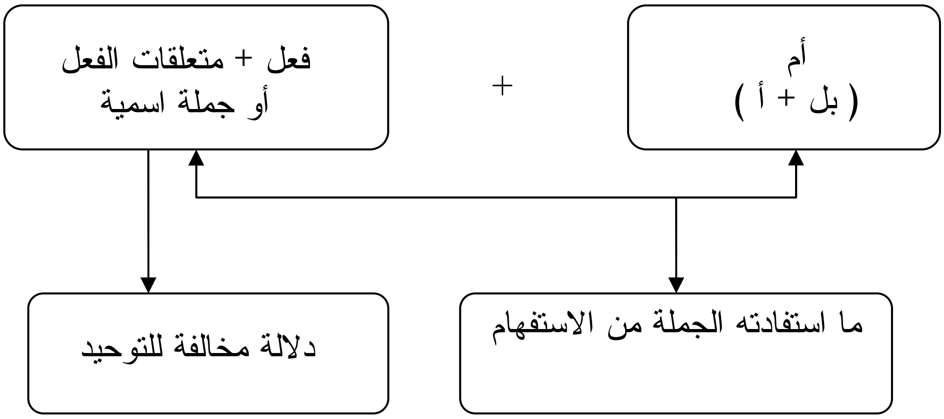
أمّا التقرير فجاء في قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ، فالتقدير: (بل أمن خلق السماوات والأرض...) ، معنى الهمزة: أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ، و الذي خلق السموات والأرض خير من جماد لا يقدر على شيء . فجاء الاسـتفهام لحملهم على الإقرار بهذا لأنه الحق[٢]. والمعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ربوبية ، بإثبات القدرة على الخلق لله تعالى ، وتقريرهم بأحقية الله بالألوهية وحده، وأكد هذا الاسـتحقاق عـن طريق ما قدمته الآيات التالية من دلائل وبراهين تثبت وحدانيته وعلمه وقدرته[٣] .

وقد يشترك مع الإنكار غرض آخر كالتوبيخ ، كما في قوله تعـالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٢ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ جاء الاستفهام لينكر ما يزعمونه بأنّ لهم آلهـة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ، ويقرّعهم ويوبّخهم على ما زعموا ، لهذا قال الله –عـزّ وجـل–: ﴿لا يستطيعون نصر أنفسـهم﴾[٤]. وقولـه تعـالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ ، والمعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ألوهية ، بإنكار تعدد الآلهة وتوبيخهم على ذلك.

---

[١] انظر: الشوكاني ، فتح القدير ، ج٤ : ١٩٤ ، وابن عاشور، التحريروالتنوير ،ج٢٠ : ١٨ .
[٢] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ٣٨٠ ، والآلوسي ، روح المعاني ، ج٢٠ : ٤ .
[٣] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج٨: ٢٥٥–٢٥٦،والشوكاني ، فتح القدير،ج٤: ١٩٢–١٩٣ ، وابن عاشور،التحريروالتنوير ،ج٢٠ : ٩ ، و١٨ .
[٤] انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٣ : ١٧٩ .

أمّا بناء جملة الاستفهام بـــ(أم) فقد جاء على الصورة الآتية:



- توضيح الصورة السابقة :

في قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾ ، عمل الاستفهام بالهمزة على إنكـــار دلالة الجملة الفعلية وهي : (أنّ الكفار اتخذوا آلهة غير الله) ، وجعلها ذات دلالة توحيدية وهي: (أن الآلهة التي يتخذونها باطلة وأن لا إله غير الله تعالى).

أمّا بقية أدوات الاستفهام فلم يأتِ عليها شيء في الآيات المختارة.

جدول ٥. آيات الاستفهام في آيات الدراسة المختارة

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي	المعنى البلاغي لأداة الاستفهام	استعمالها للتصور أو التصديق
١. ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾	النمل/٦٠-٦٤	ألوهية	إنكار متضمن معنى النفي.	تصديق
٢. ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف/ ١٤٠.	ألوهية	إنكار	تصديق
٣. ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾	الفرقـــان/ ٤٣.	ألوهية	تعجب	تصديق
٤. ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾	الجاثيـــة/ ٢٣.	ألوهية	تعجب	تصديق
٥. ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾	يـــس/ ٢٣.	ألوهية	إنكار	تصديق
٦. ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾	الصافات/ ٨٦.	ألوهية	إنكار	تصديق
٧. ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾	ص/٥.	ألوهية	إنكار وتعجب	تصديق
٨. ﴿ ...أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾	الزخرف/ ٤٥.	ألوهية	إنكار	تصديق
٩. ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ... ﴾	الأعراف/ ٧٠.	ألوهية	إنكار	تصديق
١٠. ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	الأنعـــام/ ١٦٤.	ربوبية	إنكار متضمن معنى النفي	تصديق
١١. ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ... ﴾	الزخرف/ ٣٢.	ربوبية	إنكار	تصديق
١٢. ﴿ ...وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... ﴾	الأعراف/ ١٧٢.	ربوبية	تقرير	تصديق
١٣. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	إبراهيم/١٩	ربوبية	تقرير	تصديق
١٤. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾	النحل/٤٨.	ربوبية	إنكار	تصديق
١٥. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾	الإســـراء/ ٩٩.	ربوبية	إنكار	تصديق
١٦. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الأحقـــاف/ ٣٣.	ربوبية	إنكار	تصديق

١٧. ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	يس/ ٨١	ربوبية	تقرير	تصديق
١٨. ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾	نوح/١٥.	ربوبية	إنكار	تصديق
١٩. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾	يس/ ٧١	ربوبية	تقرير	تصديق
٢٠. ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾	الصافات/ ١١.	ربوبية	تقرير	تصور
٢١. ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	المؤمنون/ ١١٥.	ربوبية	إنكار	تصديق
٢٢. ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) ﴾	يس/ ٧٧	ربوبية	إنكار تعجبي	تصديق
٢٣. ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	الواقعة/٥٨ – ٥٩.	ربوبية	تقرير	تصور
٢٤. ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾	المرسلات/ ٢٠.	ربوبية	إنكار تقريري	تصديق
٢٥. ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	النحل/١٧ .	ربوبية	إنكار	تصديق
٢٦. ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	ق/١٥.	ربوبية	إنكار متضمن معنى النفي	تصديق
٢٧. ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾	النازعات/ ٢٧	ربوبية	إنكار توبيخي	تصور
٢٨. ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾	مريم/٦٧.	ربوبية	إنكار	تصديق
٢٩. ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾	الإسراء/ ٤٩، ٩٨.	ربوبية	إنكار	تصديق
٣٠. ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	الأعراف/ ١٩١.	ربوبية	إنكار	تصديق
٣١. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	العنكبوت/ ١٩.	ربوبية	إنكار	تصديق
٣٢. ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾	فاطر/٣.	ربوبية	نفي	تصديق
٣٣. ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن	عبس/١٧–	ربوبية	تقرير وتحقير	تصديق

﴿ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾	١٩.			
٣٤.﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الشعراء/ ٢٣.	ربوبية	حقيقي أو إنكار	تصديق
٣٥.﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الصافات/ ٨٧.	ربوبية	إنكار وتوبيخ	تصديق
٣٦.﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾	الطارق/٥ -٦.	ربوبية	حقيقي تعليمي	تصديق
٣٧.﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾	الأنعام/٤٦ ، القصص/ ٧١،٧٢	ألوهية	للنفي أو التوبيخ	تصديق
٣٨.﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾	الرعد/١٦.	ربوبية	تقرير	تصديق
٣٩.﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	المؤمنون/ ٨٦.	ربوبية	تقرير	تصديق
٤٠.﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	طـــــه/ ٤٩.	ربوبية	إنكار	تصديق
٤١.﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾	الأنبياء/٢١ .	ألوهية	إنكار	تصديق
٤٢.﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾	الأنبياء/٢٤ .	ألوهية	إنكار وتوبيخ	تصديق
٤٣.﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾	الأنبياء/٤٢ -٤٣.	ألوهية	إنكار وتوبيخ	تصديق
٤٤.﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾	الطور/٣٥ -٣٦.	ربوبية	إنكار	تصديق
٤٥.﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	الطور/٤٣ .	ألوهية	إنكار	تصديق
٤٦.﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾	الرعد/١٦.	ربوبية	إنكار	تصديق
٤٧.﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	النمل/٥٩- ٦٠.	ربوبية	تقرير	تصديق
٤٨.﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	النمل/٦٤.	ربوبية	إنكار	تصديق

فإذا أنعمت النظر في الجدول السابق ترى:

١. أن الاستفهام بالهمزة غلب على أدوات الاستفهام جميعها ، وقد جاء في (إحدى وثلاثين) آية ، من مجموع الآيات البالغ (ثمانٍ وأربعين) آية ، أضف إلى ذلك ما استُفهم به بـ(أم) المنقطعة التي بمعنى (بل + همزة الاستفهام) وهي (ثماني) آيات ، فيصبح مجموع الاستفهام بالهمزة (تسعاً وثلاثين) آية ، يليهما الاستفهام بـ(مَن) وجاء في (أربع) آيات ثم (ما) في (ثلاث) آيات ، ثم (هل) و (أي) في آية واحدة.

٢. أنّ الاستفهام بالهمزة جاء للتصديق في (ثمانٍ وعشرين) آية ، وللتصور في (ثلاث) آيات ، يُضاف إلى ذلك الاستفهام بالهمزة في (أم) المنقطعة ، حيث جاء في جميعها للتصديق ، فيصبح مجموع ما جاء للتصديق بالهمزة (ستاً وثلاثين) آية.

٣. أن المعنى البلاغي للاستفهام جاء في (اثنتين وعشرين) آية للإنكار، وجاء في (تسع) آيات للتقرير ، وفي (أربع) آيات للإنكار التوبيخي ، وللإنكار المتضمن معنى النفي في (ثلاث) آيات والإنكار التعجبي في (آيتين) ، وللاستفهام الحقيقي في (آيتين) ، وللتعجب في (آيتين) ، ولكل من النفي ، والتهكم والسخرية ، والتقرير والتحقير، والإنكار التقريري، والنفي والتوبيخ في (آية واحدة) ؛ فمعنى الإنكار غلب على الاستفهام ، وخاصة الاستفهام بالهمزة، وقد بيّنا سبب ذلك عند الحديث عن الهمزة سابقاً .[١]

٤. المعاني البلاغية السابقة ليس لها ضوابط وقواعد نحتكم إليها ، فهي تختلف من مفسّر إلى آخر، حسب تذوقه للنص القرآني، وما يحيط بالاستفهام من قرائن لفظية ومعنوية.

٥. جميع آيات الاستفهام في آيات الدراسة جاءت في سور مكيّة ، وسبب ذلك أن القرآن أول ما نزل في مكة وكان مطلب الرسول– صلى الله عليه وسلم– هو توحيد الله تعالى، فبدأ يدعوهم إلى الإسلام، وعبادة الله وحده ، وأن لا يشركوا به شيئاً ، وأن ينبذوا عبادة الأصنام ، ويقول لهم إنه خالق هذا الكون بما فيه من إنس وجن ، وإنه خلقهم لعبادته ، وإن هناك يوماً للبعث سوف يبعثهم فيه جميعاً ليحاسبهم على أعمالهم ، ودعاهم إلى التفكر في خلق السماوات والأرض ، وخلق أنفسهم ، وأن يعتبروا بها ، فقابل المشركون هذه الدعوة بالإعراض والاستكبار والتكذيب ، فكان الاستفهام بالإنكار والتوبيخ هو الأكثر انتشاراً والأنسب للسياق القرآني، والأقوى في محاجة المشركين وحوارهم .

---

[١] يُنظر صفحة (٤٧–٤٨) من هذا البحث .

الأسلوب الثالث : الشرط

نتحدث في هذا الأسلوب عن معنى الشرط وكيف حقق دلالة توحيدية من خلال مكوناته، فمعنى أداة الشرط ساعد في تحقيق دلالة توحيدية ، فمثلاً (لو) امتناعية وهذا المعنى ساعد في إعطاء الدلالة التوحيدية وذلك بالعمل على امتناع وقوع الشرط ثمّ امتناع الجواب، ففي قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ عملت (لو) على امتناع حصول الشرط (وجود آلهة غير الله) ، وامتناع الجواب (فساد السماوات والأرض) . وفعل الشرط والجواب يعطيان دلالة توحيدية ، من خلال دلالة الفعل على الماضي ،أو الحال والاستقبال (المضارع) ، فمثلاً وقوع فعل الشرط ماضياً بعد (لو) يدل على أنه وقع وانقضى .

معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره[١] ، أي "أن يتوقف الثاني على الأول ، بمعنى أن الشرط إنما يستحق جوابه بوقوعه هو في نفسه ، كقولك : (إن زرتني أحسنت إليك) ، فالإحسان إنما استحق بالزيارة "[٢] . هذه هي القاعدة ، وقد يخرج الشرط عن ذلك ، فلا يكون الثاني مسبباً عن الأول ، ولا متوقفاً عليه[٣]. وفعل الشرط قد يكون ماضياً أو مضارعاً ، والماضي في الشرط يُفيد الاستقبال كثيراً ، وقد يأتي للدلالة على المُضيّ ، وقد يدل على الحال ، كقوله تعالى:﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [٤] والنحاة يذكرون أسباباً لمجيء فعل الشرط ماضي المعنى، منها: إنزال غير الحاصل منزلة الحاصل، والتعريض؛ بأن يخاطب واحداً والمراد غيره، وإظهار الرغبة من المتكلم في وقوعه، ...، وغيرها[٥].

وأدوات الشرط التي وردت في الآيات المُختارة هي :(لو ، إنْ ، مَن) ، وأكثرها (لو) ، وسنخص هذه الأدوات بحديث موجز ، ثم نطبق على الآيات المختارة .

١. **لو** : "هو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره"[٦] ، أو حرف امتناع لامتناع ؛ أي امتناع الجواب لامتناع الشرط ، وهذا القول هو المشهور بين المُعربين . وقد تكون شرطية غير امتناعية ، وقد تكون للتمني ، وقد تأتي بمعنى (إن)[٧] ، ولم تأت في الآيات إلا امتناعية.

---

[١] المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) ، المقتضب ، ٤ج ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٦ هـ ، ج٢: ٤٦.
[٢] الزركشي ، البرهان ، ج٢ : ٣٦٩.
[٣] انظر : المصدر السابق ، ج٢ : ٣٧٠.
[٤] البقرة : ١٧٢ .
[٥] انظر: الزركشي، البرهان،ج٢: ٣٧١ – ٣٧٣، والسامرائي، معاني النحو، ج٤: ٤٧ – ٥٨ .
[٦] سيبويه ، الكتاب ، ج٤ : ٢٢٤.
[٧] انظر: ابن هشام ، المغني ، ج١: ٢٥٥ – ٢٦٧.

و(لو) مختصة بالفعل والغالب أن يكون ماضياً ، وقد يليهـا الاسـم أو (أنّ)، والنحـاة يذكرون وجوهاً إعرابية للاسم و(أنّ) بعد (لو)[١]. حيث لم ترد (لو) في الآيات إلا متبوعة بفعل ماضٍ ، وهذا يحمل دلالة توحيدية نتعرف عليها لاحقاً.

وتقع اللام في جواب (لو) ، وهي تلحق الجواب المُثبت كثيراً ، أمّا المنفي بــ(لم) فــلا تلحقه اللام ، والمنفي بــ(ما) قليل.[٢]

وجاءت (لو) في الآيات المختارة في أربع آيات ، وهي في جميعها امتناعية . ففي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ؛ امتناع طلب الآلهة من الله سبيلاً بالمُغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، لامتناع وجود آلهة مع الله ، أي أن تعـدد الآلهـة سوف يؤدي إلى مزاحمة بعضهم بعضا، أي : غلبة أحدهما الآخر، فالغالب هو الإله والمغلـوب ليس بإله . ودخول اللام على الجواب أفاد توكيد امتناع حصوله [٣]، فإن(لو) أعطـت معنـى توحيدياً وهو إثبات إله واحد ، ونفي تعدد الآلهة.

وفي قوله تعـالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ، امتنـاع خـروج السـماوات والأرض عن النظام المعهود (عدم فسادهما) لامتناع الآلهة. والشرط – هنـا– أعطـى دلالـة توحيدية وهي وجوب ألاّ يكون مدبر السماوات والأرض إلا الله وحده .[٤]

وفـي قولـه تعـالى:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾، الشرط محذوف لأن (إذاً) لا تدخل إلا على كلام هو جزاء ، يدل عليه ما قبله:(ما كان معه مـن إله) ، وتقدير الشرط: "لو كان معه من إله"[٥]. فمعنى الشرط بــ(لو) يصبح : امتناع انفراد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به . وامتناع التمايز والتغالب بيـنهم ، لامتنـاع تعـدد الآلهة .

و(لو) أفادت دلالة توحيدية وهي: أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء لا يُنازعه في مُلكه أحد ، وإبطال التعدد الذي يدّعيه المشركون .

---

[١] انظر : ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج٤ : ٣٨٦ – ٣٨٩ ، وابن هشام ، مُغني اللبيب ، ج١ : ٢٦٧ – ٢٧٠ .

[٢] انظر : ابن عقيل، شرح ابن عقيل،ج٤: ٣٩٢، وابن هشام، مُغني اللبيب،ج١: ٢٧١ – ٢٧٢.

[٣] انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ : ٦٢٦ ، وأبا حيان، البحر المحيط ، ج٧ : ٥٣، وابـن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ١١٠–١١١.

[٤] انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ١١١.

[٥] الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ٢٠٣ ، والبيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج٤ : ١٦٦.

وفي قوله:﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ ، امتناع اصطفائه ولداً مما يخلق لامتناع إرادة الله أن يتخذ ولداً. فالدلالة التوحيدية التي أداها الشرط هي تنزيه الله تعـالى عن الولد .

ومجيء فعل الشرط ماضياً ، حمل دلالة توحيدية في سياق آيـات الشـرط ، وهـي أن الشرط وقع وانقضى ولا يجوز تكراره ، لأنه مُخالف للدلالة التوحيدية .

توضيح ذلك : في قوله تعـالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، يدل الفعل الماضي أنّ قول الكافرين وهو وجود الإله مع الله بحكم المُنقضي الواقع في الماضي، ولا يجوز تكراره ؛ لأنه ثبت بالحجة والبرهان أنه لا مُدبر لهذا الكون إلا خالق واحد قادر على التصرف فيما خلق وهو الله تعالى.

وفي قولـه تعـالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ ،وقوله تعالى: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ ، دلّ الفعـل الماضي باستحالة اتخاذه – سبحانه– الولد أو الشريك (الإله) في الماضي ، وهذا في حقه ممتنع ، فهو لم يتخذ الولد أو الشريكَ في الماضي منذ بدء الخلق عندما كان مُحتاجـاً إليهمـا فكيـف يأخذهما في الحال؟!

فالشرط يأتي للدلالة على الزمن الماضي ، وهذا خلاف ما ذهب إليه جمهور النحـاة ، من أن الشرط يصرف الماضي إلى الاستقبال . فهم يقدرون الشرط في الأيات السابقة بـــ(لـو يثبت) لتتماشى مع قولهم (الدلالة على الاستقبال)، ولكن الآيات السابقة دلت على مجيء الشرط ماضياً، ففي قوله تعالى: ﴿لو كان معه آلهة﴾ لا يُمكن تقديره بـ(لويثبت أن معـه آلهـة) فـي المستقبل ؛ لأن ادعاءهم الشريك مع الله صدر منهم في الماضي. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لـو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء ﴾ ، فالمعنى لا يمكن أن يكون لو يثبـت فـي المستقبل إرادة الله اتخاذ الولد ، لأن الله لم يتخذ الولد في الماضي.(١)

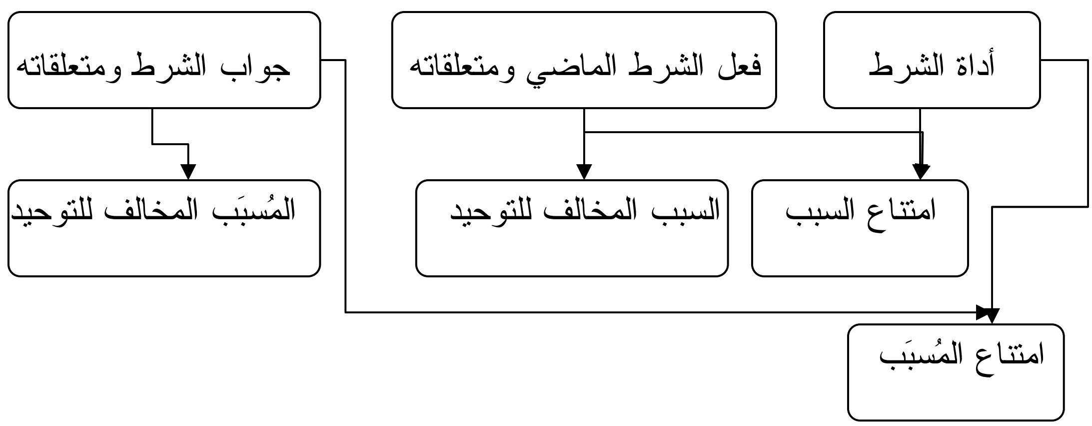
---

(١) انظر:ابن القيم، بدائع الفوائد،المطبعة المنيرية ، ج١: ٤٥.

كما أن شرط(لو) بعيد الوقوع بل مستحيل[١] ، ففي قوله تعـــالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، جـــاء فيهمـــا بـــ(لو) لاستحالة وجود إله غيره – سبحانه- .

أمّا جواب الشرط فقد حمل أيضاً دلالة توحيدية ، ففي قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ، جاء الجواب ماضياً ليدل علـــى أن ذهاب كل إله بما خلق كان سيحصل في الماضي لو ثبت اتخاذه – سبحانه- الولد – تعـــالى عن ذلك- فلما امتنع الشرط في الماضي امتنع أيضاً الجواب في الماضي، أي امتناعـــه فـــي جميع الأزمنة. وهكذا في جميع آيات (لو)؛ امتنع الجواب لامتناع الشرط .

أمّا بناء أسلوب الشرط بـــ(لو) في الآيات المُختارة فصورته:



توضيح الصورة السابقة :

في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ، تعمل (لـــو) علـــى نفـــي الشـــرط المُخالف للتوحيد (وجود آلهة غير الله) ، وهو السبب ، فيلزم من نفي الســـبب انتقـــاء المُســـبَّب المُخالف للتوحيد (فساد السموات والأرض) . فانتفاء الفساد سببه انتفاء الآلهة ، وهذه الملازمـــة

---

[١] انظر : السامرائي،معاني النحو ،ج٤ : ٧٧

هي ملازمة عادية لا شرعية ولا عقلية[١]. ونقصد بالملازمة العادية أن جواب الشــرط توقــف وقوعه على فعل الشرط ، فإذا وقع الشرط وقع الجواب ، وفي جميع آيات (لو) لم يقع الشرط ، لهذا امتنع وقوع الجواب.

وهذا ينطبق على بقية الآيات ، فــ(لو) في جميعها امتناعية ، عملت على نفي الســبب والمُسبب ؛ لأن الجواب لا يوجد له سبب إلا الشرط ، والملازمة في جميعها ملازمة عادية.

٢. **إنْ** : حرف شرط ، يجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه إذا كانا مُضارعين ، أو في محل جزم

إذا كانا غير ذلك ، وهي مختصة بدخولها على المعاني المشكوك في حصولها ، والمســتحيلة ، كما في الآية التي وردت في آيات الدراسة ، وتدخل على غيرها من المعاني[٢].

ووردت (إنْ) في آية واحدة من آيات الدراسة،وهي:﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾

،والمعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ألوهية ، بنفي الشريك عن الله تعالى، وإثبات الألوهية الحقة له .

فقد دخلت (إنْ) في هذه الآية على شرط باطل مستحيل وهو (كــان للــرحمن ولــد) ، وجزاء باطل وهو(فأنا أول العابدين) ، وهذا لايمنع من أن تكون القضية الشرطية حقة ، ذلك أنّ (إنْ) عملت على ربط الشرط بالجزاء ، لكوْن الشرط مستلزماً للجزاء ، وهذا لايعني إثبات ولــد لله أو عدم إثباته [٣].

بل المعنى: " قل يا محمد : إن ثبت لله ولد ، فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمــون ثبوته ، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد . وفيه نفي للولد على أبلغ وجه وأتــم عبــارة وأحســن أسلوب."[٤]

فالأخذ بالظاهر وفق التفسير السابق أقوى في الدلالة على التوحيد ، من التأويــل الــذي ذهب إليه المفسرون ، فالجملة الشرطية أدت الدلالة التوحيدية ، وهي: (نفي الولد عنه ســبحانه)

---

(١) انظر : ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج١ : ٢٥٨.

(٢) انظر هذه المعاني في : المبرد ، المقتضب ، ج٢ : ٥٥ – ٥٦ ، وابن يعيش ، موفق الــدين ابن علي(٦٤٣ هــ) ، شرح المفصل ، ٩ج ، تحقيق أحمد السيد أحمد ، مراجعة إسماعيل عبــد الجواد عبد الغني ،المكتبة التوفيقة،القاهرة ، ج٩ : ٩٢– ٩٣، والسيوطي ، الإتقان ، ج٢: ١٠٣.

(٣) انظر : الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٧ : ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٤) الشوكاني ، فتح القدير ، ج٤ : ٧٣٩.

عن طريق القياس البرهاني، "وهو قياس استدل فيه بنفي اللازم البيّن انتفاؤه ، وهوعبادته صلى الله عليه وسلم للولد ، على نفي الملزوم وهو كينونة الولد له سبحانه"[١].

ومجيء فعل الشرط ماضياً حمل دلالة توحيدية وهي نفي الولد عنه – سبحانه– في الماضي منذ بدء الخلق .

ومجيء الجواب جملة اسمية (فأنا أول العابدين) دالة على الثبوت، حمل دلالة توحيدية وهي: ثبوت العبادة مني (الرسول – صلى الله عليه وسلم–) لهذا الولد ، ولكن لما ثبت أن ما تدعونه باطل ، فثبوت عبادتي لله المنزه عن الولد والشريك أولى.

٣. **مَنْ** : اسم موصول استعمل للشرط ، يجزم فعل الشرط والجواب إذا كانا مُضارعين، أو في محل جزم إذا كانا غير ذلك.

وهي أداة شرط للعاقل ، وقد تستخدم لغير العاقل إذا خُلط مع العاقل غير العاقل[٢].

وجاءت (مَن) في آية واحدة من آيات الدراسة، وهي: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ ، المعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ألوهية ، بنفي الشريك عن الله تعالى وإثبات الألوهية الحقة له.

وقد دخلت (مَن) على شرط باطل وهو: (يدعُ مع الله إلهاً آخر) ، ودخلت الفاء على جزاء حق وهو: (إنما حسابه على الله) ، فنتج من مجموعهما قضية شرطية أفادت فيها (مَن) أن الشرط مستلزم للجزاء ، فلا يُنظر إلى جزئي جملة الشرط كون الأولى باطلة والثانية صحيحة ، بل يُنظر إلى الاستلزام الذي أفادته أداة الشرط ، وهو مجازاة الله لكل من يعبد إلهاً غيره سبحانه وتعالى.

فالشرط حقق الدلالة التوحيدية بطريق استنتاجي ، وهو: نفي الشريك عن الله ، وإثبات ألوهيته الحقة ، ومحاسبة كل من يشرك معه إلهاً آخر.

جاء فعل الشرط مضارعاً للدلالة على استمرار الكافرين بكفرهم وتجدده منهم ، لهذا استحقوا الحساب من الله ، كما جاء الجواب جملة اسمية مؤكدة بـ(إن) لثبوت الحساب من الله تعالى وحده جزاءً على كفرهم وادّعائهم الشريك مع الله.[٣]

---

[١] الألوسي ، روح المعاني ، ج٢٥: ١٠٤ .
[٢] انظر: المبرد ، المقتضب ، ج٢ : ٥٠ – ٥١.
[٣] انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١٨ : ١٣٦.

- **الاسم الموصول والشرط :**

قد يُشبه الاسمُ الموصول الشرطَ ، فتدخل في جوابه الفاء وقد تُحذف ، فدخول الفاء يعني أن الشرط سببٌ في الجزاء، والجزاء مُسبَبٌ عن الشرط، وحذف الفاء يحتمل السببية وغيرهـا ، فأنت حين تقول : (الذي يحضر فله جائزة) ، فالحضور سبب في نيل الجائزة ، فإن حُذفت الفاء فنيل الجائزة لا يوجب أن يكون سببه الحضور.[١]

وقد جاء (الذي) متضمناً معنى الشرط في آية واحدة من آيات الدراسة المختارة، وهـي: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ ، فدخول الفاء على الجواب دل على أن (ألقيـاه في العذاب الشديد) سببه (جعل مع الله إلهاً آخر) ، والسبب – هنا– مستلزم للمُسبَب ، و(الـذي) المتضمن معنى الشرط[٢] هو الذي أفاد هذا الاستلزام ، فالشرط في هذه الآية حمل دلالة الشرط نفسها في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ ، وما قيـل في هذه الآية سابقاً يمكن أن يُقال في هذه الآية ، غيـر أن الجـزاء فـي هـذه الآيـة معلـوم وهو(العذاب الشديد)،أما الجزاء في الآية السابقة فالله يقدره على حسب ما يستحق هذا المشرك .

جدول ٦. آيات أسلوب الشرط

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١.﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾	المؤمنون/٩١	ألوهية
٢.﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾	الإسراء/٤٢	ألوهية
٣.﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	الأنبياء/٢٢	ألوهية
٤.﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾	الزمر/٤	ربوبية
٥.﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾	المؤمنون/١١٧	ألوهية
٦.﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾	الزخرف/٨١	ألوهية
٧.﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾	ق/٢٦	ألوهية

[١] انظر : سيبويه ، الكتاب ، ج٣ : ١٠٢ – ١٠٣ ، وابن هشام ،مغني اللبيب ، ج١ : ١٦٥.
[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٣٩٠، وأبا حيان، البحـر المحـيط، ج٩: ٥٣٧، وابـن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١٨ : ١٣٦، والدرويش، إعراب القرآن الكريم، ج٧: ٢٧٣.

إذا أُنعم النظر في الجدول السابق تبيّن أنّ:

١) (لو) حققت دلالة توحيدية من خلال اختصاصها بالدخول على ما هو مستحيل وقوعه (باطل) ، وهو الشرط ، فلزم من ذلك مستحيل آخر (باطل) ، وهو عدم وقوع الجواب .

٢) كوْن الشرط والجواب باطلين لا يمنع من أن تكون القضية الشرطية حقة ، وهذا ما حققته (لو) .

٣) جاء فعل الشرط في آيات(لو) ماضياً ، يدل ذلك على أن الشرط وقع وانقضى ، ولا يجوز تكراره ؛ لأنه مخالف للدلالة التوحيدية .

٤) حققت (مَن) و(إنْ) و(الذي) الدلالة الشرطية التوحيدية بالاستنتاج القياسي البرهاني ، بمعنى أنها لم تنفِ الشرط والجواب كما فعلت (لو) .

٥) جاء أسلوب الشرط مكوناً من (شرط وجواب باطلين) كـ(لو) و(إن) ، ومن (شرط باطل وجواب حق) كـ(مَنْ) و(الذي) ، وهذا لايمنع من أن تكون القضية الشرطية حقة. وهناك صورتان لأسلوب الشرط لم تردا في الآيات المختارة ، وهما: (شرط حق وجواب حق) و(شرط حق وجواب باطل) ، والصورة الأخيرة مستحيلة الحصول ، لأنه ينتج منها استلزام الحق للباطل وهذا مستحيل .

الأسلوب الرابع : القسَم

خُصص هذا الأسلوب للحديث عن معنى القسم وفائدته في إعطاء الدلالة التوحيدية ، ثم دلالة (لا) التي تقع قبل القَسَم . ثم نتحدث عن جملة جواب القسم ونوع الجملة التي يأتي عليها (اسمية أو فعلية) ومؤكدات هذه الجملة ، وهو ما يُساعد في إعطاء دلالة توحيدية ، ببيان سبب مجيئه في هذه الآية اسمية وفي تلك فعلية وعلاقة ذلك بالمُقسَم عليه . ونتحدث – أيضاً –عن حذف الجواب لوروده في آيات الآيات المختارة.

القَسَم : هو الحلف[١] على أمر ما لغرض توكيد الكلام وتقويته، بفعل القسم أو أحد حروفه، وقيل: إنّ الحلف يكون في الحنث أو الكذب، وأمّا القسم فيكون في الكذب والصدق[٢]، وأشهر حروف القسم هي: (الواو،والباء،والتاء،واللام)، والواو أكثرهن استعمالاً في القسم ، وتقع (لا) قبل فعل القسم (أقسم) كثيراً ، أو أحد حروفه ، ومن النحاة والمفسرين من ذهب إلى أنها زائدة تفيدالتوكيد ، ومنهم من قال: إنها زيدت على نية الرد على المكذبين، وقيل: نافية ، تفيد نفي أمر سابق قبل القسم ، وقيل: المقصود من النفي إعظام المقسم به، وقيل: المقصود من النفي التأكيد، وقيل: لتوكيد النفي الذي جاء فيما بعد[٣].ويبدو أنها نافية للتوكيد أو لتعظيم المُقسَم به .

والقسم يحتاج إلى جواب ، وهذا الجواب وضع له النحاة شروطاً مبثوثة في كتب النحو ، وقد يُحذف هذا الجواب وجوباً أو جوازاً. وقد يُستغنى عن القسم بجوابه، فيكون الجواب دليلاً على القسم المحذوف.[٤]

جاء القسم في جميع الآيات المختارة بالواو إلا في آية واحدة ، جاء بفعل القسم والباء ، وقد أقسم سبحانه وتعالى فيها جميعاً بنفسه ، ومن – هنا– أتت الدلالة التوحيدية.

والقسم بالشيء لا يكون إلا لتعظيمه . وعظمة حال المُقسَم به ، تؤذن بقوة حال المُقسَم عليه[٥]. فالله في هذه الآيات يعظّم الأمر المُقسَم عليه عن طريق ربطه بالقسم بنفسه ، فالمُقسَم عليه اكتسب التعظيم والقوة والتوكيد من المُقسَم به ، وهو القسم بنفسه سبحانه وتعالى.

---

[١] انظر : ابن منظور، لسان العرب ، ج١٢ : ١٠٤ ، مادة (قَسَمَ) ، وج٤: مادة (حَلَفَ).
[٢] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٣٦–١٣٧.
[٣] انظر : الزمخشري ،الكشاف، ج١ : ٥٦٠، وج٤ : ٦٥٩ – ٦٦٠، والرازي، التفسير الكبير، ج١٠: ١٦٩ ، وأبا حيان ، البحر المحيط ، ج٣ : ٦٩٤– ٦٩٥، والسيوطي ، الهمع ، ج٢ : ٣٩١ – ٣٩٤ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٣٨ – ١٣٩ ،.
[٤] انظر : سيبويه ، الكتاب ، ج٣ : ١٠٦ ، و ابن هشام ، المُغني ، ج٢ :٦٤٥– ٦٤٦ ، والأستراباذي ، شرح الرضي ، ج٦ : ٦٠ –٧٢ ، والسيوطي ، الهمع ، ج٢ : ٣٩٧ – ٤٠٣ والسامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٦٠ – ١٦١.
[٥] الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ : ٥٧٨ .

ففي قوله تعالى:﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾،أقسم سبحانه وتعالى بنفسه لتأكيد المُقسَم عليه وتعظيمه وتقويته، وهو (الهاء في إنه) العائد على الدلائل الدالة على توحيده، التي أخبرت بها الآيات السابقة؛ وهي الدلائل الموجودة في الأرض كالجبال والأشجار والأنهار...، وككيفية خلق الإنسان، وكسب الرزق وهو المطر. فالتصريح بالمُقسَم به (ربّ) يدل على عظمته – سبحانه–، فيُكسب الأمر المُقسم عليه تعظيماً،لا نجده لو أقسم بشيء آخر، غير مُصرِّح فيه بلفظ (ربّ) ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ﴾[1]، وغيرها من الآيات .

وقد امتازت آيات القسم بوجود علاقة توحيدية بين المُقسَم به ، والمُقسَم عليه ، بمعنى أن المُقسم به حمل دلالة توحيدية ، وهي القسم بنفسه سبحانه (ربّ) ، كذلك المُقسم عليه، حمل دلالة توحيدية خاصة بكل آية ، وهذه الدلالة يمكن أن نستخلصها كما يلي:

- وفي قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ ، فالمُقسم عليه هو:(إنه لحق) ، والهاء عائدة على الآيات السابقة، وهذه الآيات دلائل توحيدية.
- وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ فالمُقسم عليه : (إنا لقادرون..) ، وقدرة الله على تبديل العصاة أمر توحيدي.
- وفي قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾،فالمُقسم عليه: (لايؤمنون حتى يحكموك)، فعدم إيمانهم حتى يُحكّموا محمداً – صلى الله عليه وسلم– فيما اختلفوا فيه، وهي قضية توحيدية.
- في قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، فالمُقسم عليه: (لنسألنهم..) ، فسؤالهم عن الأعمال التي كانوا يعملونها هو قضية توحيدية ؛ لأن هذا السؤال سيكون يوم الحساب ، والمطلوب الإيمان بهذا اليوم.

---

[1] الذاريات : ٧ ، البروج : ١ ، الطارق : ١ ، و١١ ، والشمس : ٥

- وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ ، فالمُقسم عليه: محذوف يدل عليه ما قبله (هذا بالحق) فالتقدير: (بلى وربنا إنه لحق) ، وهذا الحق: هو اعترافهم بما أنكروا من البعث والجزاء .وقضية البعث وإعادة الخلق دلالة توحيدية.

- وفي قوله تعالى:﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾، فالمُقسم عليه: (إنه لحق) ، ما يعدهم من العذاب ، وإنه حق واقع بهم ، وهي دلالة توحيدية (مُحاسبة الكفار بالعذاب).

- وفي قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ، المُقسم عليه: (لتأتينّكم) ، فأتيان الساعة التي يُنكرها الكفار والايمان بها ، دلالة توحيدية يجب الإيمان بها.

- وفي قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾،فالمُقسم عليه:(لنحشرنّهم)، وسياقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء، قضية توحيدية يجب الإيمان بها.

- وفي قوله تعالى:﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ ، فالمُقسم عليه: (لتبعثنّ) ، فبعثهم من القبور حقيقة واقعة لا شك فيها، وهي قضية توحيدية.

إذن التحليل السابق دلّ على المُناسبة بين المُقسم به والمُقسم عليه في الدلالة على التوحيد ، وهذا يقودنا إلى القول : إن أسلوب القسم بركنيه: المُقسم به ، والمُقسم عليه في الآيات المُختارة أعطى دلالة توحيدية محضة.

جدول ٧. آيات أسلوب القسم

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١. ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾	النساء/٦٥	ربوبية
٢. ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾	الأنعام/٣٠، الأحقاف/٣٤	ربوبية
٣. ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	يونس/٥٣	ربوبية
٤. ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾	مريم/٦٨	ربوبية
٥. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾	سبأ/٣	ربوبية
٦. ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	الحجر/٩٢ –٩٣	ربوبية
٧. ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾	الذاريات/٢٣	ربوبية
٨. ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾	التغابن/٧	ربوبية
٩. ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾	المعارج/٤٠ – ٤١	ربوبية

بإمعان النظر في الجدول السابق يتبيّن أنّ:

١) أقسم الله –سبحانه– بنفسه مُضافاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في ست آيات ، وذلك لتفخيم الرسول ورفع شأنه صلى الله عليه وسلم ، ومضافاً إلى السماء والأرض في آية واحدة ، للرفع من شأنها ، ومضافاً للمشارق والمغارب في آية واحدة كذلك للرفع من شأنها ، ولعل هذا يعطي جملة القسم الدالة على التوحيد مبالغة في التوكيد والتعظيم والقوة.

٢) جاء جواب القسم في الآيات السابقة مؤكّداً بمؤكدين ، إلا في الآية الأولى بمؤكد واحد، ففي الآيات الثانية ، والثالثة ، والسابعة ، والتاسعة ، أكد بـ(إنّ) واللام المفتوحة، وهوما يسمّونها بلام الابتداء ، أو اللام المزحلقة[1] . وفي الآيات الرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والثامنة أكد باللام المفتوحة ، وهي ما يسمّونها بلام جواب القسم [2]، ونون التوكيد الثقيلة . وذلك إيذاناً بقوة الأمر المُقسَم عليه.

٣) جاء الجواب جملة فعلية في خمس آيات، واسمية في أربع، وذلك لمناسبة الأمر المُقسَم عليه ، فالجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد ، وهذا يُناسب الآيات الخمسة التي جاء المُقسَم

---

(١) ابن هشام، المغني ، تقديم : حسن حمد ، بإشراف ومراجعة: إميل بديع يعقوب، طبعة دار الكتب العلمية ، ج١: ٤٥٥

(٢) المصدر السابق ،ج١ : ٤٥٥.

عليه فيها جملة فعلية ، فإيمانهم المشروط بتحكيمه صلى الله عليه وسلم، يدل على أنهم لم يحكّموه مُسبقاً ، ويطلب منهم تحكيمه فيما شجر بينهم، وهذا انتقال من حال إلى حال، وسياقهم من القبور إلى المحشر في الآية الرابعة ، وإتيان الساعة الذي يعني الانتقال من الدنيا إلى الآخرة في الخامسة ، والسؤال عن الأعمال يكون في الآخرة بعد الموت في الاية السادسة ، وبعثهم من قبورهم بعد الموت في الآية الثامنة ، كل هذا تجدد وانتقال ، وهذا لايناسبه إلا الجملة الفعلية التي تؤدي هذا المعنى. أمّا عندما أتى بالجواب جملة الاسمية، فالجواب دلّ على الثبوت ليُناسب دلالة الجملة الاسمية ، فالبعث والجزاء في الآية الثانية ، وتعذيبه للكفار في الثالثة ، والدلائل الواحدانية في السابعة، وقدرته على تبديل العُصاة في التاسعة ، كلّها حقائق ثابتة ، يجب على الكل أن يعترف بها ويقرّها، وبذا فقد ناسب هذا المعنى الجملة الاسمية.

٤) وقعت (لا) قبل القسم في آيتين ، وقد أشرنا إلى اختلاف النحاة فيها سابقاً ، ونقول هنا: إنها في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ... ﴾ للنفي . والغرض من هذا النفي الإيذان بنفي المُقسَم عليه ، وتوكيد النفي الذي يجيء فيما بعد . ويؤكد ذلك أنها لا تُستخدم في مثل هذا التركيب إلا والمُقسَم عليه منفي ، فنحن نقول في الدارجة : (لا والله لم أفعل ذلك) ، لمن يقول لك: إنك فعلت ذلك الأمر. أمّا في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ فإنها للنفي – أيضا – ، ولكن الغرض من النفي تعظيم المُقسَم به ، يعني أنّي لا أعظمه بالقسم؛ لأنه عظيم في نفسه .

الأسلوب الخامس : النداء

"هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب ادعوا لفظاً أو تقديراً"[١] ، وحروف النداء هي: يا ، وأيا ، وهيا ، وآ ، وأي ، والهمزة .والنحاة يقسمون هذه الحروف للبعيد والمتوسط والقريب . وأكثرها استعمالاً هو: (يا) ، لأسباب مبثوثة في كتب النحو[٢].

ويُحذف حرف النداء لأغراض منها : العجلة و الإسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة ، أو للإيجاز أو لقرب المنادَى من المنادِي[٣].

والآيات المُختارة للدراسة ،جاءالمنادى فيها مضافاً ، إمّا إلى ياء المتكلم المحذوفة (ربِّ) ، وإمّا إلى ضمير جماعة المتكلمين (ربّنا) . والمعيار التوحيدي توحيد ربوبية ، وذلك بالنداء بلفظ(ربّ) مُضافاً وهذا فيه تلطف بالسؤال ، وخضوع وتذلل وضراعة لله ، وهذا لا نجده في غير الإضافة، وهذه دلالة توحيدية ، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [٤] ، شرع إبراهيم – عليه السلام– بذكر كلمة استعطاف قبل الدعاء مبالغة في استعداد الإجابة ، فالنداء – هنا– دُعاء ، أُتبع بدعاء آخر وهو الأمر ، فاجتمع دعاءان للمبالغة في القبول . فكأنّ النداء مُقدّمة وتمهيد يقصد من خلالها المُنادي تقديم الضراعة والتذلل لله تعالى لقبول طلبه .

فالدلالة التوحيدية مُتأتية من مناداة الله تعالى مُستخدماً لفظ (ربّ)، ومن الطلب المُراد من وراء النداء،حيث إنّ هذا الطلب في أغلب الآيات خرج للدعاء المصحوب بالثقة والأمل بالله (دلالة توحيدية)، وإن كان هذا الطلب بمعناه الحقيقي، حمل أيضاً مع الطلب الاستعطاف لقبول الطلب أمام الخالق (دلالة توحيدية). والخبر الذي جاء بعد النداء في آيات التوحيد، دلّ على طلب محذوف يُمكن تقديره اعتماداً على ما يُفهم من السياق، وهذا الطلب المقدّر خرج للدعاء المصحوب بالثقة والأمل بالله لقبول الدعاء. فما نريد أن نبيّنه في هذا الأسلوب أن النداء في الآيات المختارة حمل دلالة توحيدية، وهي الدلالة على القدرة بالنداء بلفظ (ربّ)، وهذا تمهيد لقبول الطلب الذي جاء بعد النداء المصحوب بالتذلل والخضوع والاستعطاف، وهو أيضاً دلالة توحيدية ،وهذا ما سنبينه في الصفحات اللاحقة من خلال عرضنا لبناء جملة النداء.

---

[١] الأستراباذي ، شرح الرضي ، ج١ :٣٤٥ .
[٢] سيبويه ، الكتاب ، ج٢ : ٢٢٩ – ٢٣٠ ، وانظر:ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج٣ : ٢٣١، و ابن هشام ، المُغني ، ج٢ : ٣٧٣ . والسيوطي ، الهمع ، ج٢ : ٢٧ .
[٣] انظر: السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢٧٦ – ٢٧٨ .
[٤] البقرة : ١٢٦ .

أمّا بناء جملة النداء في الآيات المُختارة ، فجاءت على أربع صور هي:

١. يا النداء المحذوفة + المُنادى المُضاف + جملة طلبية (أمر(دعاء) ، نهي ، استفهام)

/ ربّ اجعل هذا بلداً آمناً (أمر(دعاء))

/ ربّ أنّى يكون لي غلام(استفهام)

/ ربّ لا تذرني فرداً (نهي)

وقد جاءت هذه الصورة في (مئة وآية) من مجموع آيات النداء البالغ (مئة وتسعاً وعشرين آية) ، كما دلّ عليها إحصاؤنا لآيات النداء في الآيات المختارة ، حيث صحب النداء الأمر في (أربع وثمانين آية) ، والنهي في (تسع آيات) ، ثم الاستفهام في (ثماني آيات) ، وكان غرض الأمر والنهي هو الدعاء ؛ لأنه طلب من الأدنى إلى الأعلى ، وبهذا المعنى حقّق دلالة توحيدية لما يحمله الدعاء من خضوع وتذلل وضراعة للمدعو. أمّا الاستفهام فجاء بمعناه الحقيقي وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً للسائل ، إلا أنه صحبه استعطاف بين يديّ المسؤول لإظهار ضعفه أمام خالقه ولتعظيمه ، وبيان أنه هو القادر على تحقيق المُراد من السؤال ، وهذه دلالة توحيدية ، ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [١] ، زكريا – عليه السلام – يُخاطب ربه مُستفهماً ومتعجباً عن كيفية حصول الولد مع كبر سنه ، واستبعاده من حيث العادة ، فهو يُظهر تضرعه أمام خالقه مع علمه بقدرته على ذلك . فزكريا تضرّع إلى الله مُعظماً إياه لطلب الجواب عن سؤاله، مُقدّماً لذلك بما يزيد هذه الضراعة ، وهو استخدامه للفظ (ربّ) مُضافاً[٢].

٢. يا النداء المحذوفة + المُنادى المُضاف + جملة خبرية

/ ربّ إني وضعتها أنثى

جاءت هذه الصورة في (أربع وعشرين آية) من مجموع الآيات التي دلّ عليها إحصاء آيات النداء في الآيات المختارة ، كان الغرض في أغلبها للتحسر أو إظهار الضعف والخشوع لله ، ففي قوله تعالى:﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ... ﴾[٣] ، امرأة عمران خاطبت ربها أنها وضعت أنثى، لأن نذرها لخدمة بيت المقدس كان للذكر دون الأنثى، فكأنها تحسّرت

---

[١] آل عمران : ٤٠ .
[٢] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج١: ٣٨٨ ، والشوكاني ، فتح القدير ، ج١ : ٥٥٨.
[٣] آل عمران : ٣٦ .

لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه[١]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [٢]، فموسى يُظهر التفاؤل والثقة بالله من وراء الخبر الملقى بعد النداء.

وقد يكون الخبر للاستعطاف بقصد المُبالغة في قبول الإجابة ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[٣]. والأغراض التي خرج إليها الخبر في الآيات السابقة هي من مقوِّمات قبول الدعاء ، التي تحمل بدورها دلالة توحيدية هي الأمل والثقة بالله تعالى له .

الذي يبدو أنّ الجملة الخبرية التي خرجت للتحسر ، أو للتفاؤل والثقة بالله لإظهار الضعف ، أو للاستعطاف ، ما هي إلا مقدّمات شُرع في ذكرها تمهيداً لقبول الطلب ، بمعنى أن الطلب (الأمر،النهي) الذي يخرج للدعاء يُمكن تقديره اعتماداً على فهم السياق. يؤكد ذلك أنّ كثيراً من الآيات أُتبع فيها النداء بجملة خبرية ، ثم جيء بالأمر أو النهي، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٤]، فقد تقدّم الطلب (تقبّل) جملة خبرية تحمل معنى للتفاؤل والثقة بالله.

وكذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٥] ، فقد تقدّم الطلب (فافرق) جملة خبرية فيها معنى الاستعطاف. وغيرها كثير في الآيات المختارة.

ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ ، يمكن تقدير الطلب بـ(فتقبّل مني) ، بدليل الآية التي قبلها (... فتقبّل مني) . وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ، يُقدر الطلب بـ(نجّني) ، لأن موسى كان قد قتل نفساً ، وهو خائف من مؤامرة

---

(١) انظر: الشوكاني ، فتح القدير ، ج١ : ٥٥٥.
(٢) القصص : ٢٤
(٣) هود : ٤٥.
(٤) آل عمران : ٣٥
(٥) المائدة : ٢٥.

الملأ عليه . وفي قوله تعـــالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ، يمكن تقدير الطلب بـــ(لِمَ ابعدته) ، ولكن تأدباً مع الله لم يذكره نوح .

فهذا التقدير يُستدل عليه من السياق ، ففي قوله تعـــالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١]، يمكن تقدير الطلب بـــ(اغفر لي) بـــدليل الشرط: (وإلا تغفر لي ...) ، وفي قوله تعـــالى﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٢]، فالطلب يُقدر بـــ(اصرف عنـــي) بـــدليل الشـــرط (وإلا تصرف عني...) . وفي قوله تعـــالى:﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]، يمكن تقدير الطلب بـــ(فعاقب الظالمين...). وفي قولـــه تعـــالى:﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[٤]، يمكن تقدير الطلب بـــ(فارضَ) بدليل (لترضى).

فعدم ذكر الطلب في هذه الآيات ، قد يكون إمّا لأن الطلب يُفهَم من خلال الخبر الملقى ، ولا داعي للتصريح به ، والقرآن في الغالب يجنح إلى الإيجاز للتعبير عن المعنى المُراد ، وإمّا لدلالة ما قبله عليه ، وإمّا تأدباً مع الله تعالى.

٣. يا النداء المحذوفة + المُنادى المُضاف + جملة إنشائية غير طلبية (قسم)

/ ربّ بما أغويتني

جاءت هذه الصورة في آيتين ، هُمـــا :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٥] . و﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[٦].

---

[١] هود : ٤٧.
[٢] يوسف : ٣٣.
[٣] إبراهيم : ٣٦.
[٤] طه : ٨٤.
[٥] الحجر : ٣٩.
[٦] القصص : ١٧.

ففي الآية الأولى يُخاطب إبليس ربه(ربّ)،ثم يُقسم بفعل من أفعال الله تعالى وهو إغواؤه له بالسجودلآدم، وهذا في نظر إبليس إغواء، لكنه في الأصل تواضع وخضوع لأمر الله[١]

فإبليس استخدم دلالتين توحيديتين هما: نداؤه لله والاعتراف بأنه ربُّه ، ثم الحلف بفعل من أفعاله ، وهو بهذا الحلف عظّمه وأثبت له القدرة. فالباء في الآية الأولى هي باء القَسم ، أمّا في الآية الثانية فيجوز جعلها باء القسم ، والجواب مُقدّر بمعنى: أقسم بإنعامك عليّ لأتوبنّ، ويجوز أن تكون سببية متعلقة بمحذوف؛ أي: اعصمني بسبب ما انعمت به عليّ[٢].

وأميل إلى أنها سببية؛ لأنها تعلقت بطلب خرج إلى الدعاء، وهو فعل الأمر المقدّر (اعصمني)، وهوما أراده موسى عليه السلام من ربه أن يعصمه من أن يكون ظهيراً للمجرمين، ولأن ما بعدها(فلن أكون ظهيراً للمجرمين) مترتب عليها، وفيها معنى الاستعطاف لله .

فجملة النداء حملت دلالة توحيدية من خلال: الدعاء الذي خرج إليه النداء (ربّ) ، ثم الدعاء الذي حمله الأمر (اعصمني) المقدر المتعلق به السبب ، ثم الاستعطاف الذي جاء الخبر من أجله (فلن أكون ظهيراً للمجرمين).

أما الغرض الذي من أجله حُذفت (يا) النداء في الصور الثلاثة السابقة ، فقد ذكرنا هذه الأغراض في بداية الحديث عن النداء ، والذي أميل إليه من الأغراض السابقة ، هو قرب المُنادَى من المُنادي حتى لا يحتاج إلى واسطة لندائه ؛ لما يحمله هذا الغرض من دلالة توحيدية وهي قرب الإله المعبود من عبده .

٤. يا النداء المُثبتة + المُنادى المُضاف + جملة طلبية (أمر) أو خبرية

يا	ربّ	فاصفح(أمر)
يا	ربّ	إن قومي اتخذوا (خبرية)

جاءت هذه الصورة في آيتين همـا :﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورً۬ا ﴾[٣].

و﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ۬ لَّا يُؤۡمِنُونَ (٨٨) فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَـٰمٌ۬‌ۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[٤].

في الآية الأولى صحب النداء جملة خبرية فيها معنى التحسّر والحزن، لما آل إليه قومه من هجران وصدّ عن القرآن ودعوته– صلى الله عليه وسلم–، وبعد هذا العناد شكاهم الرسول – صلى الله عليه وسلّم– لربه، دون أن يدعو عليهم؛ إذ يمكن تقدير طلبٍ يخرج للدعاء وهو

---

[١] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٢: ٥٤١ .
[٢] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٣: ٤٠٢ – ٤٠٣ ، والشوكاني ، فتح القدير ، ج٤ : ٢١٦.
[٣] الفرقان: ٣٠ .
[٤] الزخرف : ٨٨ – ٨٩ .

(فحاسبهم) وتكون الجملة الخبرية قبله عرضاً لحالهم وبياناً له، لكي يستحقوا بعدها الدعاء، ولكن لما كان الداعي هو محمد- صلى الله عليه وسلم-، وهو المُرسَل رحمة للعالمين اكتفى بذكرالحال، وجعل الحساب والعقاب لله تعالى، يشهد لذلك الآية التي تليها، التي جاءت تسلية لقلب الرسول- صلى الله عليه وسلم-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[(١)][(٢)].

وفي الآية الثانية تقدم الطلب (فاصفح) الدال على الرحمة عنوان إرسال نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- ، جملة خبرية فيها معنى التحسّر والحزن على قومه الذين لم يؤمنوا بدعوته.

فالتفسير السابق يدلنا على سبب ذكر أداة النداء (يا) ، وهي الدلالة على أن هؤلاء الذين هجروا القرآن ، ولم يؤمنوا بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعيدون عن رحمة الله ، فذُكرت أداة النداء المستخدمة للبعيد للدلالة على هذا المعنى ، والله أعلم .

جدول ٨. آيات أسلوب النداء

الآية	اسم السورةّ/رقم الآية	القسم التوحيدي
١.﴿ رَبِّ ﴾	البقرة/١٢٦، ٢٦٠ ، آل عمران/٣٥،٣٦، ٣٨، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٧ ، المائدة/٢٥ ، الأعراف/١٤٣، ١٥١، ١٥٥ هود/٤٥، ٤٧ ، يوسف/٣٣، ١٠١، إبراهيم/٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، الحجر/٣٦ ،٣٩ ، الإسراء/٢٤، ٨٠ ، مريم/٤ ،٦ ، ٨ ، ١٠ ، طه/٢٥ ، ٨٤ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، الأنبياء/٨٩ ، ١١٢ ، المؤمنون/٢٦، ٢٩، ٣٩، ٩٣،٩٤، ٩٧،٩٨،٩٩، ١١٨ ، الفرقان /٣٠ ، الشعراء/ ١٦٩،١١٧،١٢،٨٣،النمل/١٩،٤٤، القصص/١٦،١٧،٢١،٢٤،٣٣، العنكبوت/٣٠، الصافات/١٠٠، ص/٣٥،٧٩،الزخرف/٨٨، الأحقاف/١٥،المنافقون/١٠،التحريم/١١، نوح/٢٨،٢٦،٢١،٥.	ربوبية
٢.﴿ رَبَّنَا ﴾	البقرة/١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٨٥، ٢٨٦.آل عمران/٨، ٩ ، ١٦ ،٥٣، ١٤٧ ، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.النساء/٧٥، ٧٧ .المائدة/ ٨٣ ، ١١٤.الأنعام/١٢٨ . الأعراف/٢٣، ٣٨، ٤٧، ٨٩، ١٢٦.يونس/٨٥، ٨٨. إبراهيم/ ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١ ، ٤٤.النحل/٨٦.الكهف/١٠.طه/٤٥، ١٣٤.المؤمنون/١٠٦، ١٠٧ ، ١٠٩.الفرقان/٦٥، ٧٤.القصص/٤٧، ٦٣.السجدة/ ١٢.الأحزاب/ ٦٧، ٦٨.سبأ/ ١٩.فاطر/ ٣٧.ص/١٦، ٦١.غافر/٧، ٨، ١١.فصلت/٢٩.الدخان/١٢.ق/٢٧.الحشر/١٠.الممتحنة/٤، ٥.التحريم/٨.	ربوبية

(١) الفرقان : ٣١ .

(٢) انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٣: ٢٨٢ ، والرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٤ : ٧٩.

الأسلوب السادس : الأمر

هو طلب حصول الفعل على وجه الإلزام والتكليف من الأعلى إلى الأدنى ، بإحدى صيغ الأمر وهي : فعل الأمر ، والمُضارع المجزوم بلام الأمر ، واسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر[١]. ويخرج الأمر عن معناه الحقيقي ، وهو الإلزام والتكليف ، إلى معانٍ تُستفاد من السياق وقرائن الأحوال[٢]. وزمن فعل الأمر،هو الاستقبال ، أو دوام ما حصل[٣]. وقد جاء أسلوب الأمر في الآيات المختارة بمعناه الحقيقي وهو الإلزام والتكليف من الأعلى إلى الأدنى بفعل الأمر (اعبد)، والمعيار التوحيدي في جميع الآيات توحيد ألوهية،وهو طلب إخلاص العبادة لله وحده،والإقرار بأنه المعبود الحق المستحق للعبادة. ففي قوله تعالى:﴿ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾[٤]جاء هذا الأمر على لسان نبي من الأنبياء خاطب به قومه،أو تفسيراً لقول نبي خاطب به قومه.وفي قوله تعالى:﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[٥]،و﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٦]،و﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾[٧]،الأمر من الله تعالى خاطب به سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم-. وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٨]،الأمر من الله تعالى للناس عامة. وفي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٩]،و﴿ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ﴾[١٠] ،الأمر من الله تعالى للمؤمنين.

---

(١) انظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٧ : ٣٠٢، والهاشمي ، جواهر البلاغة : ٨٦- ٨٧.
(٢) انظر المعاني في :القزويني ،جلال الدين ، محمد بن عبد الرحمن(ت٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة، ط١، تحقق عماد بسيوني زغلول ،مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ١٩٩٥م : ٨٧-٨٨، والهاشمي ، جواهر البلاغة : ٨٧- ٨٨ ، والسامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ٢٦ – ٢٧
(٣) انظر: السيوطي،الهمع، ج١ : ٣٠، وبوخلخال، عبدالله، التعبير الزمني عند النحاة العرب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر : ١٤٣.
(٤) الأعراف: ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، والمائدة : ٧٢ ، ١١٧ ، وهود: ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، والمؤمنون : ٢٣ ، ٣٢ ، والنحل : ٣٦ ، والنمل : ٤٥ ، والعنكبوت : ١٦ ، ٣٦ ، ونوح : ٣ .
(٥) الحجر : ٩٩ .
(٦) الزمر: ٢.
(٧) هود: ١٢٣ ، ومريم : ٦٥.
(٨) البقرة : ٢١ .
(٩) الحج : ٧٧.
(١٠) النجم : ٦٢ .

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [1]، الأمر من الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام.أمّا في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾[2]، فقد تنوع الخطاب بحسب السورة،ففي آل عمران، ومريم والزخرف، توجه الأمر من عيسى عليه السلام لقومه، وفي الأنعام ويونس، الأمر موجّه من الله للمشركين. وفي قريش الأمر من الله لقريش. فالأمر حقق دلالة توحيدية، هي طلب الفعل (العبادة) من المُخاطب على سبيل الإيجاب؛ أي إلزام المُخاطب بعبادة الله وحده لا شريك له.

أمّا زمن فعل الأمر فالنحاة يقولون إنه الاستقبال،ولكن حصره بالاستقبال لا ينطبق على جميع الآيات المختارة،فقد يكون للاستقبال بمعنى حصول مالم يحصل،وذلك عندما يكون المُخاطَب غير موحد لله،كخطاب نبي من أنبياء الله لقومه.وآياته كثيرة[3]،منها قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [4]،وقوله تعالى في خطاب هود عليه السلام لقومه عاد:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[5]،فقوم نوح وعاد غير عابدين لله تعالى،صادين عن التوحيد ، ونوح وعاد عليهما السلام يطلبان من قومهما عبادة الله؛لأنه لا إله لكم غيره يستحق أن يكون معبوداً،وهذه العبادة لم تحصل من قبل[6].وقد يكون للاستقبال،والخطاب عام للكفار،كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[7]،وقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا

---

[1] طه : ١٤ .
[2] آل عمران : ٥١ ، والأنعام : ١٠٢ ، ويونس: ٣ ، ومريم : ٣٦ ، والزخرف : ٦٤ .
[3] الأعراف: ٧٣، ٨٥ ، وهود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، والمؤمنون : ٢٣ ، ٣٢ ، والنساء: ٣٦ ، والمائدة: ٧٢ ، ١١٧ ، والنحل : ٣٦ ، والنمل : ٤٥ ، والعنكبوت: ١٦ ، ١٧ ، ٣٦ ، ونوح: ٣ ، آل عمران: ٥١ ، مريم : ٣٦ ، الزخرف : ٦٤.
[4] الأعراف : ٥٩.
[5] الأعراف : ٦٥ .
[6] انظر: الشوكاني ، فتح القدير، ج٢: ٣٠٥، وسيد قطب،الظلال، ج٨: ١٣٠٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨، ق٢: ١٨٨– ١٨٩.
[7] الأنعام : ١٠٢.

تَذَكَّرُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[٢]، فهؤلاء المشركون عبدوا الأصنام وأعرضوا عن عبادة الله تعالى، فأمروا بالعبادة صريحاً بعد أن قدّم لذلك بما يدل على وحدانيته واستحقاقه للربوبية والعبودية [٣].

ويُلاحَظ أنّ قوله تعالى:﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ لم يأتِ في الآيات المُختارة إلا على لسان نبي من أنبياء الله، وكان زمن فعل الأمر فيه هو الاستقبال، فالأنبياء يُريدون تحويل أقوامهم من عبادة العباد والأصنام، إلى عبادة الله وحده. فزمن الأمر في هذه الآيات الاستقبال حمل دلالة توحيدية، وهي تحولهم من الكفر إلى الإيمان ، والخضوع والانقياد لله وحده لا شريك له ، وهذه الدعوة كانت مطلب جميع الرسل ، فكانوا على قول واحد وهو أن الله واحد لا شريك له.

وقد يكون زمنه الاستمرار على ما هو حاصل[٤]،كما في قوله تعالى:﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[٥]، و﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ ﴾[٦]،و﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾[٧]، و﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٨]،الخطاب هنا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،وهو عابد لربه قبل نزول الآية،والمطلوب الاستمرار والمداومة على العبادة[٩].وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾[١٠]، الخطاب لسيدنا موسى عليه السلام والمطلوب الاستمرار والمداومة والمحافظة على ما كلفتك به

---

[١] يونس : ٣ .
[٢] قريش : ٣ .
[٣] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٤: ٦٠٥، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٢٠٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧: ٤١٢، وج٣٠: ٥٦٠.
[٤] انظر: السامرائي، معاني النحو ، ج٤: ٣٠.
[٥] الحجر : ٩٩ .
[٦] هود : ١٢٣.
[٧] مريم : ٦٥ .
[٨] الزمر : ٢.
[٩] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٥٥٣، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٤٩٩،والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ١٩٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢: ١٩٥. هذا خاص بآية سورة الحجر وقد قسنا هذا على بقية الآيات لكوْن المخاطَب في جميعها هو الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، والمطلوب منه في جميعها المداومة والاستمرار على العبادة.
[١٠] طه : ١٤ .

من العبادة[١].وفي قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى:﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾[٣]، الخطاب للمؤمنين ، وهم عابدون لربهم قبل نزول الآية ، والمطلوب الاستمرار والدوام على عبادته، وازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها[٤].

ومما يلفت الانتباه في سياق الآية التي ورد فيها أسلوب الأمر ، أنها سُبقت بأسلوب نداء في (ثلاث عشرة آية) من مجموع الآيات البالغ (اثنتين وثلاثين آية) ، وذلك للفت انتباه المُخاطب للأمر الذي سيُلقى عليه ، وللمبالغة في أهميته ، وأن عليهم أن يتيقظوا ويميلوا ببصائرهم إليه ، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري ، جاء في الكشاف: " كل ما نادى الله له عباده – من أوامره ونواهيه ، وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم ، وغير ذلك مما أنطق به كتابه – أمور عظام وخطوب جسام ، ومعانٍ عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون . فاقتضت الحال أن يُنادوا بالآكد الأبلغ"[٥].

أمّا صيغ الأمر فقد جاءت في الآيات المختارة بصيغتين هما:

١) فعل الأمر: حيث جاءت جميع الآيات بهذه الصيغة إلا في آية واحدة.

٢) المضارع المجزوم بلام الأمر:وقد جاء في آية واحدة، وهي: ﴿... فليعبدوا ربّ هذا البيت﴾.

بناء جملة الأمر :

جاء تركيب جملة الأمر في الآيات المختارة ، على أربعة صور، وهي :

الصورة الأولى :

أسلوب تنبيه (النداء)+ صيغة الأمر(فعل الأمر)+الفاعل(ضمير جماعة المخاطبين)+المفعول به

﴿يَـٰقَوْمِ + اعبد + وا + ٱللَّهَ ﴾

---

[١] انظر: القرطبي،أبا عبدالله ،محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ) ،الجامع لأحكام القرآن،٢١ج، تحقيق أحمد عبد المنعم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م، ج١١: ١٧٧، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٣١٧.

[٢] الحج : ٧٧ .

[٣] النجم : ٦٢ .

[٤] انظر: الزمخشري، الكشاف ، ج١: ١٢٢.

[٥] الزمخشري ، الكشاف ، ج١ : ١٢٢.

وقد جاءت هذه الصورة في (ثماني عشرة آية)[١]، سُبق الأمر فيها بالنداء ، لتنبيه المخاطبين لأهمية الأمر الملقى إليهم، وهو التوحيد.

الصورة الثانية:

تمهيد بأنه هو الإله
والرب الواحد
المستحق للعبادة + صيغة الأمر(فعل الأمر)+الفاعل(ضميرجماعة المخاطبين)+المفعول به

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعبد و ه ﴾

جاءت هذه الصورة في (خمس آياتٍ)[٢]، سُبق الأمر فيها بما يدل أنّ الله هو الواحد المستحق للعبادة ، وهذا تمهيد لمخاطبتهم بأسلوب الأمر الذي يطلب منهم إفراده بالعبادة، أي أنني الإله والرب الواحد المستحق للعبادة ، لأنني المتفرد، وغيري متعدد ، والمتفرد أحق بالألوهية من المتعدد، فلمَ لا تفردونني بالعبادة؟

الصورة الثالثة:

صيغة الأمر(فعل الأمر) + الفاعل(ضمير المفرد المخاطب) + المفعول به

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ ﴾

جاءت هذه الصورة في (خمس آياتٍ)[٣]، لم يسبق الأمر فيها بتنبيه(نداء) ،أو تمهيد يبين أن الله هو المستحق للعبادة ؛لأن المخاطب في هذه الآيات موحد(محمد– صلّى الله عليه وسلم– ،وموسى –عليه وسلم–) ،لا يحتاجان لتنبيه لأهمية هذا الأمر(التوحيد)،لعلمهما بأنه مهم ، وليس بحاجة إلى تمهيد لإثبات تفرده بالألوهية والربوبية،فهما عالمان بأنه هو الواحد المستحق للعبادة .

الصورة الرابعة :

صيغة الأمر(لام الأمر+الفعل المضارع المجزوم)+الفاعل(ضميرجماعة المخاطبين)+المفعول به

جاءت هذه الصورة في آية واحدة ،وهي:﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾، أمرهم فيها بالعبادة مستخدماً لام الأمر والفعل المضارع ، وقد سُبق هذا الأمر بمنٍّ وتفضلٍ من الله على

---

(١) البقرة:٢١ ،والأعراف: ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، والمائدة : ٧٢ ، ١١٧ ، وهود: ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، والحج:٧٧، والمؤمنون : ٢٣ ، ٣٢ ، والنحل : ٣٦ ، والنمل : ٤٥ ، والعنكبوت : ١٦ ، ٣٦ ، ونوح : ٣ .
(٢) آل عمران: ٥١، والأنعام: ١٠٢ ، ويونس: ٣، ومريم: ٣٦، والزخرف: ٦٤.
(٣) هود : ١٢٣ ، الحجر : ٩٩ ، مريم : ٦٥ ، طه : ١٤ ، الزمر : ٢

قريش؛ بتذكيرهم بسائر النعم التي أنعمها عليهم ، ومنها هذه النعمة ، أي إن لم يعبدوني لسائر النعم ، فليعبدوني لهذه النعمة الخاصة المذكورة[١] .

يُلاحظ أن أسلوب الأمر ، بوصفه أسلوباً طلبياً يحتاج إلى جواب ، إلا أنه في آيات الدراسة أتى من غير جواب، وسبب ذلك – على ما يبدو– أن الاهتمام واقع على دعوتهم للتوحيد ، من غير النظر إلى النتيجة المترتبة على ذلك ، فالأوْلى إخلاص العبادة لله تعالى والاعتراف بربوبيته وألوهيته الحقة ، وإفراده بالعبادة ، ثم يأتي بعد ذلك الجزاء المترتب عليه.

فالمطلوب منهم أن يُفردوا الله تعالى بالعبادة ، وهذا المطلب من أجل نجاتهم ، وبعد تحقيقه نبين لهم الجزاء المترتب عليه .

جدول ٩. آيات أسلوب الأمر

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١. ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	الأعراف: ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، والمائدة : ٧٢ ، ١١٧ ، وهود: ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، والمؤمنون : ٢٣ ، ٣٢ ، والنحل : ٣٦ ، والنمل : ٤٥ ، والعنكبوت : ١٦ ، ٣٦ ، ونوح : ٣ .	ألوهية
٢. ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	الحجر : ٩٩	ألوهية
٣. ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾	الزمر : ٢	ألوهية
٤. ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	هود : ١٢٣ ، ومريم : ٦٥	ألوهية
٥. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة : ٢١	ألوهية
٦. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الحج : ٧٧	ألوهية
٧. ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾	النجم : ٦٢	ألوهية
٨. ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾	طه : ١٤	ألوهية
٩. ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾	آل عمران : ٥١ ، والأنعام : ١٠٢ ، ويونس: ٣ ، ومريم : ٣٦ ، والزخرف : ٦٤	ألوهية
١٠. ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾	قريش : ٣	ألوهية

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٨٠٦، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٥٤٨ ، والشوكاني، فتح القدير، ج٥: ٦٧١، وابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٣٠ : ٥٦٠

الأسلوب السابع : النهي

"هو موضوع لطلب الترك"[١] . والمعنى الحقيقي له هو الإلزام والتكليف من الأعلى إلى الأدنى ، بصيغة النهي وهي الفعل المضارع المسبوق بـــ(لا الناهية)[٢].

ويخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

وقد جاء النهي في جميع آيات الدراسة بمعناه الحقيقي ، وهو طلب الكف عن الفعل طلباً إلزامياً من الأعلى إلى الأدنى ، وعملت (لا) الناهية على قلب المضارع إلى الأمر ، بمعنى ان النهي بـــ(لا) هو أمر بالترك[٣] ، فقوله تعالى:﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[٤] نهي من الله للرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الشرك ، والمراد به أمته[٥]. وفي قوله تعالى :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[٦] نهي من الله للنبي – صلى الله عليه وسلم – عن الشرك بالله ، لحث العباد على التوحيد ونهيهم عن شوائب الشرك[٧] . وفي قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٨] ، نهي من الرسول – صلى الله عليه وسلم – لقومه ، حيث ينهاهم عن الشرك بالله .

فالنهي في الآيات السابقة ، هو أمر بترك الشرك ، ودعوة لاتّباع التوحيد ، فالنهي أعطى دلالة توحيدية ، وهي إثبات الألوهية الواحدة لله تعالى ، ونفي تعدد الآلهة ، وهذا معنى (لا إله إلا الله).

---

[١] ابن هشام ، المُغني ، ج١ : ٢٤٦ . وانظر : الأستراباذي ، شرح الرضي ، ج٥: ٩١.
[٢] انظر: القزويني ، الإيضاح : ٨٨ ، والهاشمي ، جواهر البلاغة : ٩٢ .
[٣] انظر: السامرائي ، معاني النحو، ج٤: ٥.
[٤] الإسراء : ٢٢ ، ٣٩ .
[٥] انظر : أبا حيان ،البحر المحيط، ج٧: ٣٠، ٥٢، والشوكاني ، فتح القدير، ج٣ : ٣٠٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ٦٤.
[٦] الشعراء: ٢١٣ ، والقصص : ٨٨ .
[٧] الشوكاني ، فتح القدير ، ج٣ : ٣٠٢ .
[٨] الذاريات : ٥١ .

أمّا زمن النهي ، فالنحاة يقولون إنه الاستقبال ، جاء في المُغني : " و(لا) تقتضي جزمه – أي المُضارع – واستقباله ..."[١] ، ولكن آيات الدراسة دلّت على زمن آخر – في رأيي – إلى جانب الاستقبال وهو الحال ، فقوله تعالى:﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ، وقوله :﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ، نهي لجعل إله مع الله ، وهذا لا يكون في المستقبل دون الحال ؛ لأن المقصود عدم جعل إله مع الله حال صدور الأمر من الله بترك الشرك ، وهذا لم يتم بعد منهم فهم مشركون، ويُلزم ذلك تركه في المُستقبل ، فالأوْلى تركه في الحال ثم في الاستقبال ، وكذلك في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾،النهي عن دعوة إله مع الله في الحال والاستقبال. فالنهي يُلزم الكف عن المنهي عنه حال صدور النهي ،ثم الكف عنه في المستقبل.

أمّا بناء أسلوب النهي في الآيات المختارة فجاء على صورتين هما:

١. صورة جاء النهي فيها له جواب ، وهذه الصورة يمكن تحليلها إلى:

أ- لا+فعل مضارع قلبي+الفاعل+مفعولا الفعل القلبي+صفة للمفعول الأول+جواب الطلب

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾

هذه الصورة لها آيتان، الآية السابقة ، وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾.

ب- لا+فعل مضارع غيرقلبي+الفاعل+ظرف(حال)+مفعول به+صفة للمفعول+جواب الطلب

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾

هذه الصورة لها آية واحدة ، وهي الآية السابقة.

في الصورتين السابقتين جاء النهي له جواب، فما بعد فاء السببية في الآيات السابقة انتصب جواباً للنهي بإضمار (أنْ) ، والنحاة يسمونه جواباً لكونه مُشابهاً للجزاء في أنّ الثاني

---

[١] ابن هشام ، المُغني ، ج١ : ٢٤٦ ، ، والسيوطي ، الهمع ، ج١ : ٣٤ ، وانظر: بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب: ٧٨، والسامرائي، معاني النحو، ج٣: ٢٨٣، حيث قال بوخلخال: " ويتعين الفعل المضارع للاستقبال دائماً"، وقال السامرائي: "إن الفعل يدل على الاستقبال تنصيصاً إذا اقتضى طلباً كالأمر والنهي".

مسبب عن الأول ، ففي الآية الأولى يكون التقدير: إنْ جعلت مع الله إلهاً آخر أُلقيت في جهنم ملوماً مدحوراً . وفي الثالثة : إنْ دعوت مع الله إلهاً آخر تكن من المُعذَّبين[١].

ولكن التعبير الشرطي يُحقق فائدة واحدة ، وهي اقتضاء السبب لمسببه ، أمّا النهي فيحقق فائدتين هما : فائدة الشرط المذكورة ، والثانية إفادة معنى الطلب من النهي وهو الترك[٢].

٢. صورة جاء النهي فيها من غير جواب ، وهذه الصورة يمكن تحليلها إلى:

أ- لا+فعل مضارع قلبي+الفاعل+مفعولا الفعل القلبي+صفة للمفعول الأول

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

وهذه الصورة لها آية واحدة هي الآية السابقة.

ب- لا+ فعل مضارع غيرقلبي+ الفاعل+ ظرف(حال)+ مفعول به+ صفة للمفعول

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

وهذه الصورة لها آية واحدة هي الآية السابقة.

في الصورتين السابقتين جاء النهي من غير جواب ، ويبدو أن الجواب يُمكن تقديره قياساً على الآيات السابقة التي ذكرت فيها الجواب ، وذلك لتشابه سياق الآيات مع بعضها ، فالآية الأولى يُمكن تقدير الجواب بـ:(فتكون من المعذبين) ، وفي الثانية : (فتُلقى في جهنم). ويُمكن تقدير الشرط في هاتين الآيتين ، كما في الآيات الثلاثة السابقة.

والمعيار التوحيدي في الآيات السابقة: توحيد ألوهية ، بالنهي عن اتخاذ شريك مع الله.

جدول ١٠. آيات أسلوب النهي

الآية	اسم السورة/رقم الآية	القسم التوحيدي
١.﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾	الإسراء /٢٢ ، ٣٩	ألوهية
٢.﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾	الشعراء /٢١٣ ، والقصص/٨٨	ألوهية
٣.﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	الذاريات/٥١	ألوهية

[١] انظر: الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٠ : ١٨٥ .
[٢] انظر: ابن القيم ، بدائع الفوائد : ج١ : ١٠٥.

الأسلوب الثامن : التأكيد

التأكيد يفيد تقوية الحكم وتمكينه في ذهن السامع وقلبه ، جاء في المُفصّل :" وجدوى التأكيد أنّك إذا كرّرت فقد قرّرت المؤكّد وما علق به في نفس السامع ومكّنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجته، أو توهمت غفلة وذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته "(١).

وقد جاء التأكيد في الآيات المُختارة إمّا لتأكيد الحكم كله في الأسلوب التعبيري نفسه ، كقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ... ﴾، وإمّا لتأكيد لفظة بعينها دالة على التوحيد ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ، فـ(واحد) أكدت ألوهيته سبحانه ، وإمّا لمضمون الحكم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن التأكيد لم يخص الأسلوب التعبيري فقط ، بل تعدّاه إلى الآية التي ذُكر فيها هذا الأسلوب ، حيث يكون اللفظ التوحيدي في بعضها مدعماً ومؤكـداً للأسلوب التعبيري ، وهنا يكون الدلالة على التوحيد باللفظ لا بالأسلوب ، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ ، وقد لا تحتوي الآية على أسلوب تعبيري ويكون التأكيد بلفظٍ توحيدي ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ .

وقد أخذ هذا التأكيد في الآيات المختارة صوراً متعددة ، هي :

١. ألفاظ تفيد التأكيد حيثما وقعت ، مثل : إنّ، وأنّ ، ولام الابتداء ، ونوني التوكيد الثقيلة والخفيفة ، والقسم ، وأحرف التنبيه .
٢. ألفاظ تفيد التأكيد في مواطن دون أخرى ، وهي الأحرف الزائدة مثل: (من،الباء،ما)، والنفي ، وضمير الفصل ، وضمير الشأن أو القصة .
٣. قد يكون التأكيد على صور إعرابية وتركيبية مختلفة ، فقد يكون على صورة المفعول المُطلق ، أو الحال ، أو النّعت ، أو الخبر ، أو العطف ، أو البدل .
٤. قد يكون التوكيد بالتكرار .

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٣ : ٥٨٧ .

٥. التوكيد الصناعي : اللفظي ، والمعنوي.

وسنعرض لهذه الصور من خلال آيات الدراسة المُختارة،مع الإشارة لفائدة التأكيد في التوحيد

١. ألفاظ تفيد التأكيد حيثما وردت ، وهي:

أ- **إنّ**، وأنّ : جاء التأكيد بـــ(إنّ) المفتوحة والمكسورة في آيات الدراسة المُختـــارة فـــي (ستٍ و ستين آية)، ففي قوله تعـــالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [١]، جاء التأكيد بـــ(أنّ) المفتوحة للحكم ، وهو إثبـــات الألوهيـــة لله تعالى ، ونفيها عن غيره . وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [٢]، جاء التوكيد بـــ(إنّ) المكسورة للحكم ، وهو إثبات الألوهية لله تعالى.

أمّا بقيّة الآيات التي جاء فيها التأكيد بـــ(انّ) فهي :

(البقـــرة ١٢٧ ،١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٦٤)، (آل عمـــران ٨ ،٩ ،١٨ ، ٣٥، ٣٦ ، ٣٨، ٦٢ ، ١٩٢ ،١٩٣، ١٩٤)، (المائدة ٢٥)، (الأنعام ١٢٨)، (الأعراف ٥٤ ،١٥٨)، (يـــونس ٣ ،٥٣، ٨٨)، (هود ١٤)، (إبراهيم ١٩ ،٣٥ –٣٨)، (الإسراء ٤٠ ،٤٩ ،٩٨ ،٩٩)، (مريم٤، ٦٧)، (طه ١٤ ،٤٥)، (الأنبياء ٢٥)، (المؤمنون ٩٣ ،١١٥)، (الفرقان ٣٠)، (الشـــعراء ١٢ ،١١٧)، (النحـــل ٢)، (القصص١٦ ، ٢٤ ،٣٣)، (العنكبوت ١٧)، (الأحزاب ٦٧)، (يس ٧١ ،٧٧)، (الصافات ٤ ،٥ ،٣٥)، (ص ٣٥)، (الزمر ٢)، (غافر ٨)، (الزخرف ٦٤ ،٨٨)، (الدخان ٦–٨)،(الأحقـــاف ٣٣)، (محمد ١٩)، (الحشر ١٠)، (الممتحنة ٥)، (التحريم ٨) .

وقد جاء التأكيد في جميع الآيات السابقة للحكم كلّه،على اختلاف هذا الحكم بين آية وأخرى.

ب- **نون التوكيد**:هي لتوكيد الأفعال (المُضارع ، والأمر)،حيـــث تُخلـــص الفعـــل المؤكـــد للاستقبال.

جاء التأكيد في عشر آيات من آيات الدراسة المختارة ، تسعة منها دخلت على جـــواب القسَم المثبت المستقبل، وواحدة على الشرط المسبوق بـــ(ما) الزائدة .

ففي قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[٣]،

---

(١) آل عمران : ١٨ .
(٢) طه : ١٤ .
(٣) النساء : ٨٧ .

دخلت نون التوكيد علــى الفعــل (ليجمعــنّكم)،وهــو جــواب لقَسَــم محــذوف تقــديره (والله ليجمعنّكم)،والنون المشدّدة أكّدت جمعهم في المستقبل،إضافة إلى دلالة المستقبل المســتفادة مــن (إلى يوم القيامة) .

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١)، دخلت نون التوكيد على الفعل (لأزيننّ) وهو جواب للقَسَم.

أمّا بقية الآيات التي دخلت فيها نون التوكيد على جواب القَسَم، فهــي : (الحجــر٩٢)، (مريم٦٦)، (العنكبوت٦١)، (سبأ٣)، (الزمر٣٨)، (الزخرف٩)، (التغابن٧) .

أمّا الآية التي دخلت فيها نون التوكيد على الشرط المسبوق بــ(ما) الزائدة فهــي ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾(٢)، فأكّد رؤية النبي لعذابهم في المستقبل –في الدنيا أو فــي الآخــرة– بالنون التي تُعطي دلالة الاستقبال ، إضافةً إلى (ما) التي تفيد التوكيد(٣).

ج– **لام الابتداء** : تفيد هذه اللام التأكيد في رأي أكثر النحــاة (٤)، والتأكيــد بهــا يكــون لمضمون الجملة.

جاء التأكيد بــ(لام الابتداء) في سبع آيات من آيات الدراسة المختارة ، ففي قوله تعــالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٥) ، جاء التأكيد باللام للنســبة (مضمون الحكم) وهي نسبة الحكم (المسنَد) وهو (العزيز الحكيم) للمسنَد إليه وهــو(الله) وهــي دلالة توحيدية . وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾(٦)، جاء التأكيد باللام أيضاً للنسبة وهي نسبة (الواحدية) للإله وهو الله (أي أنه واحد ليس له شريك).

أمّا بقية الآيات التي جاءت مؤكدة باللام فهي : (يونس ٥٣) ، (الإســراء ٤٩ ، ٩٨) ، (الذاريات ٢٣) ، (المعارج ٤٠).

---

(١) الحجر : ٣٩ .
(٢) المؤمنون : ٩٣.
(٣) انظر : الزمخشري، الكشاف ، ج٣ : ٢٠٣ ، والبيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج٤ : ١٦٦ .
(٤) انظر : ابن يعيش ، شرح المُفصّل ، ج٨ : ٦٣ ، وج٩ : ٢٥ ، ، وابن هشام المغني ، ج١: ٢٢٨ ، والسيوطي ، الهمع ، ج١: ٤٤٧ .
(٥) آل عمران : ٦٢ .
(٦) الصافات : ٤ .

والتأكيد باللام في جميع الآيات السابقة هو لمضمون الحكم ، على اختلاف هذا الحكم بين آية وأخرى، ولكن في جميعها دلت على التوحيد من خلال نسبة القدرة له – سبحانه– ، فالتوحيد هنا لم يكن بالأسلوب التعبيري بل بالمعنى المُستفاد من الجملة.

وقد دخلت لام الابتداء على خبر (إنّ) المفرد في (خمس آيات) وهي : (يونس ٥) ، (الإسراء ٤٩ ، ٩٨) ، (الصافات ٤) ، (الذاريات ٣) ، وعلى ضمير الفصل في آية وهي (آل عمران ٦٢) ، وعلى الفعل الجامد في آية واحدة وهي (النحل ٣٠) ، وهذا يشير إلى أنها تدخل على الجمل الاسمية والفعلية بخلاف (إنّ) التي لا تدخل إلا على الاسمية.

واللام يؤكَّد بها في مواطن الرد والإنكار وفي مواطن الجواب[1]، وهذا ما دلّ عليه استقراء آيات الدراسة، ففي (آل عمران ٦٢) أكّد باللام للرد على النصارى الذين قالوا بالتثليث . وفي (يونس ٥٣) للردّ على الكفار المنكرين للعذاب. وفي (الإسراء ٤٩ ، ٩٨) لتأكيد إنكار ما يتسآلون عنه واستبعاده ، وهو عدم القدرة على إعادة الخلق . وفي (الصافات ٤) جواب من الله تعالى على أنّه واحد ليس له شريك. وفي (الذاريات ٢٣) للرد على من يُنكر آيات قدرة الله (في الآيات السابقة) ، فأكّد أنها حق. وفي (المعارج ٤٠) جواب لتأكيد قدرة الله على تبديل العصاة .

د– **القَسَم**[2] : تحدثنا عن هذا المؤكّد بالتفصيل سابقاً، وقلنا :إنّ الغرض من الحلف، سواء أكان بفعل القَسم، أم بإحدى حروفه وهو التوكيد،كما أشرنا إلى أن(لا)الواقعة قبل فعل القَسَم أو الحرف هي أيضاً للتوكيد(توكيد النفي)،وقد ذكرنا أيضاً أنّ اللام الواقعة في الجواب تفيد التوكيد.

هـ– **أحرف التنبيه (ألا الاستفتاحية)** : ذكرها الزمخشري في قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾[3] ، وقال إنّها تفيد التوكيد، من خلال التنبيه على ما بعدها أنه متحقق[4].

وقد جاء التأكيد بها في آيتين هما : ﴿ ...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[5] ، للتنبيه على اختصاصه سبحانه بالخلق . و﴿ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴾[6]، للتنبيه على إثبات صفة العزة والمغفرة له – سبحانه– .

---

(١) السامرائي ، معاني النحو ، ج١ : ٢٩٣–٢٩٤ .
(٢) يُنظر ص ٧٧– ٨١ من هذا البحث.
(٣) البقرة : ١٢ .
(٤) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج١ : ١٠١ .
(٥) الأعراف : ٥٤
(٦) الزمر : ٥

٢. **ألفاظ تفيد التوكيد في مواطن دون أخرى ، وهي :**

أ- **الحروف الزائدة (من ، الباء ، ما)**

١) **مِن** : ومعنى زيادتها عند النحاة دخولها على مجرور يطلبه العامل بدونها ، فقوله تعالى :﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾ [(١)] ، دخلت(من) على المبتدأ ، وقد اشترط النحاة لزيادتها شروطاً مبثوثة في كتب النحو، وقالوا إنها تفيد الاستغراق والتوكيد[(٢)].

وقد جاءت (من) زائدة في (اثنتي عشرة آية) من آيات الدراسة، وهي (آل عمران ٦٢) و(المائدة ٧٣)، و(الأعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥)، و(يونس ٣)، و(مريم ٣٥)، و(الأنبياء ٢٥) ، و(المؤمنون ٩)، و(فاطر٣)، و(ص ٦٥) . وكان مجرورها مبتدأ في جميع الآيات إلا في (مريم ٣٥) ، و(الأنبياء ٢٥) ، و(المؤمنون ٩١) حيث جاء مفعولاً به.

٢) **الباء** : جاءت الباء زائدة في (خمس آيات) ، دخلت في آيتين منها على خبر (ليس) وهما : (الأعراف ١٧٢) لتوكيد ربوبيته سبحانه للخلق ، و(يس ٨١) لتوكيد قدرته على خلق السماوات والأرض . وآيتين على خبر (ما) وهما : (هود ١٢٣) و(فصلت ٤٦) لتوكيد نفي الغفلة والظلم عنه – سبحانه- . وفي آية على خبر (أن) بعد (رأيت) المنفية ، وهي : (الأحقاف ٣٣) لتوكيد إثبات قدرته على إحياء الموتى .

فالتأكيد في الآيات السابقة جاء لمضمون الحكم، وهذا الحكم يحمل دلالة توحيدية، وهي: إثبات القدرة له – سبحانه- ونفي الغفلة والظلم عنه .

٣) **ما** : جاءت (ما) زائدة في (آيتين) : ففي قوله تعالى:﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ [(٣)] ، زيدت (ما) بعد (إنْ) الشرطية للتوكيد ، وفي قوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [(٤)]،(ما) زائدة نص على ذلك الخليل[(٥)] والتقدير :مثلَ نطقكم.

---

(١) فاطر : ٣ .
(٢) انظر : المبرد، المقتضب ، ج٤ : ٤٢٠ ، والمغني ، ج١ : ٣٢٢ ، والأستراباذي ، شرح الرضي ، ج٦ : ١١-١٣ .
(٣) المؤمنون : ٩٣ .
(٤) الذاريات : ٢٣ .
(٥) انظر : الدرويش ، إعراب القرآن ، ج٧ : ٢٨٩ .

ب- **ضمير الفصل** : هو ضمير يتوسط بين المبتدأ والخبر ، أو ما أصله مبتدأ وخبر ، للإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع ، وللنحاة شروط لتوسطه[١]. وفائدة هذا الضمير هو التوكيد، لهذا سمّاه بعض الكوفيين دعامة ، لأنه يدعَم به الكلام؛ أي يقوى ويؤكد[٢].

وقد جاء ضمير الفصل في (ثلاث عشرة آية)، وفي جميعها توسّط بين اسم (إنّ) وخبرها وهذا يفيد زيادة التوكيد ، كما جاء هذا الضمير بصورة المخاطَب (أنت) في (ثماني آيات)، وهي : (البقرة ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩) ، و(آل عمران ٨ ، ٣٥) ، و(ص ٣٥) ، و(غافر ٨) ، و(الممتحنة ٥) . وبصورة الغائب في (أربع آيات) ، وهي:(آل عمران ٦٢) و(القصص ١٦) و(الدخان ٦) و(الذاريات ٥٨) . وبصورة المتكلم في (آية واحدة)، وهي : (طه ١٤) .

وضمير الفصل يفيد توكيد معاني القصر المتعددة التي تدخل عليها،فهو يفيد توكيد القصر الحقيقي:كما في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ...وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣]، فلوحذف الضمير لبقي معنى القصر ولكنه جاء بالضمير توكيداً لهذا المعنى، ومن ذلك:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[٤]، و﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[٥]، و﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٦].

وقد يكون لتوكيد معنى الكمال : جاء في التفسير الكبير في قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٧] : " فإن قيل : قوله (إنك أنت السميع العليم) يفيد الحصر وليس الأمر كذلك فإن غيره قد يكون سميعاً ، قلنا:إنه سبحانه لكماله في هذه الصفة يكون كأنه هو المختص بها دون غيره."[٨] وكذلك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٩] ، فقد يكون غيره عزيزاً وحكيماً ، ولكنه هو المختص بها دون غيره لكماله في هذه الصفة.

---

[١] انظر: ابن هشام : المغني ، ج٢ : ٤٩٦ .
[٢] انظر : المصدر نفسه ، ج٢ : ٤٩٦ ، والسيوطي ، الإتقان ، ج٢ : ٢٠٨ .
[٣] البقرة : ١٢٨ .
[٤] الذاريات : ٥٨ .
[٥] آل عمران : ٨ ، وص : ٣٥ .
[٦] القصص : ١٦.
[٧] البقرة : ١٢٧ ، آل عمران : ٣٥ .
[٨] الرازي ، التفسير الكبير ، ج٤ : ٦٥ .
[٩] غافر: ٨ ، الممتحنة : ٥ .

ج- **ضمير الشأن** : وهو الضمير الذي تفسره جملة بعده ، ولا يكون إلا في مواضع التفخيم والتعظيم لتقوية الكلام وتوكيده[١].

وقد جاء ضمير الشأن في آيتين هما : ففي قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [٢] سُبِق ضمير الشأن بما يناسبه من التعظيم والتفخيم والتنزيه.

وفي قوله تعالى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [٣] ، سألوا النبي عن شيء عظيم ، وهو أن يَصِف ربّه ، فهذا موضع عظيم ناسبه ضمير الشأن فكأنه قال: الشأنُ الله واحدٌ لا ثاني له.

٣. **التوكيد على صور إعرابية وتركيبية مختلفة ، وهي:**

أ- **التوكيد بالمصدر:** وقد جاء بصورة المصدر التنزيهي (سبحان) مُضافاً إلى الضمير أو إلى لفظ الجلالة (الله) في (إحدى عشرة آية)، ست منها إلى ضمير الغائب (سبحانه)، وفي آيتين إلى ضمير المُخاطَب (سبحانك) ، وفي ثلاثة إلى لفظ الجلالة الله (سبحان الله).

ففي قوله تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [٤] ، وقوله :﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٥]، وقوله :﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [٦]، فالمصدر (سبحان) في الآيات السابقة جاء لتأكيد أحقيّته سبحانه بالوحدانية، وتنزيهاً له عن الإشراك في طاعته وعبادته.وتقدير (سبحان): سبّحه تسبيحاً.

أمّا بقية الآيات فهي : (النساء ١٧١) ، و(مريم ٣٥) ، و(الاسراء ٤٣) ، و(المؤمنون ٩١) ، و(سبأ ٤١) ، و(الزمر ٤ ، ٢٣) ، و(الطور ٤٣).

---

(١) الأزهري ، خالد بن عبد الله (ت٩٠٥ هـ)، شرح التصريح على التوضيح ، ط١ ،٣ج، دار الكتب العلمية ،بيروت٢٠٠٠م ، ج١: ١٦٢-١٦٣، و انظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٣ :٦٥ ،والأسترابادي، شرح الرضي على الكافية ،ج٣: ٢١٢،والسيوطي ، الإتقان ،ج٢ : ٢٠٨ .
(٢) النمل : ٨-٩ .
(٣) الإخلاص : ١.
(٤) التوبة : ٣١.
(٥) الأنبياء: ٢٢ .
(٦) آل عمران : ١٩١.

وقد جاء المصدر مؤكداً لفعله في آية واحدة هي:و﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾[١]. كما جاء المصدر بإضمار عامله في آية واحدة ، وهي: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٢]، وقوله: " (غفرانك) تقديره : اغفر غفرانك ، ويُستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء نحو سقياً ورعياً "[٣].

والتوحيد في الآيات السابقة مُتأتٍ من اللفظ الدال على طلب المغفرة من الله ، فهو اعتراف له – سبحانه– بالقدرة .

ب- **التوكيد بالنعت** : ويشمل :

١) **أن يكون منعوتها دالاً عليها** : وهذا خاص بالعددين الواحد والاثنين؛ فهذان العددان يسد معدودهما عنهما لأن فيهما دلالة على العدد ، فلا حاجة لأن نقول: رجل واحد ، وامرأة واحدة، ورجلان اثنان ، وامرأتان اثنتان.

وقد جاء هذا النوع من التوكيد في (ثماني آيات)، هي: (البقرة ١٣٣) ، و(النساء ١٧١) ، و(التوبة ٣١)،و(إبراهيم ٥٢)،و(النحل ٥١)،و(الكهف ١١٠)، و(الأنبياء ١٠٨) ، و(فُصلت ٦).

ففي قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[٤]، جاء المعدود متبوعاً بالعدد لغرض التوكيد ؛ لأن المُراد هو إثبات الألوهية الواحدة ، ونفي التثنية ، جاء في الكشاف: "فما وجه قوله إلهين اثنين ؟ قُلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالٌّ على شيئين : على الجنسية والعدد المخصوص ، فإذا أُريدت الدلالة على أنّ المعنيّ به منهما والذي يُساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به.ألا ترى أنك لو قُلت : إنما هو إله ، ولم تؤكده بواحد: لم يحسن، وخُيّل أنك تُثبت الإلهية لا الوحدانية."[٥]

٢) **تعدّد النعوت:** وتعدد النعوت، إمّا أن يكون بعطف النعوت بعضها على بعض، وإما بترك العطف بين هذه النعوت .

---

[١] الزمر : ٦
[٢] البقرة : ٢٨٥ .
[٣] الرازي ، التفسير الكبير ، ج٧ : ١٥٠ .
[٤] النحل : ٥١.
[٥] الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ : ٥٧٠ ، وانظر : الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٠: ٥٠ – ٥١ ، وانظر : السيوطي ، الإتقان ، ج٣ : ١٦٠ – ١٦١ .

فتعدد النعوت بالعطف جاء في آية واحدة من الآيات المختارة ،وهي قوله تعالى:﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[١]،وقد جاء التعدد بسبع صفات،عطف بينها بالواو للتوكيد والاهتمام ورفع التوهم،جاء في بدائع الفوائد :"إن الواو تقتضي الوصف للمتقدم، وتقريره في الكلام، متضمناً لنوع من التأكيد ومن مزيد التقرير...وفي العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه، تدرأ به توهم الإنكار"[٢]. وربما يكون سبب الإتيان بالعطف في الآية السابقة، هو الدلالة على تباعد معنى هذه الصفات، جاء في الإتقان : "إذا تكررت النعوت لواحد:فالأحسن – إن تباعد معنى الصفات– العطف ...وإلا تركه"[٣].

أمّا تعدد النعوت بلا عطف فقد جاء في خمس آيات ، وهي :(الفاتحة ١–٤)، و(المؤمنون ١١٦) ، و(ص ٦٥– ٦٦) ، و(الزمر ٤) و(غافر ٨) . وسبب ترك العطف في هذه الآيات أن الصفات جاءت لموصوف واحد ، وهي مجتمعة في محل واحد ، جاء في البرهان : " ومقتضاها – أي الصفات – ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ولجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق ، ولذلك يقل عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل ، وذلك كقوله :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [٤] "[٥] ، ومعنى هذا أن الصفات في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [٦]، هي لموصوف واحد وهو الله ، كما أن هذه الصفات مجتمعة في موصوفها ومتحققة.

وقد يأتي بالصفات مرة من غير عطف ومرة بالعطف ، وذلك كقوله تعالى:﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٧]، فقد أتى بالواو بين (غافر الذنب) و(قابل التوب) ليرفع احتمال كونهما بنفس المعنى ، أي حتى لا يفهم أن معنى (غافر الذنب) هو

---

[١] الفرقان : ٣.
[٢] ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ج١ : ١٩١ .
[٣] السيوطي ، الإتقان ، ج٣ : ١٦٢ ، وانظر : البرهان ، ج٣ : ١٢٦ .
[٤] البقرة : ٢٥٥ .
[٥] الزركشي ، ج٣ : ٥٣١ .
[٦] الفاتحة : ٢ – ٤ .
[٧] غافر : ٣ .

(قابل التوب) ، لأن عطف الشيء على نفسه مُحال . أمّا (شديد العقاب) فجاءت من غير عطف للدلالة على المُغايرة مع الصفات التي قبلها ، فهاتان الصفتان مغايرتان لما قبلهما من الصفات فلا دلالة لذكر العطف معهما[١].

وقد يكون سبب العطف بين(غافر الذنب)و(قابل التوب)الاهتمام بالتوبة ههنا ، بدليل ذكرها في آية لاحقة ، وهي:﴿ ... فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٢].[٣]

أمّا قوله تعالى:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، فقد جاء بالعطف وكرّر لفظ (ربّ) لتحقيق هذا الوصف وتقريره وتوكيده ، فكأنه أراد أن يقول : الذي له الحمد هو ربّ السماوات ، ثم أراد رفع الظن والتوهم وإثبات ربوبيته تعالى بطريق الأصالة، فقال: وربّ الأرض ربّ العالمين[٥].

ج- **التوكيد بالخبر:**

يُقصد بهذا العنوان تعدّد الأخبار ، وهو موضوع مُشابه لتعدد النعوت ، لهذا يُعالج النحاة هذين الموضوعين باعتبار كل منهما وصفاً ، فيأتيان مُتداخلين في طريقة طرح النحاة لهما.

وما قيل في(تعدد النعوت) يُقال هنا ، فيؤتى بالأخبار متعاطفة تارة ، وتارة من غير عطف ، والغرض من تعددها التوكيد ، والاهتمام والتحقيق والتقرير ، ورفع توهم الإنكار ، كما أشار إليه ابن القيّم في كتابه (بدائع الفوائد) في النص الذي ذكرناه سابقاً. لهذا سنسوق مثالاً على ما جاء من غير عطف ، ومثالاً آخر على ما جاء بالعطف ، ثم تذكر بقية الآيات حسب ترتيبها في كتاب الله.

ففي قوله تعالى﴿ ... هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ... ﴾[٦] ، جاءت الأخبار من غير عطف لتأكيد تحقيقها مُجتمعة في موصوفها المُخبَر عنه وهو الله تعالى.

---

[١] انظر: الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٧ : ٢٩ ، والبرهان ، ج٣ : ٥٣٢.
[٢] غافر: ٧.
[٣] انظر : السامرائي ، معاني النحو ، ج٣ : ١٧٤.
[٤] الجاثية : ٣٦.
[٥] انظر : الألوسي ، روح المعاني ، ج٢٦: ٣.
[٦] الحشر : ٢٢ – ٢٤ .

وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾[١]، كـرّر لفظ (ربّ) لتأكيد ألوهيته الواحدة المُقسم عليها ، وجاء بالواو تحقيقاً وتقريراً لهذا الأمر.

وجاء جميع الآيات من غير عطف إلا في آيتين هما:(الشعراء ٢٣- ٢٨) و(الصافات ٤-٥) . كما جاءت هذه الأخبار في الغالب أخباراً لـ(إنّ).

أمّا بقية الآيات التي جاء التوكيد فيها بـ(تعدد الأخبار) فهي: (البقرة ١٢٧، ١٢٨ ، ١٢٩) ، و(آل عمران ٣٥، ٦٢) و(الأنعام ١٢٨ ، ١٠٢) ، (يونس ٣) ، و(الرعد ١٦) ، و(القَصَص ١٦ ، ٧٠) ، و(يس ٨١)، و(الزمر ٦) ، و(غافر ٦٢ ، ٦٥) ، و(الدخان ٦-٨) ، و(الحشر ١٠) ، و(الممتحنة ٥).

هـ - التوكيد بالبدل

هو " التابع المقصود بالحكم بلا واسطة "[٢]. والمُبدَل منه يكون تمهيداً وتوطئة لذكر البدل. وذهب النحويون إلى أنّ البدل على نية إحلاله محل المُبدَل منه ، وأمّا المُبدل منه فعلى نية السقوط .[٣]

وذكر بعض النحاة : أن التوكيد في البدل على نية تكرار العامل ، جاء في الإتقان : "والقصد به الإيضاح بعد الإبهام ، وفائدته البيان والتوكيد ، أمّا الأول : فواضح أنك إذا قلت : (رأيت زيداً أخاك) بيّنت أنك تُريد الأخ لا غير ، أما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل ، فكأنه من جملتين ، ولأنه دلّ على ما دلّ به الأول "[٤] .

والبدل في آيات الدراسة المُختارة أفاد التوكيد من اجتماع البدل والمُبدَل منه، لكون الاسمين دالين على ذات واحدة ، وليس على نية تكرار العامل ، ففي قوله تعالى :﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[٥]، (رب السموات) بدل من (ربك) ، والتوكيد مُتأتٍ من كون الاسمين دالين على ذات واحدة وهو (الله)، واجتماع البدل والمُبدل منه هو الذي أفاد التوكيد ، ولو طرحت المُبدَل منه وأقمت البدل مكانه وقلت : (رحمة من رب السموات) لانتفى التوكيد.

---

[١] الصافات : ٤ – ٥.
[٢] ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج٣: ٢٢٢. والسيوطي ، الهمع ، ج٣ : ١٤٧.
[٣] انظر : ابن يعيش ، شرح ابن يعيش ، ج٣: ٦٣٢.
[٤] السيوطي ، الإتقان ، ج٣: ١٦٣ .
[٥] الدخان : ٦-٧.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾[1] ، فـ(رب السموات) بدل من (ربك) ، و(الرحمن) بدل من (رب السموات) ولا يتحقق التوكيد بطرح المُبدَل منه.

وقد تحتمل الكلمة أكثر من إعراب ، فتكون بدلاً أو نعتاً أو خبراً ، ... ، لهذا تداخلت الآيات ، فالآيات التي أُعرب فيها الاسم خبراً أو نعتاً ، ... ، هي نفسها التي يُعرَب فيها بدلاً ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾[2]، فـ(ربُّ) قد يُعرَب بدلاً من (واحد) ، وقد يُعرَب خبراً ثانياً لـ(إنّ) أو خبراً لمُبتدأ محذوف. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فلله الحمد ربُّ السموات ورب الأرض رب العالمين﴾[3] ، فـ(ربّ) قد يكون نعتاً لـ(الله) أو بدلاً منه.

وهذا لا يعني أنه لايوجد آيات مستقلة رُجِّح فيها أن يُعرَب بدلاً ، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[4].فـ(إلهاً) بدل من (إله آبائك) . وكذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[5] ، فـ(لا إله إلا هو) و(يحيي) و(يميت) بدل من الصلة (الذي له ملك السموات ..) ، وفي هذه الأبدال بيان لاختصاصه تعالى بالألوهية[6].

٤. التوكيد النحوي

ويُقسَم إلى قسمين : اللفظي والمعنوي

فاللفظي لم يأتِ في آيات الدراسة المُختارة . أمّا المعنوي : " فهو على ضربين : أحدهما ما يرفع توهم مُضاف إلى المؤكد ، وله لفظان : النفس والعين مُضافان إلى ضمير يُطابق المؤكد. والثاني : وهو ما يرفع توهم عدم إرادة الشمول،والمُستعمل لذلك (كل، كلا ، كلتا ، وجميع) "[7].

---

(١) النبأ : ٣٦-٣٧.
(٢) الصافات : ٤-٥.
(٣) الجاثية : ٣٦.
(٤) البقرة : ١٣٣.
(٥) الأعراف : ١٥٨.
(٦) انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٢: ١٥٧.
(٧) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج٣: ١٨٠.

وقد جاء في آيتين : الأولى بلفظ (كلّه) ، وهو قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١]، فالتوكيد هنا نصّ على قصد العموم والإحاطة ، حتى لا يتوهم أحد أن جزءاً من الأمر راجع إليه ، فجاء بـ(كلّه) لتنص على أن كل الأمر راجع إليه تعالى.

أمّا الآية الثانية فجاء التوكيد بلفظ (أجمعين)،وهو قوله تعالى﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢]، فالمراد سؤالهم جميعاً وليس جزءاً منهم ، والذي رفع توهم إرادة سؤال الجزء منهم ، هو لفظ التوكيد (أجمعين) ، ومن ثمّ النص على إرادة الإحاطة والشمول.

٥. **التكرار**

وهو غير التوكيد اللفظي ؛ لأن التوكيد اللفظي لا يفصل بينه وبين مؤكده.والتكرار يأتي لأغراض منها : التأكيد ، والتقرير، وزيادة التنبيه ، والتعظيم والتهويل، ولتعدد المتعلق[٣].

وقد جاء التكرير في الآيات المُختارة، إمّا بتكرير لفظ ، وإما بتكرير جملة ، فمن تكرير اللفظ قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، فقد كرر لفظ (ربّ) للتوكيد .

ومنه قوله تعالى﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥]، كرّر لفظ (رب) منادى مبالغة في التضرع والابتهال. ومنه قوله تعالى﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[٦]، كرر لفظ (ربنا) مرتين للتوكيد.

---

[١] هود : ١٢٣.
[٢] الحجر: ٩٢.
[٣] انظر: الزركشي ، البرهان ، ج٣: ١٥ – ٣٧ ، والسيوطي ، الإتقان ، ج٣: ١٥١ – ١٦٠ .
[٤] الجاثية : ٣٦.
[٥] المؤمنون: ٩٣ – ٩٤.
[٦] يونس : ٨٨.

ومن تكرير الجمل قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، كرر كلمة الشهادة للتأكيد ولمزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد[٢].

ومنه قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[٣] ، فقد كرّر كل من العامل (أعوذ) والنداء (رب) مبالغة وزيادة واعتناء بهذه الاستعاذة[٤].

وفي سورة (النمل ٦٠ – ٦٤) كرّر (أإله مع الله) خمس مرات ، وفي(البقرة ١٢٧ – ١٢٩) كرّر (إنك أنت...) مع اختلاف الخبر في كل آية . وفي (الزخرف ٩) كرّر الفعل (خلقهن) . وفي (الحشر٢٢ – ٢٤) كرّر (هو الله الذي لا إله إلا هو) . وفي (الذاريات ٥٦ – ٥٨) كرّر (ما أريد). وفي(العنكبوت ١٧) كرّر (يعبدون من دون الله) ، وفي جميعها جاء التكرير للتأكيد .

بقي أن نقول : جاء التوكيد في آيات التوحيد بحسب حاجة المُخاطب ؛ فإذا كان يحتاج إلى مؤكد واحد جاءت له بمؤكد ، وإذا احتاج إلى أكثر جاءت له على قدر حاجته . فقد وصل التوكيد في بعض الآيات إلى أربع مؤكدات ، كما في قوله تعالى﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥] ، فقد أكّد بـ(إنّ) ، ثم (لام الابتداء) ، ثم (ضمير الفصل) ، ثم (تعدد الخبر ، العزيز والحكيم).

ويُلاحظ أن أغلب آيات التوحيد في الآيات المُختارة احتوت على أكثر من مؤكد ، والسبب أنّ هذه الآيات خاطبت إمّا منكراً ، وإمّا مبالغاً في الإنكار ، وهذان المُخاطبان بحاجة إلى زيادة توكيد.

---

[١] آل عمران : ١٨.
[٢] انظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج٢: ١٨.
[٣] المؤمنون : ٩٧ – ٩٨
[٤] انظر : الدرويش ، إعراب القرآن ، ج٥: ٢٢٨.
[٥] آل عمران : ٦٢.

الأسلوب التاسع: النفي

وقد جاء في الآيات المُختارة بأدوات هي: (ما، ولا، ولم، ولن) ، وهي حروف ، وجـاء بـــ(ليس)،عند من يعدها فعلاً ، وذهب بعض النحاة إلى أنها حرف بمنزلة (ما)، والصواب أنهـا فعل[١].

ما : جاء النفي بـــ(ما) في الآيات المُختارة في ست آيات ، فكان نفيها للماضي البعيـد[٢] فـي ثلاث آيـات:﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[٣]،و﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾[٤]، والمعيار التوحيدي في الآيتين السابقتين : نفي الباطل واللعب عن خلقه – سـبحانه- ،أي نفي عقائد من يفضي اعتقادهم إلى أن هذا الخلق باطل أو خلي عن الحكمة ، فهو تنزيه لله من أن يكون خلقه لهذه المخلوقات باطلاً ، واعتراف بأحقية الخلق له –سبحانه- ، ونفي العبـث عن هذا الخلق، وتعظيم له- سبحانه- . فهو توحيد ربوبية : بأنه –تعالى- ماخلق هذا المخلـوق العجيب باطلا ، بل خلقه ، وخلق البشر لينظر فيه ، فيُوحَّد ويُعبَد [٥].و ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[٦] ، والمعيار التوحيدي في هذه الآية : توحيد ربوبية ، بنفي شهادة أحد من الكافرين على خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم ، ومن ثمّ نفي الشرك عنه – سبحانه-، لأنهم لما لم يكونوا شركاء لله في الخلق ، لم يستحقوا أن يعبدوا[٧].

ودخلت على المُضارع في آية واحدة ، وهـي﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾[٨]، فكان نفيها للاستمرار ؛ أي لم ترَ اضطراباً أو اختلافاً في خلـق الله فـي الحال أو المستقبل. والمعيار التوحيدي توحيد ربوبية ، بنفي الاضطراب عن خلقه – سـبحانه-

---

[١] انظر : ابن هشام ، المغني ، طبعة دار الكتب العلمية ، ج١: ٥٦٤.
[٢] انظر:السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٦٤- ١٦٥.
[٣] آل عمران : ١٩١.
[٤] الأنبياء : ١٦.
[٥] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج١: ٤٨٣، وأبا حيان ، البحر المحيط ، ج٣ : ٤٧٠ ، وج٧ : ٤١٥، والشوكاني ، فتح القدير، ج١: ٦٦٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ : ١٩٨.
[٦] الكهف : ٥١.
[٧] انظر: أبا حيان ، البحر المحيط ، ج٧ : ١٩٠-١٩١ ،والشوكاني ، فتح القدير، ج٣: ٤٠٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥ : ٣٤٢-٣٤٣.
[٨] الملك : ٣.

،فهو تعريض بأهل الشرك ، إذ أضاعوا النظر والاستدلال بما تشاهده أبصارهم ، والذي يدل على وحدانية الله –تعالى–[١] .فالتوحيد في الآية : استدلال بالخلق الذي لايوجد فيه تفاوت على الخالق القادر .

ودخلت على الجملة الاسمية فعملت عمل ليس في آيتين،هما:﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[٢]

، و﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[٣]، وكان نفيها للحقيقة غير مقيّد بزمن ، لأن الله لايقع منه الظلم لأحد و الغفلة عن أحدٍ[٤] ، وهاتان حقيقتان مسلم بهما.والمعيار التوحيدي توحيد أسماء وصفات، بنفي صفة الظلم والغفلة عنه – سبحانه–.

لا : جاء النفي بـــ(لا) في الآيات المُختارة في ثلاث آيات، وسورة كاملة هي (الكافرون). فكان نفيها للاستمرار[٥] في قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌ ...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ... وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[٦]؛لأن الله تعالى لا يأخذه نعاس ولا نوم لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل، ولا أحد يحيط بعلمه أبداً ، كما أنه تعالى لا يشقّ عليه ولا يُتعبه حفظهما أبداً[٧]. والمعيار التوحيدي توحيد أسماء وصفات ، بنفي صفة النعاس والنوم والتعب عنه – سبحانه– . كذلك في قوله تعالى :﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[٨] ، فهم لايخلقون ولا يملكون لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المُستقبل، فهو إبطال لكفرهم المتعلق بصفات الله ،وتزييف لمذهبهم ، وبيان للتوحيد[٩].

---

[١] انظر:الشوكاني ، فتح القدير، ج٥: ٣٤٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩ : ١٧
[٢] فصلت : ٤٦.
[٣] هود : ١٢٣.
[٤] انظر:الشوكاني ، فتح القدير، ج٤: ٦٨٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢ : ١٩٦
[٥] انظر:السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٧٦
[٦] البقرة : ٢٥٥.
[٧] انظر:أبا حيان،البحر المحيط ،ج٢: ٦٠٩،و٦١٢،وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٣: ٢١–٢٢
[٨] الفرقان : ٣.
[٩] انظر:الشوكاني ، فتح القدير، ج٤: ٨٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٨ : ٣٢١

أمّا في سورة الكافرون ، فالنفي بــ(لا) في قوله تعالى: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ للمستقبل ، وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾أيضاً للمستقبل على سبيل المُقابلة ؛ أي لا أفعــل فــي المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ، ولا أنتم فاعلون ما أطلبه منكم من عبادة إلهي. كما قابل بين ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ و ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ للدلالة على نفي الحال ؛ لأن اســم الفاعل العامل فيه دلالة على الحال ، جاء في البحر المحيط: "والذي أختاره في هذه الجمل: أنــه نفي عبادته في المستقبل ؛ لأن الغالب في (لا) أن تنفي المستقبل ، ثم عطــف عليــه ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ نفياً للمستقبل على سبيل المقابلة ، ثم قال :﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾نفياً للحــال ؛ لأن اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال ، ثم عطف عليه ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ نفياً للحال على سبيل المقابلة ، فانتظم المعنى أنه عليه الصلاة والسلام لا يعبد ما يعبدون لا حالاً ولا مستقبلاً ، وهم كذلك إذا حتم الله موافاتهم على الكفر"[١].

ليس : جاء النفي بــ(ليس) في الآيات المُختارة في ثلاث آيات ، واحدة منها لم تُســبق بهمــزة الاستفهام ، وهي :﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٢]، والنفي فيها للحقيقة غير مُقيّــد بزمن[٣]. والمعيار التوحيدي توحيد أسماء وصفات ، بنفي مشابهته – ســبحانه – لأحــد مــن المخلوقات ، فهو الربّ المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله[٤].

أمّا (ليس) المسبوقة بهمزة الاستفهام ، فقد جاءت في آيتــين همــا:﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[٥]،و ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ

---

[١] أبو حيان ، ، البحر المحيط ، ج١٠ : ٥٦٠.
[٢] الشورى : ١١.
[٣] انظر:السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٦٣
[٤] انظر:القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ : ٨– ٩، و أبا حيــان،البحر المحــيط ،ج٩: ٣٢٧، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٢٥: ٤٧،والخالدي ، القبسات السنية :٣٤، ٤٣، ٤٤، ٤٥
[٥] الأعراف : ١٧٢.

ﭐﻟۡﻌَﻠِﻴﻢُ ﴾[١]، فـ(ليس) فيهما لتحقيق الحال ؛ لأنه قبل دخول الهمزة كان للحال ، فإذا دخلت الهمزة صار لتحقيق الحال ، جاء في التفسير الكبير: "... وليس إنما تستعمل لنفي الحال ، فإذا دخلت عليها الألف صارت لتحقيق الحال"[٢]. فيصبح المعنى في الآية الأولى : (إنني ربكم) ، وفي الثانية : (إنني قادر على خلق مثل السموات والأرض). والمعيار التوحيدي في الآيتين السابقتين توحيد ربوبية ، بإثبات ربوبيته وقدرته – سبحانه–على خلق السماوات والأرض،و إعادة الخلق بعد الموت.وقد شهدوا على أنفسهم وأقروا بأنه هو الرب القادر على كل شيء[٣].

لم : جاء النفي بـ(لم) في الآيات المُختارة في آيتين ، وكان نفيها في الآيتين للماضي المستمر الذي لا ينقطع ولن ينقطع [٤]، وهما:﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾[٥]؛ فالله لم يتخذ ولداً ولا شريكاً في الماضي ولا في الحاضر ، ولن يتخذه في المستقبل. والمعيار التوحيدي توحيد ألوهية ، بنفي الشريك عنه ، وبالتالي الاعتراف بوحدانيته تعالى. وقوله تعالى:﴿ لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفواً أحد﴾[٦]، والمعيار التوحيدي توحيد أسماء وصفات، بنفي صفات خاصة بالمخلوق عنه لأنه "لا يُجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالد"[٧] ؛ فهو ليس كمثله شيء.

كما جاء النفي بـ(لم) مسبوقاً بـ(همزة الاستفهام) في تسع آيات . وقياساً على (ليس) المسبوقة باستفهام ، يمكننا أن نقول : إن (لم) تنفي المضارع وتقلبه إلى الماضي ، وإذا دخلت عليها همزة الاستفهام أصبحت لتحقيق الماضي ؛ ونحن نستخدم ذلك في الدارجة ؛ يطلب الطالب من المعلم إعادة شرح الدرس ، فيقول: ألم أشرحه ؟ بمعنى إنني شرحته ، وتحقق الشرح في الماضي.

---

[١] يس : ٨١.

[٢] الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٥ : ٢٤٤.

[٣] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٢: ١٦٦، وج٤ : ٣٣–٣٤، وأبا حيان ، البحر المحيط ، ج٥: ٢١٨–٢١٩ ، والشوكاني ، فتح القدير، ج٤ : ٥٠٦

[٤] انظر:السامرائي ، معاني النحو ، ج٤ : ١٦٢

[٥] الفرقان : ٢.

[٦] الإخلاص: ٣–٤.

[٧] أبو حيان ، ، البحر المحيط ، ج١٠ : ٥٧٢، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٣٠: ٦١٨–٦١٩ ، وانظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج٤: ٨٢٣، والشوكاني ، فتح القدير، ج٥ :٦٩٨

ففي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[١]، فالمعنى يصبح: (خلقناكم من مــاء مهــين)؛ فعملية الخلق حدثت وتحققت. وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٢] ، المعنى: (خلقت السموات والأرض بالحق) ؛ فعملية الخلق حدثت وتحققت في الماضي ، ويطلب منهم التفكر والتمعن في هذا الخلق[٣].

أمّا بقيّة الآيات فهي : (النحل ٤٨) ، (الإسراء ٩٩) ، (العنكبوت ١٩) ، (يس ٧١، ٧٧) ، (الأحقاف ٣٣) ، (نوح ١٥) ، والمعيار التوحيدي في جميع هذه الآيات توحيــد ربوبيــة ، بإثبات أحقية الخلق له – سبحانه– والقدرة عليه[٤].

لن : تدخل على الفعل المُضارع ، فتخلصه للاستقبال ، وتنفيه نفياً مؤكداً[٥]. وهي نفي لــ(سوف يفعل) أو (سيفعل) ، جاء في الكتاب: "وإذا قال: (سوف يفعل) فإن نفيه (لن يفعل)"[٦].

وذهب بعض النحاة أنّ نفيها يُفيد التأبيد[٧]. وذهب البعض الآخر أنها لاتُفيده[٨] ، وإنمــا هي للاستقبال البعيد المتطاول، أو للقريب المنقطع[٩].

والحق أنها تُفيد التأبيد في شواهد ، وقد لا تُفيده في شواهد أُخــرى ، فالشــواهد التــي رجحنا من خلالها أنها تُفيد التأبيد الآيتان اللتان جاءتا في الآيات المختارة ، وهما: قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾[١٠]، فهؤلاء لن يتمكنوا من خلــق

---

[١] المرسلات : ٢٠.
[٢] إبراهيم : ١٩.
[٣] انظر:سيد قطب،الظلال،ج١٣ : ٢٠٩٤–٢٠٩٥، وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١٣ : ٢١٤
[٤] انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج٢: ٦٥٠–٦٥١، وج٤ : ٣١٦، والشوكاني ، فتح القــدير، ج٤ : ٥٠٣، وج٥ : ٣٩٦ ، و سيد قطب، الظــلال، ج٢٠ : ٢٧٢٩، وج٢٣: ٢٩٨٢–٢٩٨٤ وابن عاشور، التحريروالتنوير ج١٥ : ٢١٩–٢٢٠، ج٢٠ : ٢٢٨ ، وج٢٣ : ٦٧، ٧٣–٧٤ .
[٥] انظر : ابن يعيش، شرح المفصل ، ج٧ : ٢٤٢، والأستراباذي ، شرح الرضي ، ج٥: ٣٧.
[٦] سيبويه ، الكتاب ، ج٣ : ١١٧ ، وانظر : سيبويه ، الكتاب ، ج٣ : ١١٥.
[٧] انظر : الأستراباذي ، شرح الرضي ، ج٥: ٣٧ ، والزركشــي ، البرهــان ، ج٢: ٤٣٤–٤٣٦.
[٨] انظر : ابن هشام ، المغني ، ج١ : ٢٨٤.
[٩] انظر : السامرائي ، معاني النحو ، ج٣ : ٣١١ ، وج ٤ : ١٦٣.
[١٠] الحج : ٧٣.

الذبابة لا في المُستقبل القريب ولا البعيد ، فهم لن يخلقوها أبداً. والمعيار التوحيدي توحيد ربوبية ، بطريقة المقابلة ، وهي نفي صفة الخلق عن غيره ، وإثبات القدرة على الخلق له – سبحانه–.

وقولـــه تعـــالى: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [(١)]، فهؤلاء الفتية لن يُشركوا مع الله أحداً لا في المستقبل القريب ولا البعيـــد ؛ لأن الله تعالى قال في حقهم : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[(٢)]، فالله شـــهد لهـــم بالإيمـــان ، وزادهم هدى ، فلن يُشركوا به أبداً. والمعيار التوحيدي توحيد ألوهية ، بنفي اتخاذ الشريك معه – سبحانه–.

أمّا الشواهد التي تنافي التأبيد ، فهي : قوله تعالى :﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[(٣)] ، فهي محدودة بيوم واحد . وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[(٤)] ، لأنه لو كان للتأبيد لكان ذكر الأبـــد تكريراً والأصل عدمه[(٥)]، وهذان الشاهدان ليسا من آيات التوحيد.

---

(١) الكهف : ١٤.
(٢) الكهف : ١٣.
(٣) مريم : ٢٦.
(٤) البقرة : ٩٥.
(٥) انظر: ابن هشام ، المغني ، ج١: ٢٨٤ ، والزركشي ، البرهان ، ج٢: ٤٣٥ – ٤٣٦.

الفصل الثالث

المستويان الصرفي و النحوي
في آيات التوحيد

المبحث الأول
المستوى الصرفي

يُبحث في هذا المستوى صيغ الأفعال والمصادر التي مادتها تؤدي دلالة توحيدية، نحو (خلق، وعبد، ...)، والمشتقات بوصفها أسماء أو صفات لله تعالى – توحيد أسماء وصفات–، نحو (عابد، وخالق، وراحم، ...). وقد أوردنا هذه الأفعال والمصادر والمشتقات في المستوى الصرفي؛ لأن استخدام المادة اللغوية بالصيغة التي جاءت عليها، هو الذي أعطى الدلالة المرادة، أي أنه استخدم المادة اللغوية (خلق) ومشتقاتها الفعلية والاسمية؛ لأنه أراد معنى التجدد والحدوث من الفعلية، ومعنى الثبوت من الاسمية. فهو أراد دلالة الفعل، فجاء بالفعل ماضياً أو مضارعاً حسب المراد، وعندما أراد دلالة المشتق نفسه جاء بالمادة بالصيغة المشتقة المرادة. وهذا ما جعلنا نضعها في المستوى الصرفي ولا نضعها في المستوى الدلالي المعجمي.

المطلب الأول : الأفعال

الأفعال التي تمّ اختيارها، هي الأفعال التي حملت دلالة توحيدية ، من خلال مادة الفعل نفسها، أو دلالة الفعل على صفة من صفاته ، أو صدور الفعل من العبد حاملاً دلالة توحيدية.

ومن هذه الأفعال الفعل الماضي (خَلَق)، وجاء في واحد وعشرين آية من آيات الدراسة المختارة[١] ، حيث دلّ استقراء الآيات التي جاء فيها الفعل الماضي (خلق)،أنه يؤتى بالماضي، عندما يكون الكلام على التوحيد، ونفي الشرك والشركاء والصاحبة والولد، أو في سياق الخلق وتعداد النعم، وبيان فضله سبحانه على الناس، أو بيان قدرته – سبحانه –[٢]، وذلك ليدل على أنه – سبحانه – المتصف بهذه الصفة منذ القدم، وهذه الدلائل تشهد على ذلك، وهذا الوصف يُناسبه الفعل الماضي.

وجاء بالمضارع (يخلق) في ست آيات[٣]، دلّ الاستقراء في هذه الآيات أنه يؤتي بالمضارع، للدلالة على بيان عجز آلهة الكفار وذمّها، أو ردّاً على ادّعاء الكافرين الألوهية، والتشكيك في قدرته سبحانه، وذلك ليدل على أن ما يفعلونه مذموم بشكل مستمر ومتجدد، وهذا يُناسبه الفعل المضارع.

---

[١] (البقرة ٢١) ، و(الأعراف ٥٤)، و(يونس ٣) ، و(إبراهيم ١٩)، و(الحجر ٨٥)، و(الإسراء ٩٩) ، و(الأنبياء ١٦)، و(المؤمنون ٩١، ١١٥) ، و(الفرقان ٢) ، و(النمل ٦٠) ، و(يس ٧٠ ، ٨١) ، و(الصافات ١٥٠) ، و(ص ٧٥) ، و(الزمر ٦)، و(الدخان ٣٨) ، و(الطور ٣٥) ، و(الذاريات ٥٦)، و(نوح ١٥)،و(الطارق ٦)،

[٢] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٨: ٣٨١.

[٣] (الفرقان ٣) ، و(يس ٨١) ، و(الزمر ٤، ٦) ، و(الواقعة ٥٩)، و(العنكبوت ١٧).

وجاء بالفعل الماضي (عبد) في قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾[١]، ليعلن براءة النبي –صلى الله عليه وسلم– من معبودات الكافرين في الماضي مقابلةً بالمضارع في الآيات اللاحقة، ونفي عبادة آلهتهم في جميع الأزمنة[٢]. فالفعل (عبد) يحمل دلالة توحيدية وهي الالتجاء والتوجه إلى الله في كل الأزمنة.

أمّا المضارع (يعبد) فجاء في ثلاث عشرة آية[٣]، حيث جاء بالفعل المضارع ليؤدي دلالة تجدد العبادة وحدوثها بعد أن لم تكن، لكون المُخاطب بها هو غير الموحد، فهو يريد منهم التحوّل من الكفر إلى الإيمان، في الحال والاستمرار على العبادة في الاستقبال، وهذا عين دلالة المضارع.

وجاء بفعل مزيد بحرفين، وهما الألف والتاء على وزن (افتعل)، وهو الفعل (استوى) في أربع آيات،وقد دلّ هذا الفعل على سعة ملكه سبحانه،وهيمنته على الكون كله،وهذه الدلالة توحي بالعظمة والقدرة له سبحانه[٤]. والآيات هي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٥] ، واستفاد الفعل من زيادة الألف والتاء الاتخاذ؛ أي اتخذ العرش للعلو والاستقرار من غير السؤال عن كيفية هذا الاستواء.وحمل المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٦].أمّا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[٧]، فقد استفاد – أيضاً– الاتخاذ ؛ أي اتخذ السماء لصعود أمره إليها من غير السؤال عن الكيفية.

---

[١] الكافرون: ٤.
[٢] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٥٦٠، و والسامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، منشورات جامعة بغداد ١٩٨٦–١٩٨٧: ٢٩–٣٠.
[٣] (الفاتحة ٤) ، و(آل عمران ٦٤)، و(الأعراف ٧٠) ، و(التوبة ٣) ، و(يوسف ٤٠) ، و(القصص ٦٣) ، و(العنكبوت ١٧) ، و(سبأ ٤٠) ، و(الزمر ٦٤) ، و(الزخرف ٤٥) ، و(الذاريات ٥٦) ، و (الممتحنة ٤) ، و(الكافرون ٢).
[٤] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ١٥٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ٢٥٤–٢٥٥، وأباحيان، البحر المحيط، ج١: ٢١٧–٢١٨، وسيد قطب، الظلال، ج١٦: ٢٣٢٨، وج٢٤: ٣١١٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق٢: ١٦٢– ١٦٥، وج١: ٣٨٥، وج١٦: ١٨٧، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٢: ٥٦٣، وج٤: ٦٦، وج٦: ٦١٥.
[٥] الأعراف: ٥٤، ويونس : ٣.
[٦] طه : ٥.
[٧] فصلت : ١١.

وجاء بفعل مزيد بحرفين، هما التاء والتضعيف، على وزن (تفعّل)، وهو الفعل الماضي (توكّل)، حاملاً دلالة توحيدية من العبد وهي اللجوء إلى الله في جميع الأحوال، وقد جاء في خمس آيات[١]، استفاد فيها الفعل من الزيادة المبالغة ، ففي قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[٢]، فـ(توكّل) : هو مبالغة (وكَل) المجرّد[٣]. أتى به على هذه الصيغة للدلالة على المبالغة في اللجوء إلى الله. كما جاء بالمضارع (يتوكّل) في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٤]، للدلالة –أيضاً– على المبالغة في اللجوء إلى الله.

وقد جاء فعلان مزيدان بحرفين هما التاء والألف، على وزن (تفاعل)، وهما:

١) تعالى :جاء هذا الفعل في خمس آيات[٥]،منها:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[٦]، وقد استفاد من الزيادة ، التظاهر ؛ أي ظهور هذه الصفة في موصوفها ؛ فـ(تعالى) بمعنى ظهر علوّه ، وهذا التظاهر بالاتصاف بالفعل وهو العلوّ منه مبالغة[٧] ، جاء في التحرير والتنوير : "معنى تعالى: ارتفع ، وهو تفاعل من العلوّ ، والتفاعل فيه للمبالغة في الاتصاف."[٨]

٢) تبارك : جاء هذا الفعل في آية واحدة ، وهي: ﴿...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٩]، مستفيداً من الزيادة التظاهر ؛ أي ظهور هذا الفعل في موصوفه ، جاء في التحرير والتنوير:"وقد يُستعمل – أي الفعل تبارك– بمعنى ظهور الفعل على المتصف به ظهوراً بيناً حتى كأن صاحبه يظهره ، ومنه (تعالى الله) ، أي ظهر علوّه ، أي شرّفه على الموجودات كلها ، ومنه (تبارك) أي ظهرت بركته "[١٠].

---

[١] (الأعراف ٨٩)، و(التوبة ١٢٩) ، و(يونس ٨٥) ، و(الرعد ٣٠) ، و(الممتحنة ٤).
[٢] الأعراف: ٨٩.
[٣] انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١١: ٧٤.
[٤] التغابن: ١٣.
[٥] (المؤمنون ٩٢، ١١٦) ، و(النمل ٦٣) ، و(الزمر ٦٧).
[٦] الاسراء : ٤٣.
[٧] انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٧: ٤٠٩ ، وج٨ : ١٧٠ ، القسم الثاني.
[٨] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٧ : ٤٠٩ ، وانظر : المصدر السابق ، ج١٨: ١٣٥.
[٩] الأعراف : ٥٤.
[١٠] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٨ : ١٧٠ ، القسم الثاني.

وهناك أفعال مضارعة توحيدية مزيدة بحرف واحد تدل على قدرة الله،وهذه الأفعال هي:

١) يحيي : استفاد من الزيادة التعدية، وهو مضارع الفعل (أحيا)، وجاء في أربع آيـات[١] ، منها : قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾[٢].

٢) يعيد : استفاد من الزيادة التعدية ، وهو مضارع الفعل (أعاد)، وجاء في آيتين ، وهمـا: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾[٤].

٣) يُميت: استفاد من الزيادة التعدية ، وهو مضارع الفعل (أمات)، وجاء في آية واحدة من آيات الدراسة المختارة، وهي: ﴿...لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ...﴾ [٥].أمّا في القـرآن، فقـد ورد الفعل (يميت) تسع مرات[٦]، و(يميتكم) أربع مرات[٧].

٤) يُبدئ: وهذا الفعل لم تُضف الزيادة بالهمزة إليه معنى جديداً، وإنما بقي كأصله المجـرّد في الدلالة فـ(بدأ) و(أبدأ) لهما نفس الدلالة ، وهي الإيجاد والخلق ، جاء في لسـان العـرب: "وبدأ الله الخلق بدءاً وأبدأهم بمعنى خلقهم . وفي التنزيل: (الله يبدأ الخلقَ) . ومنه (كيف يُبـدئ الله الخلق). وقال: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده). وقال: (إنه هو يُبدئ ويعيد)"[٦].

٥) يسبّح : استفاد من الزيادة اختصار حكاية الشيء، فمعنى (سبّح) قـال : سـبحان الله . والتسبيح مأخوذ من سبحان ، وليس من السبح ، جاء في التحرير والتنوير:"وعنـدي أن كـون التسبيح مأخوذ من السبح على وجه المجاز بعيد ، والوجه أنه مأخوذ من كلمة سبحان ، ولهـذا التزموا في هذا أن يكون بوزن فعل المضاعف ، فلم يُسمع مخففاً"[٧].

---

[١] (الأعراف ١٥٨) ، و(الدخان ٨) ، و(الأحقاف ٣٣).
[٢] البقرة : ٢٦٠.
[٣] النمل : ٦٤.
[٤] العنكبوت : ١٩.
[٥] الأعراف : ١٥٨.
[٦] (البقرة ٢٥٨)، و(آل عمران ١٥٦)، و(الأعراف ١٥٨)، و(التوبـة ١١٦)، و(يـونس ٥٦)، و(المؤمنون ٨٠)، و(غافر ٦٨)، و(الدخان ٨)، و(الحديد).
[٧] (البقرة ٢٨)، و(الحج ١٦)، و(الروم ٣٠)، و(الجاثية ٢٦).
[٨] ابن منظور: لسان العرب، ج٢: ٣٢ ، (مادة بدأ).
[٩] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١: ٤٠٥.

وجاء هذا في آيتين همـــا :﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[١] ،

وقوله تعـــالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ... ﴾ [٢].

ويبدو أن هذا الاختصار مصحوباً بالتكثير والمبالغة .

وهناك أفعال مزيدة بثلاثة حروف ولها صيغة واحدة في الآيـــات المختـــارة ، وهـــي: استفعل: وجاء في آيتين ، موزّعة على فعلين ، وهما:

١. نستعين: ورد في آية واحدة ، هي: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [٣]، استفاد فيها الفعل من الزيادة الطلب، أي نطلب منك يارب المعونة على مالا يقدر البشر الإعانة عليه، ولا قدرة لنـــا بتحصيله من غير عونك[٤].

٢. يستغفر: وجاء في آية واحـــدة،وهي: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٥]،استفاد فيها الفعل الطلب،أي يطلبون المغفرة منك يارب للذين آمنوا.

المطلب الثاني: المصادر

المصدر: وهو ما دل على حدث مجرد عن الزمن[٦]. و المصادر التـــي جـــاءت فـــي الدراسة المختارة، هي:

١) المصدر الصريح: هو المصدر المطلق، غير المقيّد بميمي،أو صناعي أو مـــرة،أو هيئـــة. وهذه المصادر تشتق من فعل ثلاثي،أو غير ثلاثي،ومنها ما هو قياسي،ومنها ما هو سماعي.

٢) المصدر المؤول. ٣) اسم المصدر

١. **المصدر الصريح** : من المصادر التي جاءت في الآيات المختارة للدراسة، المصدر (خلْـــق) وهو مصدر الفعل المتعدي (خَلَق) مفتوح العين، حيث جاء هذا المصدر في اثنتي عشرة آيـــة[٧] من الآيات المختارة.

---

[١] غافر: ٧.
[٢] الحشر: ٢٤.
[٣] الفاتحة: ٥.
[٤] انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١: ١٨٤.
[٥] غافر: ٧.
[٦] انظر: الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، ط١٢، دار الأرقم ١٩٥٧م:٦٨.
[٧](الأعراف ٥٤)، و(الرعد ١٦)، و(الإسراء ٤٩،٩٨)، و(الكهف ٥١)، و(لقمان ٤٨)، و(الروم ٢٢)، و(العنكبوت ١٩)، و(الصافات ١١)، و(الأحقاف ٣٣)، و(ق١٥)، و(الملك ٣).

وقد دلّ استقراء الآيات التي جاء فيها هذا المصدر، أنه يؤتى به للرد على من يشكك في قدرته سبحانه، مستفيداً من دلالة الثبوت لهذا المصدر بوصفه اسماً، والمبالغة من معنى المصدرية. فإثبات القدرة لله هو الموضع الذي يؤتى فيه بالمصدر، وهذا بخلاف الفعل الذي يكون في معرض تعداد دلائل قدرته سبحانه، ومُحاجة المشركين.

توضيح ذلك: في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[١]، جاء بالمصدر لإثبات قدرته على الخلق وعدم المشاركة له في هذا الخلق، وبالتالي عدم أحقية العبادة لغيره سبحانه، فهو أثبت لنفسه القدرة على الخلق بالاسم؛ ليُناسب الرد عليهم وهو ادعاؤهم القدرة والمشاركة في الخلق؛ لهذا قال (خلْق) بالمصدر ولم يقل (يخلق أو خلق) بالفعل ليناسب الرد في إثبات صفة الخلق الدالة على القدرة له وحده سبحانه[٢].

وفي (الصافات ١١)، و(لقمان ٢٨)، و(الأحقاف ٣٣)، و(ق١٥)، رد على منكري البعث، وذلك لإثبات عظيم القدرة على إعادة الخلق بعد الموت، وهذا أهون عليه من البدء[٣]. وهذا الإثبات للقدرة يُناسبه الاسم الدال على الثبوت.

وفي قوله تعالى:﴿ ...أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ... ﴾[٤]،جاء بالمصدر للرد على من جعل لله شركاء، موصوفين بالقدرة على الخلق كقدرته –سبحانه–، فهو تنبيه وتوبيخ لهم، وتعجب منهم، وإنكار عليهم، وتهكم بهم على هذا الجعل. وقد جاء بالاسم (المصدر) للدلالة على إثبات الخلق له سبحانه، ونفيه عمّن سواه، و زيادة التهكم والسخرية من مدّعي الخلق[٥].

فالقرآن دقيق في تعبيره عن الحدث، حيث يأتي بالاسم للدلالة على ثبات الحكم (القدرة)، وأنّ هذا الحكم متمكن في موصوفه لا يُفارقه.

وقد يكون الإتيان بالاسم للتوكيد والتقرير،بوصفه أدل على الثبوت من الفعل،ومن ثمّ زيادة التوكيد والتقريرفي الدلالة،وذلك نحو قوله تعالى:﴿ ...مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ... ﴾[٦]

---

[١] الكهف: ٥١.
[٢] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ٣٤٢-٣٤٣.
[٣] انظر:ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٢١: ١٨٣، وج٢٣: ٩٤، وج٢٦: ٦٥، و٢٩٧-٢٩٨.
[٤] الرعد ١٦.
[٥] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٣٧١، و ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣: ١١٥.
[٦] الملك : ٣

حيث جاء بالمصدر (خلْق) لتأكيد مضمون الجملة التي قبلــه:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ ؛لأن نفي التفاوت حقق معنى التطابق، فخلقها متطابقة يدل على أنها غير متفاوتة . وقد جــاء بهــذا التأكيد اسماً لإثبات تحقق هذا التأكيد في خلقه سبحانه [١].

وقد جاء المصدر (خلْق) في أربع آيات، بمعنى اسم المفعول، سيتم عرضها في عنــوان خاص، وهو :(العدول الصرفي)، نهاية هذا الفصل .

ومن المصادر التوحيدية في آيات الدراسة ،المصدر(ربّ)، وهو كثير،حيث جاء صفة لله تعالى ،أو منادى. وقد تنوعت دلالته[٢]، واختُلف في أصله، هل هو مصدر، أم اســم فاعــل، أم صفة مشبهة، والراجح أنه مصدر[٣].

وهذا المصدر مهما اختلفت دلالته، فإن الوصف به للمبالغة، والنداء به للتعظيم[٤].

وقد جاء مصدر على وزن (فَعَال) وهو (جَلال) في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٥] ، وهذا الوزن هو قياس مصدر الفعل اللازم الثلاثي مضموم العين (فَعُل).

ويبدو أن هذا المصدر محوّل من باب (فَعَلَ) إلى باب (فَعُل) للدلالة علــى مكــث هــذه الصفة في موصوفها، وأنها ثابتة له بحيث أصبحت كالغريزة فيه. فصفة (الجلال) وهي العظمة صفة ثابتة في موصوفها وهو الله لا تنفك عنه.

ومن المصادر التوحيدية في آيات الدراسة المصدر (العبادة)، وهو على وزن (فِعالة) و هو قياس مصدر الفعل الدال على حرفة أو ولاية، أو ما دلّ على اشتمال[٦].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ ...فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [٧].

و كذلك في سورتي (النمل ٥٩)، و (مريم ٦٥). و هذا المصدر على وزن (الفِعالة)، لأنه يشمل كل ما يقوم به الإنسان من أعمال تقرباً إلى الله.

---

[١] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩: ١٦-١٧
[٢] انظر: المستوى الدلالي، المبحث الأول: الأداء والمعنى: ١٩٨.
[٣] انظر هذا الاختلاف في : أبي حيان، البحر المحيط، ج١: ٣٥، وابــن عاشــور، التحريــر والتنوير، ج١: ١٦٦.
[٤] انظر: الفصل الأول: الأساليب التعبيرية: أسلوب النداء.
[٥] الرحمن: ٢٧.
[٦] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف: ٦٩، و السامرائي، فاضل صــالح، معــاني الأبنية ، ط١، نشر جامعة بغداد،١٩٨١ م : ٢٣-٢٤.
[٧] الكهف :١١٠.

وهناك مصدر مسموع كثُر استعماله، وهو غير متصـــرّف، أي لا يفـــارق المفعوليـــة المطلقة إلى غيرها من مواقع الإعراب، وهو:

- غفرانك: " من المصادر التي يعمل فيها الفعل مُضمراً. و التقدير عند سيبويه: إغفر لنـــا غفرانك... و قال الزمخشري: غفرانك منصوب باضمار فعله، يقال: غفرانك لا كفرانـــك، أي: نستغفرك و لا نكفرك. فعلى التقدير الأول: الجملية طلبية، و على الثاني: خبرية"[١]. وقد جـــاء هذا المصدر في قوله تعالى: ﴿... و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير﴾[٢].

٢. المصدر المؤول

وهو تركيب يتكون من حرف مصدري، و جملة اسمية أو فعليـــة، و يعـــرب حســـب موقعه في الجملة. و الحروف المصدرية هي: (أن، أنّ، لو، همزة التسوية، لو، كي)، و لم يأت المصدر المؤول في آيات الدراسة المختارة إلا مُصدّراً بالحرف (أنْ).

وبلغ عدد المصادر المؤولة في آيات الدراسة المختارة ثلاثة مصادر، مكون مـــن **أن** + جملة فعلية ،موزعة على ثلاث آيات، كما يلي:

١. أن خلقكم: في قوله تعـــالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[٣]، و التقدير: (خلقُكم).

٢. أن خلق لكم: في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ... ﴾[٤] ، والتقدير: (خلْقه لكم).

٣. أن يخلق: في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[٥] ، والتقدير: (على خلق مثلهم).

٣. اسم المصدر

" وهو ما يساوي المصدر في الدلالة على الحدث، و لم يساوه في اشتماله علـــى جميـــع أحرف فعله، بل خلت هيئته من بعض أحرف فعله لفظاً و تقديراً من غير عوض "[٦].

---

[١] أبو حيان،البحر المحيط، ج٢ :٧٥٩، وانظر:الزمخشري، الكشاف، ج١ :٣٥٨.
[٢] البقرة: ٢٨٥.
[٣] الروم : ٢٠.
[٤] الروم: ٢١.
[٥] الاسراء: ٩٩.
[٦] الغلاييني ، مصطفى ، جامع الدروس العربية ، ط٣٧ ، ٣ج ، مراجعة وتنقيح د.محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ج١: ١٧٦.

و قد بلغ عدده في آيات الدراسة المختارة ثلاثة، وهي:

١. السلام: و هو مصدر الفعل (سالمَ)، صيغ منه اسم مصدر بحذف الألف، و جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ... ﴾[١]. و قد وصف الله تعالى باسم المصدر للمبالغة في الوصف، فهو ذو السلام، الذي سالم خلقه من الظلم و الجور، أي أعطاهم الأمان، أو ذو سلامة مما يلحق المخلوقين من الفناء، و الموت، و النقص، و العيب[٢].

٢. سبحان: معناه: براءة لله من السوء، فهو مصدر تنزيهي، لا يستخدم إلا مُضافاً، و هو ليس مصدراً لـ(سبّح)، بل سبّح مشتق منه[٣]. و النحاة يقدرون معنى (سبحانك) بـ(سبحه تسبيحاً)، فهو مصدر حذف فعله[٤].

وقد جاء هذا المصدر في إحدى عشرة آية[٥].

٣. وحده: مصدر الفعل (أوحد) : أي اعتقده واحداً ، والقياس الإيحاد . وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ... ﴾[٦] . وجمهور النحاة يقولون : إنه بمعنى اسم المفعول ، أي موحداً أي محكوماً له بالوحدانية ، ومنهم من قال: إنه بمعنى اسم الفاعل أي موحدين له[٧].

---

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٥٠٩ ، والزجاجي، أبا القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق (٣٤٠ هـ) ، إشتقاق أسماء الله، تحقيق الدكتور عيد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦م : ٢١٥ ، وابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٨: ١٢٠.

(٣) انظر السيوطي،الهمع،ج٢ :٨٥.

(٤) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١: ٤١٣- ٤١٤.

(٥) (آل عمران١٩١)، و(النساء١٧١)، و (التوبة٣١)، و(الاسراء٤٣)، و(مريم٣٥)، و(الأنبياء٢٢)، و (المؤمنون٩١)، و (سبأ٤١)، و(الزمر٤،٢٣)، و (الطور ٤٣).

(٦) الأعراف: ٧٠.

(٧) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٨: ٢٠٨.

المطلب الثالث : المشتقات

المشتق:"الاسم الذي أخذ من غيره، و له أصل، أو هو ما دل على ذات وصفة و جرى مجرى الفعل"[١].

والمشتقات التي جاءت في آيات الدراسة المختارة هي: اسم الفاعل، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل.

والمشتقات التي اختيرت ذات دلالة توحيدية ، من خلال دلالة المشتق نفسه ، كأن يكون وصفاً لله تعالى (توحيد أسماء و صفات) ، أو إظهاراً لقدرته تعالى و تفضله على عبده مثل : (غافر، قابل، شديد، قدير،...).

أ- اسم الفاعل

و هو اسم مصوغ من الفعل للدلالة على من قام به أو تعلق به على جهة الحدوث. و يصاغ من الثلاثي على وزن (فاعل)، و من غير الثلاثي على زنة مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة مع كسر ما قبل الآخر[٢].

و يرى النحاة أن اسم الفاعل يدل على الحدث و الحدوث و فاعله. فالحدث و هو المصدر، والحدوث ما يقابل الثبوت، و الفاعل هو صاحب الحدث[٣].

فاسم الفاعل يُقسم من حيث صوغه من الفعل إلى:

١. من الثلاثي ٢.من غير الثلاثي

١. من الثلاثي

قلنا إنه يكون على وزن فاعل،وقد بلغ اسم الفاعل من الثلاثي (ثلاثة عشر إسماً)، وهي:

- خالق: من خَلَقَ – يخلُقُ. و قد جاء في ست آيات[٤]. منها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[٥].

---

[١] المنصوري، علي جابر، والخفاجي، علاء هاشم، التطبيق الصرفي، الدار العلمية، ودار الثقافة ، عمان ٢٠٠٢: ٣٨٨.
[٢] انظر:ابن عقيل،شرح ابن عقيل،ج٣: ١٠٣-١٠٦،والأستر اباذي،شرح الرضي ،ج٤: ٣٨٨.
[٣] انظر: الأزهري، شرح التوضيح على التصريح، ج٢: ٦٥، و السامرائي، معاني الأبنية في العربية: ٤٦.
[٤] (الرعد١٦)، و (فاطر٣)، و(غافر٦٢)، و (الحشر٢٤)، و (الواقعة٥٩).
[٥] الأنعام: ١٠٢.

- واحد: "الواحد: الفرد الذي لا ثاني له من العدد...فالله عزوجل الواحد الأول، الأحد الــذي لا ثاني له، و لا شريك و لا مثل و لا نظير، لم يسبقه في أولويته شيء عزوجل"[١].

و قد ورد في ست آيات[٢] من آيات الدراسة، منها قوله تعالى: ﴿... قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾[٣].

- راحم: و جاء في آيتين، هما: قوله تعالى: ﴿... وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٤]، و "أرحــم الــراحمين، يعني الأشد رحمة من كل راحم"[٥].

- قائم: في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ... ﴾[٦].

- قادر: و جاء في ثلاث آيات[٧]، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ... ﴾[٨].

- عالم: وورد في قوله تعالى: ﴿... عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ... ﴾[٩].

- مالك: من مَلَكَ يملِكُ فهو مالك. و جاء في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[١٠]، أي يملك سائر الأشياء في يوم الدين، فلا أحد يملك سواه مما كان الله ملكهم في الدنيا[١١].

- جامع: و جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ... ﴾[١٢]، أي سيجمعهم يوم القيامة، و هذا الجمع لا شك فيه.

---

(١) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله :٩٠.
(٢) (البقرة١٦٣)، و (المائدة٧٣)، و (التوبة٣١)، و (الأنبياء١٠٨)، و (ص٦٥).
(٣) الرعد: ١٦.
(٤) من سورة المؤمنون: ١٠٩،١١٨.
(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج٩: ١١٨.
(٦) آل عمران: ١٨.
(٧) (يس،٨)، و (المعارج،٤).
(٨) الاسراء: ٩٩.
(٩) من سورتي: المؤمنون :٩٢، و سبأ : ٣.
(١٠) الفاتحة: ٤.
(١١) انظر : الزجاجي، اشتقاق أسماء الله : ٤٤.
(١٢) آل عمران: ٩.

– غافر: وورد في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ... ﴾[١] ، أي لسائر ذنوب العباد و متجاوز عنها.

– قابل: في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ... ﴾[٢] ، أي يقبل توبة عباده.

– رازق: في قوله تعالى: ﴿ ...وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٣]، أي الأشد إرزاقاً من كل رازق.

– واسع: في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤] ، " أي يوسع على عباده في دينهم و لا يكلفهم ما ليس في وسعهم"[٥].

– البارىء: وجاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ... ﴾[٦]، بمعنى المميِّز لما يوجده بعضه من بعض الأشكال المختلفة[٧]. و قد فسروه بالخالق، ولم نذهب إليه لأنه سبق بـ(الخالق)، فدل ذلك أن (البارىء) ذو دلالة تختلف عن (الخالق)، وهي ما ذكرناها.

٢. من غير الثلاثي

بلغ عدد اسم الفاعل من غير الثلاثي في آيات الدراسة المختارة خمسة أسماء، و هي:

– المؤمن: هو اسم فاعل من الفعل الرباعي (آمن)، وهو اسم من أسماء الله، و معناه واهب الأمن للعباد، أي يؤمّن عباده من بأسه، وعذابه[٨]. وجاء لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ... ﴾[٩].

– المهيمن: من هيمن بمعنى رقب أو شهد، و الهاء أصلية ووزنه (مفيعل)، بمعنى الرقيب، أو الشهيد، و منهم من قال: إن أصله أأمن فهو مؤأمن، قلبت الهمزة الثانية ياء فصارت مؤيمن، ثم

---

[١] غافر: ٣.
[٢] غافر: ٣.
[٣] المائدة: ١١٤.
[٤] البقرة: ١١٥.
[٥] القرطبي، الجامع، ج٢: ٨٤.
[٦] الحشر: ٢٤.
[٧] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج٤: ٥٠٩.
[٨] انظر:الزمخشري،الكشاف،ج٤: ٥٠٩،و الزجاجي،اشتقاق أسماء الله:٢٢١-٢٢٢.
[٩] الحشر: ٢٣.

صيّرت الأولى هاء كما قالوا هراق و أراق[١]. وجاء في قوله تعـالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ... ﴾[٢]، أي الرقيب على كل شيء الحافظ له.

– المتكبّر: من تكبّر فهو متكبر من الكبرياء و العظمة، و جاء في قولـه تعـالى: ﴿ ...ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٣]، أي ذو العظمة و الكبرياء.

– مُجيب: من أجاب يجيب فهو مجيب، و أصل (مجيب) (مجْوِب) لأنه من الجـواب، فنقلـت حركة الواو إلى الجيم فانقلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها. وجاء في قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [٤]، أي مجيب دعاء السائل بإعطائه ما سأل.

جاءت أسماء الفاعلين في آيات الدراسة المختارة، دالةً على الثبوت، بوصفها صفاتٍ لله تعالى، وهي (خالق، وواحد، وراحم، وقـائم، وعـالم، وغـافر، و قابـل، ورازق، وواسـع، والبارىء، والمؤمن، والمهيمن، ومجيب، والمتكبر، و فاتح)، فهذه الصفات ثابتة في موصـوفها لا تنفك عن موصوفها وهو الله تعالى، فهي من حيث معناها شابهت الصفة المشبهة، بـل هـي صفات مشبهة، و قد أشار النحاة إلى مشابهة اسم الفاعل بالصفة المشبهة، بل قالوا عن أسـماء فاعلين إنها صفات مشبهة بالنظر إلى معناها الدال على الثبوت[٥].

كما دلّت أسماء فاعلين على الثبوت في المستقبل، و هي: (مالك، و هالك، و جـامع)، أي سيملك، لأنه خاص بيوم الدين، فيوم الدين سيملكه الله في المستقبل، و هالك أي سيهلك، فكل شيء في هذه الدنيا سيهلك في المستقبل إلا وجهه. و جامع بمعنى سيجمع، أي سيجمعهم يـوم القيامة. أمّا (موقن) في سياق الآيتين فدل على الحال، أي أن الله يحكي حالهم يوم القيامة[٦].

---

[١] انظر:ابن منظو، اللسان، ج١٥: ٩٦(مادة همن)، والفيروز آبادي، مجد الـدين، محمـد بـن يعقوب (ت٨١٧هـ)،القاموس المحيط، ط٦،تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسـة الرسـالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٩٨م :١٢٤٠(مادة همـن). حيـث جاءت تحت مادة (همن)، و ليس (أمن) فدل ذلك على أن أصله (همن)، ووزنه مفيعل.
[٢] الحشر: ٢٣.
[٣] الحشر: ٢٣.
[٤] هود: ٦١.
[٥] انظر:ابن يعيش، شرح المفصل، ج٦: ١٢٥.
[٦] انظر:ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج٢٥: ٢٠٣.

ب- صيغ المبالغة

" هي أسماء وأبنية مخصوصة تفيد التنصيص على التكثير والمبالغة في حدث اسم الفاعل، كمّا أو كيفاً"[١].

وأوزان صيغ المبالغة في آيات الدراسة المختارة هي:

١. فعّال ٢. فعيل ٣. فعول ٤. فعلان ٥. فُعّول ٦. فيعول.

١. **فعّال:** وله في آيات الدراسة المختارة سبعة أسماء، و هي:

- جبّار: من أمثلة المبالغة المشتقة من المزيد (أجبر)، و هو من الإجبار لا من الجبر، و معناه القاهر خلقه على ما أراد من أمر و نهي[٢]. و جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ... ﴾[٣].

قهّار: من القهر و هو الغلبة و الأخذ من فوق. و القهار من صفات الله عزوجل أي الذي قهر خلقه بسلطانه و قدرته و صرّفهم على ما أراد طوعاً و كرهاً[٤]. و جاء في ثلاث آيات من آيات الدراسة [٥]، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [٦].

- غفّار: غفرت الشيء أغفره غفراً إذا سترته، و الغفور و الغفّار الساتر لذنوب عباده لأنه يفعل ذلك مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى، لذلك جاءت هذه الصفة على أبنية المبالغة[٧].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [٨].

- وهّاب: وهب لك الشيء يَهبَه وَهْبا ووهَبَا، وهِبة إذا أعطيته والله الوهاب: الكثير الهبة والعطية تفضلاً من غير استحقاق، ولا مكافأة[٩].وورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى

---

[١] السيد، المغني في علم الصرف: ٢٠٤.
[٢] انظر: ابن منظور، اللسان،ج٣: ٦٧ (مادة جبر).
[٣] الحشر: ٢٣.
[٤] ابن منظور، اللسان، ج١٢: ٢١٠ (مادة قهر).
[٥] (الرعد١٦)، و (الزمر٤)
[٦] ص: ٦٥.
[٧] انظر، ابن منظور، اللسان،ج١١: ٦٤(مادة غفر)، والزجاجي،اشتقاق أسماء الله:٩٣: ٩٤.
[٨] ص: ٦٦.
[٩] انظر:ابن منظور، اللسان، ج١٥: ٢٨٨(مادة وهب)، والزجاجي،اشتقاق أسماء الله:١٢٦.

﴿مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[١]، و قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [٢].

– توّاب: "من تاب يتوب أي يقبل توبة عباده...، و جاءت على أبنية المبالغة لقبوله توبة عباده و تكرير الفعل منهم دفعة بعد دفعة، وواحداً بعد واحد على طول الزمان، و قبوله عزوجل ممن يشاء أن يقبل منه"[٣].

و جاء في قوله تعالى: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٤].

– خلاّق: خلق يخلق خلقاً، و الخلْق: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه، و يكون بمعنى التقدير[٥]. فالله الخلاّق: أي الذي يبتدع خلائق كثيرة و يقدّرها على غير مثال سُبق إليه.

وورد في قوله تعالى: ﴿...بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٦] فهو يخلق خلائق كثيرة و يعلم أحوالها و دقائق ترتيبها[٧].

– علاّم: عَلِم يعلَم علماً، فهو عالم وعليم وعلاّم، فهو " العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولمّا يكن بعدُ قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً لما كان وما يكون"[٨]، و العليم و العلاّم مبالغة يدل على التكرار والكثرة. وجاء في قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [٩] وهنا إشارة على أنه –سبحانه– لا تخفى عليه خافية.

٢. **فعيل:** من الأوزان المشتركة بين صيغة المبالغة، و الصفة المشبهة، و المصدر، و المعنى و قرائن السياق، هي التي تفرق بينهما، إضافة إلى دلالة كل منهما، و صيغة المبالغة تدل على من قام بالحدث، على وجه الكثرة والمبالغة، والصفة المشبهة، تدل على الثبوت و الاستمرار. أما المصدر فيدل على مطلق الحدث.

---

[١] ص: ٣٥.
[٢] آل عمران:٨.
[٣] الزجاجي،اشتقاق أسماء الله: ٦٢–٦٣.
[٤] البقرة: ١٢٨.
[٥] انظر:ابن منظور،اللسان،ج٥: ١٣٩(مادة خلق).
[٦] يس : ٨١.
[٧] انظر:ابن عاشور،التحرير و التنوير،ج٢٣: ٧٩.
[٨] ابن منظور،اللسان،ج١٠: ٢٦٣ (مادة علم).
[٩] المائدة: ١١٦.

و بلغ ما جاء على هذا الوزن في آيات الدراسة، خمسة أسماء، و هي:

– رحيم: اسم مشتق من (الرحمة)، فيه معنى المبالغة للصفات الدائمة الثابتة، و هو اسم عام، فإذا وصف به الله عزوجل فلا يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، و إذا وصف به الآدميين كان المراد به الرقة و التعطف. فالرحمة من الله إنعام و تفضّل، و من الآدميين رقة و تعطّف[١]. وجاء في سبع آيات[٢]

– سميع: من أوصاف المبالغة، و إذا وصف به الله دل على ثلاثة معانٍ، و هي: أن المسموعات لا تخفى عليه، أو المُسمع غيره، أو السامع [٣] و قد جاء في ست آيات[٤]، للدلالة على أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من المسموعات، فهو سامع لمن دعاه، و هو عالم بالموجودات من المسموعات و المبصرات[٥].

– عليم: من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم، فالله عليم لا يجوز عليه الجهل، عليم بالأشياء قبل كونها كيف تكون بمشيئته عند كونها، فعلمه – سبحانه – ليس كعلم الآدميين[٦].

وقد جاء في ثماني آيات[٧]، للدلالة على أن علمه أحاط كل شيء، فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

– بصير: و يأتي في اللغة على ثلاثة معانٍ، وهي: العليم، أو الذي لا يخفى عليه شيء من المبصرَات، أو مُبصِر، بمعنى مُبصِر للأشياء المبصرَات، أو جاعلها مبصرة[٨].

وقد جاء في آيتين[٩]، بمعنى المبصر الذي لا يخفى عليه شيء من المبصرَات.

– قدير: قدر يقدر فهو قادر وقدير من القدرة، ولا يوصف بالقدرة المطلقة إلا هو سبحانه، و" القدير هو الفاعل لما يشاء ،على قدر ما تقتضي الحكمة ،لا زائداً عليه ولا ناقصاً، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى"[١٠]، وقد ورد في ثلاث آيات[١١].

---

[١] انظر:الأصفهاني،الراغب،أبا القاسم الحسين بن محمد(٥٠٢هـ)،معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت:١٩٦، والدرويش، إعراب القرآن و بيانه، ج١: ٢٤.
[٢] (البقرة١٢٨،١٦٣)، و(الفاتحة٢)، و(القصص١٦)، و (الحشر١٠،٢٢)، و (الممتحنة٥).
[٣] انظر:الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن:٢٤٨، والزجاجي، اشتقاق أسماء الله:٧٥-٧٦.
[٤] (البقرة ١٢٧)، و (آل عمران٣٥،٣٨)، و (لقمان٢٨)، و (الدخان٦)، و (الشورى١١)
[٥] انظر: ابن عاشور،التحرير و التنوير،ج٤٨:٢٥.
[٦] انظر: الزجاجي،اشتقاق أسماء الله: ٥٠-٥٢.
[٧] (البقرة١١٥،١٢٧)، و(آل عمران٣٥)، و(الأنعام١٢٨) ، و(يس٨١)، و(الزخرف٩،٨٤)، و(الدخان٦)
[٨] انظر:ابن منظور،اللسان،ج٢: ٩٣ (مادة بصر)، و الزجاجي،اشتقاق أسماء الله: ٦٥-٦٧.
[٩] (لقمان٢٨)، و(الشورى١١)
[١٠] الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٤٠٩.
[١١] (الشورى٢٩)، و (الأحقاف٣٣)، و(التحريم٨).

من المعلوم أن (فعيل) في الأصل موضوع للصفة المشبهة، والصفة المشبهة تدل على الثبوت في موصوفها، بحيث تصبح خلقة وطبيعة فيه، لهذا فإننا نقول: إن الصفات التي جاءت على (فعيل) للمبالغة تدل على تكرار هذا العمل من صاحبها، بحيث تصبح خلقة وطبيعة فيه، فالله سبحانه (رحيم)، أي كثرت وتكررت رحمته على عباده، حتى أصبحت هذه الصفة ثابتة له، لا يمكن أن تنفك عنه، وقل مثل هذا في صفاته –تعالى– التي جاءت على وزن (فعيل) للمبالغة.

٣. **فعول** : جاء هذا الوزن باسمين، هما:

غفور: تكلمنا عن اشتقاقه ومعناه عند الحديث عن (غفّار) سابقاً، ولكن المبالغة و الاستمرار والتكرار في (فعّال) أكثر من (فعول)، وهذا متأت من زيادة المبني، لأن زيادة المبني يؤدي إلى زيادة المعنى، ولكثرة الاستخدام، فاستخدام (فعّال) في المبالغة أكثر من (فعول). وجاء (غفور) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١].

– رؤوف: رأف يَرْأفُ رأفة، فهو رؤوف، وهو من صفات الله ومعناه الرحيم لعباده العطوف عليهم بألطافه، وفيه دلالة على كثرة رأفته بعباده[٢]. وجاء في قوله تعالى﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

٤. **فعلان** : وله اسم واحد، وهو:

– رحمن: صفة لله تعالى مشتقة من الرحمة، وهو من أبنية المبالغة الذي لا يوصف به إلا هو – سبحانه – من حيث إن معناه لا يصح إلا له، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، بخلاف الرحيم الذي يستعمل في غيره[٤]. وجاء في سبع آيات من آيات الدراسة [٥] ، منها :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٦]

---

(١) القصص: ١٦.
(٢) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٢: ٢١، و ابن منظور، اللسان،ج٦: ٦٠.
(٣) الحشر: ١٠.
(٤) انظر:ابن منظور، اللسان، (مادة رحم)، والأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٧، و الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ٣٨–٤٠.
(٥) (البقرة١٦٣)، و (طه٥)، و (الأنبياء٢٦)، و (الزخرف٨١)، و (الحشر٢٢)، و (الملك٣).
(٦) الفاتحة: ٢–٣

٥. **فُعّول** : وله اسم واحد، و هو:

– قدّوس: فُعُّول من القدس و هو الطهارة، و هو صفة من صفات الله ، و معناه: الطاهر المنزّه عن العيوب و النقائص. و هو بالضم من أبنية المبالغة، و قد تفتح القاف، و هو قليل. و في غير صفتي (سُبُّوح، قُدّوس)، القياس بالفتح[١]. وجاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾[٢].

٦. **فيعول** : و له اسم واحد، و هو:

– القيّوم: من قام يقوم، وهو وزن مبالغة أصله (قيووم)، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأُدغمتا، والمُراد به: المبالغة في القيام في تدبير شؤون خلقه[٣]. وجاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ... ﴾[٤] .

وهناك أوزان أخرى للمبالغة لم يأت عليها شيء في آيات الدراسة المختارة، و هي: مِفعال، فَعِل، فاعول، فِعّيل، فُعلة، فُعّال، فَعَال.

والأوزان التي جاءت في آيات الدراسة جميعها صفات لله تعالى، و صفات الله تعالى ثابتة له لا يمكن أن تنفك عنه، أو تتغير (غير حادثة)، فهي تدل على تكرار، و استمرار، و مبالغة في موصوفها، و هو الله تعالى. فلا نخطىء إذا قلنا إنها صفات مشبهة في معناها في السياق القرآني، التي وردت فيه ، بكونها صفات لله تعالى مستمرة فيه لا تتغير.

ج– الصفة المشبهة

هي ما اشتق من فعل لازم للدلالة على من قام به على معنى الثبوت والاستمرار واللزوم[٥].

وقد غلب على الصفة المشبهة في آيات الدراسة المختارة ستة أوزان، وهي: فعيل، و فَعِل، و فَعَل، و فُعُل، و فَعْل.

---

[١] انظر: ابن منظور،اللسان،ج١٢: ٤٠ (مادة قدس)، و الزجاجي، اشتقاق أسماء الله:٢١٤.
[٢] الحشر: ٢٣.
[٣] انظر: ابن منظور، اللسان، ج١٢: ٢٢٧ (مادة قوم)، و الزجاجي، اشتقاق أسماء الله:١٠٥، وابن عاشور، التحرير و التنوير، ج٢: ١٨.
[٤] البقرة: ٢٥٥.
[٥] انظر: الأسترابادي، شرح الرضي، ج٤: ٤١١.

١. **فعيل**: أكثر أوزان الصفة المشبهة وروداً في آيات الدراسة، حيث بلغ عـددها تسـع صفات، وهي:

- العظيم: جاء في خمس آيات[١]، في جميعها صفات لله تعالى، ومعناه ذو العظمة والجلال الذي جاوز قدرُه وجلَّ عن حدود العقول حتى لا تُتَصور الإحاطة بكنهه وحقيقته[٢].

- العزيز: يأتي (العزيز) في اللغة على أربعة معانٍ، وهي: الغالـب، القـاهر، و الجليـل الشريف، و القوي، و الشيء القليل الوجود المنقطع النظير. و أصل هذا كله راجع إلى الشدة و الامتناع، لا يخرج شيء منه عن ذلك[٣]. و العزيز صفة لله تعـالى تحمـل المعـاني السـابقة مجتمعة فيه سبحانه، فهو الغالب القاهر، و الجليل الشريف، و القوي، و هو غير موجود النظير و المثل جل جلاله. و جاء صفة لله تعالى في تسع آيات[٤].

- الحكيم: من أسماء الله تعالى، و يحتمل عدة معانٍ يوصف بها –سبحانه وتعالى–، وهي: الحاكم، أي القاضي، أو الذي يُحكم الأشياء و يتقنها، أو الحكيم ذو الحكمة، أي الـذي يعـرف أفضل الأشياء من فضل العلوم[٥]. وقد وُصف سبحانه بالحكيم في ثماني آيات[٦].

- الوكيل: من أسماء الله تعالى، و يأتي على عدة معانٍ، و هي: المقـيم الكفيـل بـأرزاق العباد، أو الكافي، أو الذي توكّل بالقيام بجميع ما خلق، أو الحافظ[٧]. وقد جاء في ثلاث آيات[٨].

- الرقيب: من أسماء الله تعالى، و يعني الحافظ الذي لا يعيب عنه شيء[٩].

و جاء في قوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ...﴾[١٠] ، أي كنت الحافظ لهم، و العالم بهم و الشاهد عليهم.

---

[١] (البقرة٢٥٥)، و(الاسراء٤٠)، و(التوبة١٢٩)، و(المؤمنون٨٦)، و (النمل٢٦).

[٢] انظر: ابن منظور، اللسان، ج١٠: ١٩٩، و الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ١١١.

[٣] انظر: ابن منظور، اللسان، ج١٠: ١٣٤، و الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ٢٣٧-٢٣٩.

[٤] (البقرة١٢٩،٢٦٠)، و (آل عمران٦،٦٢)، و (ص٦٥)، و (غافر٨)، و (الحشر٢٣،٢٤) ، و (الممتحنة٥).

[٥] انظر: ابن منظور، اللسان،ج٤: ١٨٦ (مادة حكم).

[٦] (البقرة١٢٩،٢٦٠)، و(آل عمران ٦،٦٢)، و (الأنعام ١٢٨)، و (الزخرف ٨٤)، و (غافر٨)، و (الحشر ٢٤).

[٧] انظر: ابن منظور، اللسان، ج٢٧٢:١٥ (مادة وكل).

[٨] (النساء١٧١)، و (الأنعام١٠٢)، و (الفرقان٤٣).

[٩] ابن منظور، اللسان، ج٦: ١٩٩.

[١٠] المائدة: ١١٧.

– قريب: وجاء في قوله تعـــالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [١]. صفة لله تعالى، أي أنه قريب ممّن دعاه، مجيب لدعائه.

– شديد: تأتي من صفات الله بمعنى القوي، أو الشديد في صفة من صفاته[٢].

وورد في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ...﴾ [٣]، بمعنى عقابه شديد، فهو –سبحانه– شديد في صفة العقوبة.

– شهيد: صفة لله تعالى تعني أن الأشياء لا تخفى عليه، فهو عالم بهـــا و بحقائقهـــا علـــم المشاهدة لها[٤]. وجاء في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ...﴾[٥]، وفـــي (المائدة ١١٧).

– العليّ: علا يعلو، من العلو ويعني الرفعة والسناء والجلال. والعليّ من أسماء الله، فهـــو فعيل من علا يعلو، ويعني: الرفيع، أو العالي الذي ليس فوقه شيء، أو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته[٦]. وكلها معانٍ يجوز وصف الله بها. وجاء في قولـــه تعـــالى: ﴿...وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [٧].

٢. **فَعِل:** و له في الدراسة المختارة اسمان، وهما:

– حيّ: حَيِيَ يحيا فهو حيٌّ، من الحياة: نقيض الموت، والحيّ: نقيض الميت، فالله حيّ: أي باقي لا يجوز عليه الموت، ولا الفناء –سبحانه وتعالى– [٨]. وجاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ...﴾[٩]. وفي (غافر٦٥).

---

[١] هود: ٦١.
[٢] انظر: الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ١٩٢.
[٣] غافر: ٣.
[٤] انظر: الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ١٣٢.
[٥] الأنعام: ١٩.
[٦] انظر: ابن منظور، اللسان، ج١٠: ٢٦٨-٢٦٩ (مادة علو).
[٧] البقرة: ٢٥٥.
[٨] انظر: ابن منظور، اللسان،ج٤: ٢٩٢-٢٩٣ (مادة حيـــي)، والزجـــاجي، اشـــتقاق أســـماء الله:١٠٢.
[٩] البقرة: ٢٥٥.

- المِلِك: مَلَك يملك فهو مالك و مَلِك. و الملك صفة لله بمعنى مالك الخلق والحاكم فيهم، و المستكمل لحقيقة المالكية، فغيره مالك من جهة ومملوك من جهة أخرى، وقد تخصص بالإضافة كقوله تعالى: ﴿مَلِك يوم الدين﴾ – في قراءة – يعني أنه يملك يوم الدين، أو ذو الملك في يوم الدين، وقوله (ملك الناس)، أي خالقهم و الحاكم فيهم[١].

وورد في آيتين[٢] ، من غير تخصيص بإضافة، بمعنى: مالك الخلق و الحاكم فيهم.

٣. فَعَل: وله في الدراسة المختارة اسمان، و هما:

- أحد: أصله (وَحد)، قُلبت همزته واو على غير قياس. ومعناه: الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر. وأحد بمعنى الواحد[٣]. وورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤]، بمعنى الواحد الفرد، و اختير (أحد) لأنه أقوى في الدلالة على الثبوت و الاستمرار، جاء في التحرير و التنوير: "وصيغة الصفة المشبهة تفيد تمكن الوصف في موصوفها بأنه ذاتي، فلذلك أوثر (أحد) هنا على (واحد) لأن (واحد) اسم فاعل لا يفيد التمكن"[٥]. قوله لأن اسم الفاعل لا يفيد التمكين، وهذا بالنظر إلى أساس وضعه، وهو الدلالة على الحدوث، قياساً بالصفة المشبهة الدالة على الثبوت والاستمرار، فهو قد يفيد الثبوت و التمكين، و قد أُشير إلى ذلك عند الحديث عن أسماء الفاعلين التي تكون أوصافاً لله تعالى.

- صَمَد: الصمد: صفة لله تعالى، ويعني:أُصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره ، أو الذي لا ينتهي سؤدده ، أو الدائم الباقي بعد فناء خلقه. أو الذي خلق الأشياء كلها فلا يستغني عنه شيء[٦]. وهذه المعاني كلها دالة على وحدانيته سبحانه. وجاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[٧] .

---

[١] انظر: ابن منظور، اللسان، ج١٤: ١٢٥، و الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ٤٣، وابن عاشور، التحرير،ج١: ١٧٤، و ج١٨: ١٣٥.
[٢] (المؤمنون١١٦)، و(الحشر٢٣)
[٣] انظر: ابن منظور،اللسان، ج١: ٦٢ (مادة أحد).هناك فروق بينهما سنعرض لها في المبحث الدلالي، انظر: الفصل الرابع ، المستوى الأول، المطلب الثالث، دلالة (أحد، واحد) :٢٠٢-٢٠٤
[٤] الاخلاص: ١.
[٥] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج٣٠: ٦١٤.
[٦] انظر: ابن منظور، اللسان، ج٨: ٢٨٠-٢٨١ (مادة صمد).
[٧] الاخلاص:٢.

٤. **فُعُل:** وله في الدراسة المختارة اسم واحد، وهو:

- كُفُو: الكفءُ: المساوي، والنظير، والمماثل. وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (١)، صفة منفية لله تعالى بمعنى: الذي لا نظير، ولا مساوي ، ولا مماثل له في صفاته – سبحانه – .

٥. **فَعْل:** و له اسم واحد، و هو:

- الحقُّ: الحقّ: نقيض الباطل، فالله عزوجل حقّ وكل معبود دونه باطل، وكل شيء من عنده حق، و كل ما أمر به و نهى عنه حق على العباد(٢).

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ (٣)، صفة ثابتة لله تعالى، فهي مصدر بمعنى الصفة المشبهة.

هـ- اسم التفضيل

وهو "اسم مصوغ على وزن (أفعل) للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة و زاد أحدهما على الآخر فيها"(٤).

وشرط صوغه على وزن (أفعل): أن يكون فعلاً ثلاثياً، متصرفاً، تاماً، قابلاً للتفاوت، مثبتاً، مبنياً للمعلوم، ليست الصفة منه على وزن (أفعل) الذي مؤنثه (فعلاء)(٥).

وإذا فقد أحد الشروط السابقة، ففي صياغته تفصيل(٦). ولأفعل التفضيل أربع حالات، وهي:

١. أن يكون مجرداً من (ال) والإضافة وفي هذه الحالة يلزم الإفراد والتذكير ويُجر المفضل بـ(مِن).

٢. أن يكون مقترناً بـ(ال) و في هذه الحالة يطابق المفضل.

---

(١) الاخلاص: ٤.
(٢) انظر: الزجاجي، اشتقاق أسماء الله: ١٧٨.
(٣) المؤمنون: ١١٦.
(٤) السيد، المغني في علم الصرف:٢٢٢.
(٥) انظر:ابن عقيل، شرح ابن عقيل،ج٣: ١٤٧ والأسترباذي، شرح الرضي على الكافية ،ج٤: ٤٢٨-٤٣٢.
(٦) انظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٤: ٤٣٤، والسيد، المغنى في علم الصرف: ٢٧٧.

٣. أن يكون مضافاً إلى نكرة،وفي هذه الحالة يلزم الإفراد والتذكير، ولا يؤتى بــ(من) جــارّة للمفضل.

٤. أن يكون مضافاً إلى معرفة، وفي هذه الحالة يجوز الإفــراد والتــذكير، ويجــوز مطابقــة المفضل[١].

وقد جاء أربعة أسماء للتفضيل في الدراسة المختارة ، جميعها صفات الله، وهي:

- أصدق: في قوله تعــالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[٢]. الحالة: مجرد من (أل) و الإضافة. و وجه إفادة التوحيد أن شبهة الكذب منفية عنه – سبحانه – ، و إثبات أفضلية صدقه، فلا أحد أصدق منه تعالى.

- الحسنى: في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[٣]. الحالة: معرف بــ(ال) لهذا طــابق المفضّل (الأسماء)؛ لأن جمع التكسير لغير العقلاء يُعامل معاملة المؤنثة الواحدة. و الحســنى هنا مؤنث الأحسن، لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء. ووجه إفادة التوحيد أن "الله متصــف بالحسن الكامل في ذاته، المقبول لدى العقول السليمة المجردة عن الهوى، و ليس المراد بالحسن الملائمة لجميع الناس؛ لأن لملائمة وصف إضافي نسبي، فقد يلائم زيداً مــا لا يلائــم عمــراً، فلذلك فالحسن صفة ذاتية للشيء الحسن"[٤].

- خير: أصلها (أخير) حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ودورانها على الألسنة. وجاء علــى حالتين:

١- مضاف إلى معرفــة: فــي ﴿...وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٥] ، ﴿...وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٦] ، ﴿...وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾[٧]، ﴿...وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾[٨] ، ﴿...وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾[٩]، وقد طــابق

---

[١] انظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٣: ١٤٨-١٥٦، والأستراباذي، شرح الرضــي علــى الكافية، ج٤: ٤٣٥-٤٣٨.
[٢] النساء: ٨٧.
[٣] من سورتي: طه:٨، و الحشر: ٢٤.
[٤] ابن عاشور، التحرير و التنوير،ج٩: ١٨٦.
[٥] المؤمنون: ١٠٩، ١١٨.
[٦] المائدة: ١١٤
[٧] الأعراف: ٨٩.
[٨] الأنبياء: ٨٩.
[٩] المؤمنون: ٢٩.

المفضل (أنت). ووجه إفادة التوحيد، أنه أفضل أهل هذه الأوصاف، و هو الذي يتحقق منه كمالها فيما يقصد منها و في فائدتها، فلا رازق، ولا راحم، ولا فاتح، ولا وارث، ولا مُنزّل أفضل منه -سبحانه-.

٢- مجرّد من (ال) والإضافة: في ﴿...ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿...ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، و قد لزم الإفراد و التذكير. و وجه إفادة التوحيد هو إظهار رجحان إلهية الله -تعالى-، و إبطال أصنامهم التي جعلوها شركاء لله، و تنبيههم على خطئهم، و التهكم بهم لأنهم آثروا عبادة الأصنام، كما أن الاستفهام عن الأفضل فيه دعوة إلى الحق إن أرادوا الاهتداء[٣].

- أحكم: في قوله تعالى: ﴿...وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٤]. الحالة: مضاف إلى معرفة، وطابق المفضل. ووجه إفادة التوحيد: أنه -سبحانه- المتصف بكمال هذه الصفة، فهو الأكثر علماً و عدلاً من ذوي الحكم.

---

(١) النمل: ٥٩.
(٢) العنكبوت: ١٦.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج٢٠: ٩
(٤) هود: ٤٥.

العدول الصرفي

ونقصد به استخدام بناء يتطلبه السياق، فيعدل عن البناء الأصلي إلى هذا البنـاء، كـأن يأتي بالمصدر، والأصل اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو يأتي بالصـفة المشـبهة أو صـيغة المبالغة والأصل وزن آخر. وهذا لا يكون إلا لإفادة معنـى يتطلبـه السـياق بهـذه الصـيغة المعدولة.وتكون الصيغة المعدول إليها هي المرادة للسياق، ولا يمكن أن يؤدي المعنى بالصيغة المعدول عنها.

وقد جاء العدول من:

١- (مفعول) إلى (فَعْل) مصدر ، أي (فَعْل بمعنى مفعول) و قد جاء في قوله تعالى:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[٢] ،

وقوله تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٣].فـ(خلـق) مصدر بمعنى اسم المفعول[٤].

٢- (مفعول) إلى (فَعلة) مصدر مرة، أي (فَعْلة بمعنى مفعول)، في قوله تعـالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ [٥].

(قبضة) مصدر مرة بمعنى اسم المفعول (مقبوض)، جاء في التحرير والتنوير :

" و الإخبار عن الأرض بهذا المصدر، الذي هو بمعنى المفعول كـالخلق بمعنـى المخلـوق، للمبالغة في الاتصاف بالمعنى المصدري، وإنما صيغ لها وزن المرة تحقيراً لهـا فـي جانـب عظمة ملك الله تعالى، وإنما لم يُجأ بها مضمومة القاف بمعنى الشيء المقبوض، لـئلا تفـوت المبالغة في الاتصاف، ولا الدلالة على التحقير، فالقبضة مستعارة للتناول استعارة تصـريحية، والقبضة تدل على تمام التمكن من المقبوض وأن المقبوض لا تصرف له ولا تحرك "[٦].

---

[١] الأعراف: ٥٤.
[٢] الإسراء: ٤٩، ٩٨.
[٣] العنكبوت: ١٩.
[٤] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٥: ٦٨، وج٧: ٥٩، وابن عاشور، التحرير و التنوير، ج١٥: ١٢٤، و ج٢٠ : ٢٢٨.
[٥] الزمر: ٦٧.
[٦] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج٢٤: ٦٢.

٣- (فاعل) إلى (أفعل) ،أي (أفعل بمعنى فاعل)، في قوله تعـــالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[١].(أعلم) اسم تفضيل بمعنـــى اســـم الفاعـــل (عالم)،أي أنه –سبحانه– عالم ما ستضع قبل أن تضعه، وعالم أيضاً قدره ومكانته[٢].

٥- (مُفعِل) إلى (فعيل)، أي (فعيل بمعنى مُفعِل). وجاء باسم واحـــد، وهـــو (حكـــيم): وحَكيم من (أحكم) بمعنى أتقن الصنع، وليس من حكم، بمعنى ذو الحكمة، فـــــ(فعيـــل) اشتق من فعل غير ثلاثي وهو مسموع، فـــ(حكيم) بمعنى (مُحكِـــم)، أي المـــتقن لمـــا صنع[٣]. و جاء (حكيم) بمعنى (محكم) في ثماني آيات من آيات الدراسة[٤].منها قولـــه تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.[٥]

٦- (مفعول) إلى (فعيل)، أي (فعيل بمعنى مفعول).وجاء باسم واحد، وهـــو (وكيـــل): بمعنى موكول إليه، فهو الموكل إليه أمر عباده، متوكل بجميع ما خلق، فهـــو الناصـــر والمدافع[٦]. و جاء (وكيل) بمعنى (موكول إليه)، في ثلاث آيات من آيات الدراســـة[٧]، منها: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [٨].

٧- (فَعَل) صفة مشبهة إلى (مفعول)، أي (فَعَل بمعنى مفعول).وجاء باسم واحد وهـــو (صمد) بمعنى: المصمود إليه في الحوائج[٩]. وجاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[١٠].

وفائدة العدول من صيغة إلى صيغة في الغالب يُفيد المبالغة بالاتصاف بهـــذه الصـــيغة أكثر من الصيغة المعدولة ، أي إن النقل يفيد المبالغة في الغالب. أضف إلـــى ذلـــك أن أغلـــب العدول كان إلى المصدر ، وهذا يفيد المبالغة بالاتصاف بالمعنى المصدري.

---

(١) آل عمران: ٣٦.
(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج٨: ٢٩.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج١: ٧٢٤،٤١٦،٤١٥.
(٤) (البقرة٢٦٠)، و(آل عمـــران٦٢،٦)، و(الأنعـــام١٢٨)، و(غـــافر٨)، و(الزخـــرف٨٤)، و (الحشر٢٤).
(٥) البقرة: ١٢٩.
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج٤: ١٧٠.
(٧) (الأنعام١٠٢) ، و(الفرقان٤٣).
(٨) النساء: ١٧١ .
(٩) انظر: أبا حيان ، البحر المحيط ، ج١٠: ٥٧٠
(١٠) الاخلاص : ٢.

المبحث الثاني
المستوى النحوي

مقدّمة

خصص هذا المبحث للحديث عن مواضيع نحوية بارزة في آيـــات التوحيـــد ، وهـــي: الأفعال المتعدية لمفعولين ، والتمييز وخاصةً تمييز النسبة (المحول).

إضافة إلى إعراب بعض آيات التوحيد، والأوجه الإعرابية فيها، والمعاني المترتبة على هذا الاختلاف، وترجيح المعنى المتفق مع السياق القرآني.

أولاً: الأفعال المتعدية لمفعولين

برزت الأفعال المتعدية إلى مفعولين في آيات التوحيد، وذلك بالنظر إلى تكرارهـا فـي أكثر من آية، وليس بالنظر إلى عدد الأفعال المتعدية، فـ(رأى) تكرّر في أكثر من عشرين آية، وكذلك (جعل).

والأفعال المتعدية لمفعولين جاءت بعشرين فعلاً، حملت دلالة توحيدية فـي سـياقها،من خلال التدليل على قدرته –سبحانه–، وبطلان عبادة غيره عن طريق محاججة المنكرين لألوهية الله الواحدة، وإثبات اختصاصه سبحانه بالربوبية والخلق، وأن غيره لا يستحق العبادة، أو لبيان عظمته ومنّه وفضله –سبحانه– على خلقه. وقد تحققت هذه الدلالة من خـلال التركيـب عينـه (الفعل ومعموله)،لا بالفعل وحده .

ونقسم هذه الأفعال إلى قسمين:

١. أفعال متعدية لمفعولين أصلهما مبتدأ وخبر .

٢. أفعال متعدية لمفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً .

١. **الأفعال المتعدية لمفعولين أصلهما مبتدأ وخبر:** وهي على قسمين:

أ– أفعال القلوب ب– أفعال التحويل

أ– أفعال القلوب: وهي الأفعال التي يكون إدراكها بالحس الباطن، فمعانيها قلبية باطنة لا ظاهرة حسية، وليس كل فعل قلبي ينصب مفعولين. بل منه ما ينصب مفعولاً واحداً: كعـرف، وفهـم، وكره، وخاف . ومنه ما هو لازم: كحزن، وجبن، وفرح، ورغب[١].

وتُقسم أفعال القلوب إلى قسمين، هما:١) أفعال اليقين ٢) أفعال الرجحان

١) أفعال اليقين: والمقصود باليقين: الاعتقاد الجازم. وجاءت في الدراسة المختارة بثلاثة أفعال، وهي: علم، ووجد، ورأى.

– عَلِم: وهو فعل يفيد اليقين، ويأتي للرجحان قليلاً.

وقد أفاد اليقين في آيتين، هما: قوله تعـالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٢] ، و(أن) ومافي حيزها سدّ مسدّ مفعولي يعلموا، فالتركيب المكـوّن

---

[١] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢: ٣٣٥– ٣٣٦، والغلاييني، جامع الدروس العربيـة، ج١: ٣٦، والسامرائي، معاني النحو، ج٢: ٦

[٢] إبراهيم: ٥٢.

من الفعل القلبي ومفعوليه هو الذي حقق دلالة توحيدية، وهي: ليعتقدوا اعتقاداً جازماً ما الله إلا إله واحد[١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[٢]، جملة: (ما أنزل هؤلاء) المعلقة بالنفي سدت مسد مفعولي علمت. فالتركيب المكوّن من الفعل القلبي ومفعوليه، حقق دلالة توحيدية وهي: أن موسى أيقن واعتقد أن فرعون قد علم أن منزلها (الآيات المؤيدة لموسى) هو رب العالمين، ولكنه كفر بذلك عناداً[٣].

- علم وعرف: ذهب النحاة إلى أن (علم) إذا جاءت بمعنى عرف، تعدّت إلى مفعول واحد. واختلفوا في الفرق الدلالي بينهما؛ فمنهم من ذهب إلى أنه لا فرق بينهما، وأن معناهما واحد. والعمل هو الفرق الوحيد بينهما؛ فـ(علم) ينصب مفعولين، و(عرف) لا ينصب إلا واحداً[٤]. ومنهم من ذهب إلى أن هناك فرقاً؛ فالعلم يتعلق بالصفات، والمعرفة بالذوات، فإذا قلت: (علمت زيداً)، فالمعنى: عرفت ذاته، أما إذا قلت: (علمت زيداً شجاعاً)، أي عرفت وصفاً من أوصافه وهي الشجاعة[٥].

وقد جاءت (علم) متعدية إلى واحد في ثلاث آيات، وهي: قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[٦]، (تعلم) غير متعدٍ إلى مفعولين، فهو شابه (عرف) في تعديه لواحد. أمّا المعنى فهناك فرق، فـ(هل تعلم له سميّاً) يعني: أنه سبحانه المستحق أن يتصف بالخلق، والقدرة ، والعلم، والرحمة، والعلم بما كان وبما يكون[٧]،...، وهذه صفات لذاته -سبحانه-، فالمراد معرفة اتصافه بهذه الصفات، وليس معرفة ذاته، لأنه سبحانه معروف؛ لهذا قال: (تعلم)، ولم يقل: (تعرف). وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا

---

[١] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣: ٢٥٥.
[٢] الإسراء: ١٠٢.
[٣] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ٢٢٦.
[٤] انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٥: ١٥٩.
[٥] انظر: السامرائي، معاني النحو، ج٢: ٨.
[٦] مريم: ٦٥.
[٧] انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٤٧٢.

يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[١]، المقصود: أنه سبحانه يعلم الظاهر والباطن، فالذي يُظهره إبراهيم والذي يُبطنه هي صفات يتصف بها، ولا يعلمها إلا هو سبحانه، ولو قال: إنك تعرف؛ لأصبح المعنى: إنك تعرف ذاتي وهي تخفى، وذاتي وهي تعلن، والله أعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[٢]، وردت (علم) ثلاث مرات، في جميعها متعدٍ لواحد، ففي قوله: (علمته)، أي علمت يا رب اتصافي بصفة الألوهية أنا وأمي، ولكن هذا ليس من حقي حتى اتصف بهذه الصفة؛ لأنك سبحانك الإله لا شريك لك. وفي قوله: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)، أي تعلم ما تتصف به نفسي من العلوم، ولا أعلم ما تتصف به من العلوم. وعبّر بالنفس عن العلم؛ لأنها مقر العلوم، فالدلالة التوحيدية متأتية من التركيب، وهو الفعل (علم) ومفعوله، وقد دل هذا التركيب على إثبات القدرة والمعرفة لله -سبحانه وتعالى-، و الألوهية له[٣].

أضف إلى ذلك أن (علم) يُلحظ فيها القوة في الدلالة المبنية على التثبيت والاطلاع، وهذا لا نجده في (عرف)، دليل ذلك: أنك تصف من وصل إلى درجة عالية في العلم وتبحر به بأنه عالم، ولا تقول عنه عارف.

- رأى: للاعتقاد الجازم في شيء أنه على صفة معينة أو ليس كذلك، وهي بمعنى علم واعتقد في دلالتها على اليقين. وقد تكون حلمية، وهذه كالعلمية في نصبها مفعولين. وقد تكون بصرية، فهي متعدية لواحد[٤].

ورأى اليقينية منقولة من الرؤية البصرية إلى الأمور القلبية؛ لأنك إذا رأيت شيئاً فقد تيقنت منه وعلمته، فهذه الرؤية غير مصحوبة بشك فاعتُبرت يقينية[٥].

وقد استعملت (رأى) في الدراسة المختارة بثلاثة تعابير، وهي:

١. (أرأيت- أفرأيت)　　٢. (ألم تر- أولم يروا)　　٣. (أرنا، أرني، أراكم)

---

[١] إبراهيم: ٣٨.
[٢] المائدة: ١١٦.
[٣] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧: ١١٥.
[٤] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢: ٣٢٧، و الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٥: ١٦١.
[٥] انظر: السامرائي، معاني النحو،ج٢: ١٢.

١. (أرأيت- أفرأيت): يُستخدم هذا التعبير لمعنيين:

الأول: السؤال عن الرؤية البصرية أو القلبية

الثاني: بمعنى (أخبرني)، أي الاستخبار عما سألت عنه، وهو منقول من الرؤية البصرية إلى الرؤية بمعنى الإخبار، ولا يستعمل إلا في الاستخبار عن حالة عجيبة[١].

والمعنى الأول لم يأت عليه شيء في الدراسة، حيث جاء جميع الآيات التي احتوت على التعبيرين السابقين بمعنى (أخبرني)، وبلغ عددها خمس آيات، وهي:

- قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[٢]، أي: أشاهدت وأبصرت الذي جعل هواه قدوة له في أعماله، لا يأتي عملاً إلا إذا وافق شهوته، فكأن هواه إلهه. أخبرني عنهم، فهو يستخبر عن حال الذين اتخذوا إلههم هواهم، وهذا الاستخبار فيه تعجب مشوب بالإنكار من الذين اتخذوا هواهم إلهاً[٣].

ومفعولا (رأى): الأول: الاسم الموصول (مَن)، والثاني: في الفرقان: (جملة: أأنت تكون عليه وكيلاً) المعلقة بالاستفهام.وفي الجاثية: محذوف تقديره: (مهتدياً).

- وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ... ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا ﴾[٤]، المعنى: أخبروني هل يستطيع أحد غيره -سبحانه- إحداث هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والدال على بديع صنعه[٥].

ومفعولا (رأى): سدّ مسدهما جملة (من إله غير الله) المعلقة بالاستفهام.

- وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾[٦] ، أي: شاهدتم وأبصرتم قدرة الله في خلق الأجنة من ماء النطفة، أخبروني هل تستطيعون خلقها.

ومفعولا (رأى): الأول: الاسم الموصول (ما)، والثاني: جملة: (أأنتم تخلقونه) المعلقة بالاستفهام.

---

(١) انظر:الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٥: ١٧٢.
(٢) من سورتي :الفرقان: ٤٣، والجاثية: ٢٣ (أفرأيت بدل من أرأيت).
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠: ١٦٨.
(٤) القصص: ٧١-٧٢.
(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠: ١٦٨.
(٦) الواقعة: ٥٨- ٥٩.

٢. (ألم تر– أولم يروا): يُستعمل هذان التعبيران بمعنيين:

أحدهما: السؤال عن الرؤية البصرية: وجاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[١]، فالله يُنكر اتخاذهم شريكاً مع الله، بعد رؤيتهم لهذه المصنوعات الدالة على قدرته سبحانه، مع علمهم أن آلهتهم لا تقدر على مثل هذا الصنع. وقد وصلت الرؤية بـ(إلى)، للدلالة على أن المراد من هذه الرؤية التدبر والتبصر والتأمل في هذه المخلوقات، الدالة على قدرته –سبحانه– ، للاعتبار وإثبات الوحدانية له – سبحانه وتعالى–[٢].

الآخر: بمعنى (ألم تعلم) و(ألم ينته علمك): وجاء هذا المعنى في سبع آيات من آيات الدراسة ، وهي:

– قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٣]، أي: (ألم تعلم أن الله خلق السماوات والأرض بالحق) ، وهذه الرؤية مصحوبة بالنظر والتأمل، للاستدلال على أحقية خلقها من قبل الله سبحانه[٤].

وبقية الآيات هي: (الإسراء ٩٩)، و(يس ٧١، ٧٧)، و(العنكبوت ١٩)، و(الأحقاف ٣٣)، و(نوح ١٥). وفي جميعها أتى بمعنى (ألم تعلم)، وهذا العلم يجب أن يكون ناشئاً عن نظر وتأمل. إضافة إلى ذلك: أن الرؤية في جميعها قلبية، عُدّي فعل الرؤية فيها إلى مفعولين.

فالنظر والتأمل والتفكر مصاحب لهذين التعبيرين (ألم ترَ– أولم يروا)، وليس خاصاً بفعل الرؤية البصرية الموصول بـ(إلى)، وإنما للقلبي أيضاً، ولكنه يكثر فيما كان موصولاً بـ(إلى) قلبياً، أو بصرياً[٥]. وقد حمل هذا التعبير في الدراسة المختارة دلالة توحيدية، من خلال الدعوة إلى التأمل والتفكر، لإثبات قدرته –سبحانه– وأحقيته في الملك والتصرف.

٣. (أرنا، أرني، أراكم): أصلها على الترتيب (أرئينا، أرئيني، أرأيكم)، حذفت الياء، ثم نُقلت حركة الهمزة إلى الراء وحُذفت الهمزة، فصارت (أرنا، أرني، أراكم)[٦].

---

[١] النحل: ٤٨.
[٢] انظر:أبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٥٣٦، و الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٤: ٢٥٤.
[٣] إبراهيم: ١٩.
[٤] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣: ٢١٤.
[٥] انظر: السامرائي، معاني النحو، ج٢: ١٣ – ١٤.
[٦] انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦: ٦٤ ، مادة (رأى).

وقد جاءت هذه الأفعال في أربع آيات من آيات الدراسة، وفي جميعها متعدية إلى مفعولين؛ لأنها في الأصل من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد، وبهمزة التعدية أصبحت متعدية لاثنين، والآيات هي: (البقرة ١٢٨، ٢٦٠)، و(هود ٨٤)، و(فصلت ٢٩).

٢) أفعال الرجحان: جاءت في الدراسة المختارة بفعلين، وهما: حسب، وزعم.

- حسب: هي للرجحان بمعنى (ظن)، وقد تكون لليقين. والذي يبدو أن بينها وبين (ظن) فرقاً، فحسب القلبي مأخوذ من حسب الحسي الذي منه الحساب، والحساب مبني على تفكر ونظر عقلي، بخلاف الظن القائم على التردد والشك[١]. وجاء هذا الفعل في آيتين من آيات الدراسة، وهما: قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٢]، فالله -سبحانه- راقب أحوالهم، فوجدهم قد أجروا عملية حساب مستخدمين النظر العقلي، فأدى حسابهم إلى أنهم قالوا بعبثية الخلق، فخاطبهم بما يناسب حالهم بقوله: (أفحسبتم)، فالتركيب المكون من الفعل حسب ومفعوليه، هو الذي حقق دلالة توحيدية، وهي إنكارقولهم بعبثية الخلق. فهم معتقدون بأنهم لن يرجعوا بعد الموت، فخاطبهم الله بلازم اعتقادهم منكراً ذلك وموبخاً[٣].

كما جاء معنى الحساب المبني على التفكر والنظر في (النمل ٤٤). فـ(حسب) قائم على الحساب والنظر والتفكر العقلي، بخلاف (ظن) الذي فيه شك وتردد؛ لهذا لا يصلح (ظن) مكان (حسب) لاختلاف الدلالة.

- زعم: الزعم: وهو القول بأن الشيء على صفة قول غير مستند إلى وثوق[٤].

وأكثر ما يقع الزعم على الباطل، كما جاء في آية الدراسة المختارة ، وهي قوله تعالى:

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾[٥].

ب- أفعال التحويل: وجاءت في الدراسة المختارة بفعلين، هما: جعل، واتخذ.

- جعل: من أفعال التحويل بمعنى صيّر، وقد يكون قلبياً بمعنى: ظن، أو يكون بمعنى: صنع، أو وضع، أو عمل وهيّأ، أو بمعنى خلق[٦]. ولا يكون متعدياً إلى اثنين إلا إذا جاء بمعنى صيّر، وجاء في المعاني الأخرى متعدياً إلى واحد.

---

[١] انظر: السامرائي، معاني النحو، ج٢: ٢٠- ٢١.
[٢] المؤمنون:١١٥.
[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٨: ١٣٣.
[٤] انظر:الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٥ : ١٦١.
[٥] التغابن : ٧.
[٦] انظر: ابن منظور، اللسان ، ج٣ : ١٥٩.

وقد جاء في الدراسة المختارة بمعنى (خلق) في قولـــه تعـــالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[١]، "والتعبير بالجعل دون الخلق مع العطف بثم؛ للدلالة على أن خلق حواء من ضلع آدم أدخل في كونه آية باهرة دالة على كمال القدرة؛ لأن خلق آدم هـو علـى عـادة الله المستمرة في خلقه، وخلقها على الصفة المذكورة لم تجر به عادة لكونه لم يخلق –سبحانه– أنثى من ضلع رجل غيرها"[٢].

وفي بقية الآيات جاء متعدياً لمفعولين بمعنى صيّر، والآيات هي: (البقـرة ١٢٦، ١٢٨، ٢٦٠)، و(آل عمران ٤١)، و(النساء ٧٥)، و(الأعراف ٤٧)، و(يـونس ٨٥)، و(الرعـد ١٦)، و(إبراهيم ٣٥، ٤٧)، و(الإسراء ٢٢، ٣٩، ٩٩)، و(الفرقان ٧٤)، و(النمل ٦١، ٦٢)، و(الروم ٢١)، و(القصـص ٧١، ٧٢)، و(سـبأ ١٩)، و(ص ٥)، و(فصـلت ٢٩)، و(الزخـرف ٤٥)، و(الجاثية ٢٣)، و(الواقعة ٢٦) ، و(الحشر ١٠) ، و(الممتحنة ٥).

ووجه إفادة التوحيد أن فعل الجعل يقتضي تغييراً (تحويلاً)، وهـذا التغييـر يحدثـه الله تعالى، إما للمن والتفضل على عباده[٣]، كما في سورتي (النمـل ٦١)، و(الـروم ٢١)، وإمـا للاستدلال على إنفراده بالألوهية ببديع مصنوعاته[٤]، كما في (القصص ٧١، ٧٢). وإمّا لبيـان قدرته بتحويل كل من يكفر بنعمة الله تعالى إلى مجرد وجود في الأخبار والقصص، معاقبة لهم بعد أن كانوا في الجنان وبحبوحة العيش[٥]، كما في (سبأ ١٩). وإما لنفي الشرك بعدم تصـيير الإله الواحد آلهة متعددة، أي عدم عبادة إله غير الله[٦]، كما في (الإسراء ٢٢، ٣٩)، و(ص ٥)، و(الرعد ١٦)، و(الزخرف ٤٥)، و(ق ٢٦). وإما لقبول توجّه العبد إلى ربه بما يطلبه تضـرعاً وإذلالاً بين يديه –سبحانه–، كما فـي (البقـرة ١٢٨)، و(آل عمـران ٤١)، و(النسـاء ٧٥)، و(إبراهيم ٤٧)، و(الفرقان ٧٤)، و(الحشر ١٠)، و(الممتحنة ٥).

– اتّخذ: هو (افتعل) من (الأخذ)، من أفعال التحويل والتصيير المتعدية إلى مفعـولين[٧]. جـاء (اتخذ) في جميع الآيات بمعنى التصيير متعدياً إلى مفعولين ظاهرين، أو مقدر أحدهما.

---

[١] الزمر: ٦.
[٢] الشوكاني، فتح القدير، ج٤: ٥٩٢.
[٣] انظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠: ١٣–١٤،وج٢١: ٧١.
[٤] انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠: ١٦٨–١٧٠
[٥] انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢: ١٧٨
[٦] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٣٧١ ، وج٧: ٣٠، وج٩: ١٣٨ ، و الشوكاني، فتح القدير، ج٣: ١٠٢، و٣٠٢ ، وج٤: ٥٥٤، وابن عاشو، التحرير والتنوير، ج٢٥: ٢٢٢–٢٢٣ .
[٧] انظر: الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٩ .

فما تعدى إلى مفعولين ظاهرين جاء في أربع عشرة آية، من مجموع الآيات التي احتوت على هذا الفعل وعددها تسع عشرة آية، وهي: (آل عمران ٢٨، ٦٤)، و(المائدة ١١٦)، و(التوبة ٣١)، و(النحل ٥١)، و(الإسراء ٤٠)، و(الأنبياء ٢٤)، و(الفرقان ٣، ٤٣)، و(يس ٢٣)، و(الزخرف ١٦، ٣٢)، و(الجاثية ٢٣)، و(المزمل ٩).

وفي خمس آيات جاء أحد المفعولين مقدراً، وهي:

- قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾[١]، والتقدير: جعلوا الآلهة أصناماً من الأرض. كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾[٢]. وذهب بعض المفسرون إلى أن (اتخذوا) بمعنى صنعوا وصوروا، أي: صنعوا آلهة من الأرض[٣].

- وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[٤] ، وقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ... ﴾[٥]، والتقدير: (اتخذ الرحمن ولداً شريكاً)و(ما اتخذ الله من ولدٍ شريكاً).

- وقوله تعالى:﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾[٦]،وقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾[٧]، والتقدير: (لم يتخذ أحداً ولداً)، و(لو أراد أن يتخذ أحداً ولداً).

ويبدو أن عدم التصريح بأحد المفعولين أقوى في الدلالة على التوحيد، وذلك إمّا لتنزيه نفسه –سبحانه– عن ذكره كما في (الأنبياء ٢٦)، و(المؤمنون ٩١). وإما لكون الحذف أشمل وأعم في الدلالة على عدم الشرك، بمعنى أن عدم الاتخاذ شمل كل ما يخطر في البال من أنه اتخذ إنساناً، أو نبياً، أو ملكاً،...،ولداً، وقدرناه بأحد لكي يشمل الجميع، كما في (الفرقان ٢)، و(الزمر ٤). وإما للتنزيه مع التعريض بالمشركين[٨]، كما في (الأنبياء ٢١).

---

[١] الأنبياء: ٢١.
[٢] الأنعام: ٧٤.
[٣] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٤١٨.
[٤] الأنبياء: ٢٦.
[٥] المؤمنون: ٩١.
[٦] الفرقان: ٢.
[٧] الزمر: ٤.
[٨] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧: ٣٧

٢. **أفعال متعدية لمفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً:** وجاءت في الدراسة المختارة على ثلاث مجموعات، هي:

أ- ما سُمع عن العرب متعدياً لمفعولين

ب- ما ضُمّن معنى فعل آخر متعدٍ لمفعولين   ج- ما عُدّي بالهمزة أو بالتضعيف

أ- ما سُمع عن العرب متعدياً لمفعولين: وله في الدراسة المختارة فعل واحد، هو:

- أعطى: في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[١]. واختُلف في مفعولي (أعطى): فقيل: مفعول أعطى الأول (كل شيء)، والثاني (خلقه)؛ والمعنى: أعطى كل ما خلق خلقته وصورته، على ما يناسبه من الإتقان، وميّزه على غيره من البهائم. وقيل: مفعول أعطى الأول (خلقه)، والثاني (كل شيء)، والمعنى: أعطى خلقه، ما يحتاجونه[٢]. وكلا المعنيين صالح للسياق. ووجه إفادة التوحيد أن الفعل أعطى أتى " للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة، فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معاً "[٣].

ب- ما ضُمّن معنى فعل آخر متعدٍ لمفعولين: وله في الدراسة المختارة ثلاثة أفعال، وهي: ادعو، أوزعني، قدّر.

- ادعو: وجاء في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[٤]، بمعنى: سمّوا، فهي تنصب مفعولين حذف أحدهما استغناء عنه للعلم به، والتقدير: سمّوا ربكم الله، أو سموه الرحمن[٥]. ويجوز أن يكون (ادعوا) بمعنى اذكروا، والتقدير: اذكروا في دعائكم هذا الاسم أو هذا، فالمسمّى واحد[٦].

وأميل إلى ما ذهب إليه أبو حيان وهو أن يكون الدعاء بمعناه وهو النداء، لأنه الموافق لأسباب النزول، فقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا الرسول يدعو: يا الله يا رحمن، فقالوا: كان يدعو إلهاً واحداً، وهو يدعو إلهين. فنزلت الآية. والمعنى: إن دعوتم الله فهو اسمه وإن دعوتم الرحمن فهو صفته. فيكون (ادعو) من الأفعال المتعدية إلى المفعول الثاني

---

[١] طه: ٥٠.
[٢] انظر:أبا حيان، البحر المحيط،ج٧: ٣٣٩-٣٤٠، وابن عاشور:التحرير والتنوير،ج١٦: ٢٣٢
[٣] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٦: ٢٣٢.
[٤] الإسراء: ١١٠.
[٥] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٦٥٤، و أبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ١٢٦- ١٢٧.
[٦] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٥: ٢٣٧.

بحرف الجر، وهو مقصورعلى السماع، فيصبح التقدير: ادعوا معبودكم بالله أو ادعوه بالرحمن، ثم تتسع فتحذف الباء[١].

– أوزعني: في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾[٢] ، بمعنى: ألهمني، والتقدير: ألهمني شكر نعمتك. وقيل: بمعنى اجعلني، والتقدير: اجعلني أشكر نعمتك، أو اجعلني أزع شكر نعمتك وآلفه وأرتبطه حتى لا ينفلت عني. وقيل: بمعنى أولعني شكر نعمتك. وقيل: امنعني عن الكفران[٣].

– قدّر: في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[٤] ، بمعنى: صيّر، وهو متعدٍ إلى مفعولين فتكون (الهاء) مفعولاً أولاً، و(منازل) مفعولاً ثانياً، والتقدير: قدره ذا منازل. وإما أن يكون بمعنى (خلق)، فهو متعدٍ لواحد، وهو (الهاء)، و(منازل) حال، أو منصوب على الظرفية، أي في منازل.أو تكون الهاء منصوبة بنزع الخافض، و(منازل) مفعول قدّر، أي: قدّر له منازل[٥].

ج– ما عُدّي بالهمزة أو بالتضعيف: وله في الدراسة المختارة ثلاثة أفعال، هي: كلّف، حذّر، أشهد .

– كلف: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٦]، (يكلف): متعدٍ إلى مفعولين بالتضعيف، الأول: (نفساً)، والثاني: (وسعها)، وإلا أداة حصر. وفي هذه الآية إخبار عن عدله ورحمته سبحانه، فالله لم يجعل عليهم في هذا الدين التكليف بما فيه مشقة.

– حذّر: في قوله تعالى: ﴿ ...وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٧]، (يحذركم) متعدٍ لمفعولين بالتضعيف، الأول: (كم)، والثاني: (نفسه). وأميل إلى ما ذهب إليه ابن عاشور: من أن انتصاب (نفسه) بنزع الخافض، والتقدير: من نفسه؛ لأن باب التحذير يكون على تقدير (من)، فقولهم:

---

[١] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ١٢٦– ١٢٧.
[٢] النمل: ١٩.
[٣] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٣٦٢، و أبا حيان، البحر المحيط، ج٨: ٢٢٢.
[٤] يونس: ٥.
[٥] انظر: العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: ٢٨٠، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ١٤.
[٦] البقرة: ٢٨٦.
[٧] آل عمران: ٢٨.

إياك الأسد، أصله: احذرك من الأسد[١]. ومنهم من جعل في الكلام حذف مضـــاف، والتقـــدير: عقابه. والتحذير من النفس أشمل وأعم من التحذير من عقابه، جاء في التحرير والتنوير: "وقـــد جعل التحذير هنا من نفس الله أي ذاته ليكون أعم في الأحوال، لأنه لو قيل يحذركم الله غضـــبه لتوهم أن لله رضا لا يضر معه تعمد مخالفة أوامره، والعرب إذا أرادت تعميم أحـــوال الـــذات علقت الحكم بالذات: كقولهم لولا فلان لهلك فلان"[٢].

- أشهد : في قولـــه تعـــالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٣]، متعدٍ بالهمزة إلى مفعولين، الأول: (هم)، والثاني: (خلق السماوات). ومعنـــى (مـــا أشهدتهم خلق السماوات): "أي ما جعلتهم ممن اطلعوا ببصيرتهم على خلقها"[٤].

---

[١] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣: ٢٢١.
[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣: ٢٢١.
[٣] الكهف: ٥١.
[٤] الأصفهاني ، معجم مفردات القرآن: ٢٧٥.

التمييز في آيات التوحيد

التمييز: وهو اسم نكرة متضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إجمال ذات أو نسبة[١].

وفي كون التمييز نكرة خلاف بين النحويين، والجمهور على أنه كذلك. وذهب قسم من النحاة إلى جواز تعريفه[٢].

- **نوعا التمييز**: التمييز قسمان: المبين إبهام ذات، والمبين إبهام نسبة.

١. المبين إبهام ذات: وهو الواقع بعد مساحة أو كيل أو وزن أو عدد. ولم يأتِ عليه شيء في الدراسة المختارة.

٢. المبين إبهام نسبة: "وهو ما يرفع إبهام نسبة حاصلة في جملة أو شبه جملة"[٣].

والأكثر في تمييز النسبة أن يكون محوّلاً عن فاعل، أو مفعول، وقيل عن غيرهما أيضاً. وقد يكون غير محوّل. ومعنى التحويل عن فاعل، أو مفعول أن الأصل في التمييز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً، نحو: (زاد محمد علماً)، فالتمييز محوّل عن فاعل، والأصل: (زاد علم محمد). و(غرست الأرض شجراً) فالتمييز محوّل عن مفعول به، والأصل:(غرست شجر الأرض).

وقد جاء تمييز النسبة في إحدى عشرة آية-كما دل عليه إحصاؤنا في آيات الدراسة المختارة- حاملاً دلالة توحيدية متأتية من العدول عن الأصل إلى التمييز في بعضها، وفي بعضها الآخر من دلالة التمييز في سياقه، وما أضافه على الجملة.

- **الغرض من التحويل:** قد تقول: ما الغرض من تحويل الفاعل أو المفعول به إلى تمييز؟ وهل هناك اختلاف في المعنى؟

نقول: لا يعدل من تعبير إلى تعبير، إلا ويصحبه في الغالب عدول من معنى إلى معنى. والأغراض التي يعدل من أجلها إلى التمييز:

١. المبالغة والشمول: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٤]، فالأصل: (وسع علم ربنا كل شيء)، فهو محوّل عن فاعل. ولكن هناك فرقاً في المعنى بين: (وسع علم ربنا كل شيء) و(وسع ربنا كل شيء علماً)، ففي الأول أُسندت السعة إلى العلم مباشرة. وفي الثاني أُسند إلى (ربنا) ثم خصصت العلم بالذكر فقد مدحته مرتين، مدحته كله بقولك: (وسع ربنا)، ويدخل في ذلك علمه، ثم خصّصت العلم بالذكر. فالمبالغة وقعت في إسناد السعة لربنا، فقد عدل عن

---

[١] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢: ٥٢٥- ٥٢٦.
[٢] انظر: السيوطي، الهمع، ج٢: ٢٦٩.
[٣] الأسترابادي، شرح الرضي على الكافية، ج٢: ١٠٨.
[٤] من سورتي : الأعراف: ٨٩، وطه: ٩٨.

الأصل إلى التمييز للمبالغة، ومعنى المبالغة أن الفعل كان مسنداً إلى جزء منه (علم ربنا)، فصار بالتحويل مسنداً إلى الجميع. جاء في شرح (المفصل) في نحو طاب زيد نفساً وتصبّب عرقاً، وتفقأ شحماً أنه "لا يوصف زيد بالطيب والتصبب والتفقؤ فعلم بذلك أن المراد المجاز، وذلك أنه في الحقيقة لشيء من سببه، وإنما أسند إليه مبالغة وتأكيداً، ومعنى المبالغة أن الفعل مسند إلى جزء منه فصار مسنداً إلى الجميع وهوأبلغ في المعنى؛ والتأكيد أن لما كان يفهم منه الإسناد إلى ما هم منتصب به ، ثم أسند في اللفظ إلى زيد، تمكن المعنى، ثم لما احتمل أشياء كثيرة وهو أن تطيب نفسه بأن تنبسط ولا تنقبض، وأن يطيب لسانه بأن يعذب كلامه، وأن يطيب قلبه بأن يصفو انجلاؤه، تبين المراد من ذلك بالنكرة التي هي فاعل في المعنى فقيل: طاب زيد نفساً وكذلك الباقي".[١]

فالإشارة إلى الجميع – في النص السابق– الذي يفيده الإسناد إلى (ربنا) يدل على أن التركيب يفيد الشمول ، فـ(وسع ربنا كل شيء) دال على الشمول، ثم تخصصه بجهة واحدة وهي (التمييز). وهذا أقوى في الدلالة لأنك لو قلت: (وسع علم ربنا كل شيء) بالتحويل لتخصص بـ(العلم) ولم يدل على الشمول الذي يحققه مع التمييز. فالتركيب بالتمييز ذو دلالة ثنائية: الدلالة على المبالغة والشمول (من غير تمييز)، ثم الدلالة على المبالغة والشمول والتخصيص (مع التمييز).

فالتركيب بالتمييز عبارة عن تركيبين:

- (وسع ربنا كل شيء)، والذي يحتمل أشياء كثيرة كـ(رحمة، حفظاً،...)، و(علماً) من ضمن هذه الأشياء.

- (وسع ربنا كل شيء علماً)، التخصيص من جهة العلم مع احتمالية الشمول.

٢. التشويق المستفاد من التفصيل بعد الإجمال والإيضاح بعد الإبهام، فـ(وسع ربنا كل شيء علماً) أسندت السعة إلى (ربنا) جملة، ثم فصّلت فيما بعد من جهة العلم . وفيه تشويق للنفس؛ لأن النفس تتشوق إلى الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، جاء في حاشية الصبّان أنه: "إنما عدل عن هذا الأصل ليكون فيه إجمال ثم تفصيل، فيكون أوقع في النفس لأن الآتي بعد الطلب أعز من المنساق بلا طلب"[٢].

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢: ٤١٣.

[٢] الصبان، أبو العرفان محمد بن علي(ت١٢٠٦هـ) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، ٤ج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج٢: ١٩٥ .

فالتمييز المحوّل يؤدي الغرضين مجتمعين، جاء في التحرير والتنوير في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[١]: "وجيء في وصفه تعالى بالرحمة الواسعة والعلم الواسع بأسلوب التمييز المحوّل عن النسبة لما في تركيبه من المبالغة بإسناد السعة إلى الذات ظاهراً، حتى كأنه ذاته هي التي وسعت، فذلك إجمال يستشرف به السامع إلى ما يرد بعده فيجيء بعده التمييز المبين لنسبة السعة أنها من جانب الرحمة وجانب العلم، وهي فائدة تمييز النسبة في كلام العرب، لأن للتفصيل بعد الإجمال تمكيناً للصفة في النفس"[٢].

وقد يكون التمييز غير محوّل ويؤدي الغرضين،كما في قوله تعالى:﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾[٣]

و﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾، فـ(غير الله أبغي رباً) بمعنى: (لا أبغي غير الله رباً)، فابتغاؤه غير الله يحتمل أشياء، بأن يكون: (إلهاً، معبوداً،...)ويشمل رباً. ومجيء التمييز يخصصه من جهة واحدة وهي (رباً). والتشويق واضح، في أنك أبهمت ابتغاءه من أي جهة ثم وضحته بأنه من جهة (رباً)، والنفس تتشوق إلى الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال.

- **التمييز بعد اسم التفضيل:** يقول النحاة إن التمييز بعد اسم التفضيل إذا كان فاعلاً في المعنى تعين نصبه، وإن لم يكن فاعلاً في المعنى تعين جره بالإضافة، وعلاقة الفاعل في المعنى أن يصلح فاعلاً عند جعل أفعل التفضيل فعلاً له، وعلاقته الأخرى أن لا يكون المفضل بعضاً من التمييز، أي ألا يكون المنصوب بعد اسم التفضيل من جنس ما قبله، فإن كان من جنس ما قبله تعين جره إلا إن أضيف أفعل التفضيل إلى غيره، فإنه يُنصب حينئذ[٥].

والآيات التي جاء فيها التمييز بعد اسم التفضيل هي ست آيات:

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[٦]، (حديثاً) التمييز يصلح أن يكون فاعلاً، والتقدير: صدق حديثه. كما أنه ليس من جنس ما قبله؛ لهذا انتصب على التمييز ولم يجر بالإضافة. والتقدير: لاأحد أصدق من الله حديثاً.

---

[١] غافر: ٧.
[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤: ٩١، وانظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٩: ٢٣٨.
[٣] الأنعام: ١٦٤.
[٤] الأعراف: ١٤٠.
[٥] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢: ٥٢٨.
[٦] النساء: ٨٧.

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾[١]، (شهادة) التمييز يصلح أن يكون فاعلاً، والتقدير: كبرت شهادته. وهو ليس من جنس ما قبله، فالشهادة ليست من جنس (شيء). وقد جاء التمييز هنا لنسبة الأكبرية إلى الشيء، والشيء موضوع مكان الله[٢]،والمعنى: الله أكبر شهادة.

- قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾[٤]، (خلقاً) التمييز وهو ليس من جنس (هم ،أنتم)، لهذا انتصب على التمييز، وذلك لنسبة أشدية الخلق إلى من خلقنا، والتقدير: أخلقكم أشد أم خلق من خلقنا الذي سمعتم وصفه. ويدخل تحت (من خلقنا) خلقه للسماوت والأرض وما بينهما والملائكة والشياطين[٥].

ولكن هناك مشكلاً في آيتين، هما: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ ...إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ... ﴾[٧]، حيث جاء التمييز (ذكراً، خشية) من جنس ما قبله (ذكركم، خشيتكم). وهذا لايتعين فيه النصب، بل الجر بالإضافة؛ لأننا لا نقول: (ذكركم أشد ذكراً) ، ولا (خشيته أشد خشية)؛ لأن التمييز من جنس ما قبله. وأفعل التفضيل يضاف إلى ما بعده إذا كان من جنس ما قبله. وهذا المشكل ذهبوا فيه النحاة والمفسرون مذاهب، وهي:

١- أن يجعل الذكر ذكراً على المجاز كما قالوا: شاعر شعر.

٢- أنه منصوب بإضمار فعل الكون، والكلام محمول على المعنى، والتقدير: أو كونوا أشد ذكراً لله منكم لآبائكم. ودل على هذا المعنى قوله تعالى: (فاذكروا الله)، أي كونوا ذاكريه.

---

[١] الأنعام : ١٩.

[٢] هناك خلاف في إطلاق لفظ (شيء) على الله، وجمهور المفسرين يجيزون ذلك. انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٤: ٤٥٨- ٤٥٩.

[٣] الصافات: ١١.

[٤] النازعات: ٢٧.

[٥] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، جج٢٣: ٩٥.

[٦] البقرة: ٢٠٠.

[٧] النساء: ٧٧.

٣- أن يكون (أشد) منصوباً على الحال، وهو نعت لقوله: (ذكراً) لو تأخر، فلما تقدم انتصب على الحال، والتقدير: (أو ذكراً أشد)، يعني: من ذكركم آباءكم، ويكون (أو ذكراً أشد) معطوفاً على محل الكاف من (كذكركم)[١].وهذه الأوجه تقال في (أشد خشية).

والوجه الأخير هو الأقرب إلى معنى الآية؛ لأن المطلوب منهم: أن يذكروا الله ذكراً يُماثل ذكر آبائهم أو أشد.

ومجيء الاسم بعد أفعل التفضيل منصوباً يُعطي التركيب دلالتين، وذلك بجعل التركيب يحتمل خبرين.

توضيح ذلك: أن قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[٢]يحتمل خبرين: الأول: أن الكلام تم واكتمل عند (ومن أصدق من الله) على معنى (لا أحد أصدق من الله). والثاني: أنه لما انصرف الذهن عن الحديث قال: (حديثاً)،فهو أبهم ثم وضّح ليشوّق السامع أكثر وليؤكد صدق حديثه[٣]؛ ذلك أن الآية تشير إلى جمعهم يوم القيامة، وهذا الجمع لا شك فيه، وهذا حديث صادق لا يشك فيه أحد، ثم جيء بـ(حديثاً) التمييز الذي شمله التركيب (ومن أصدق من الله) لتأكيد أن هذا الصدق للحديث، فهو شمل بأنه صادق في كل شيء ثم خصص هذا الصدق بالحديث. فالتمييز أعطى دلالتين: دلالة عامة: وهي صدقه بكل شيء. ودلالة خاصة: وهي صدقه بالحديث الذي تتشوق النفس إلى معرفته.وهذا ينطبق على بقية الآيات .

والتمييز بعد أفعل التفضيل محوّل في جميعها عن مبتدأ:

- فـ(ومن أصدق من الله حديثاً)، تقديره: حديث الله أصدق من كل حديث.
- و(أي شيء أكبر شهادة)،تقديره:خلق الله للسماوات والأرض وما بينهما أشد من خلق الإنسان.
- و(أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها)، تقديره: خلق السماء أشد من خلق الإنسان.

إلا في آيتي: (البقرة ٢٠٠)، و(النساء ٧٧)، فهما غير محولين.

- **التمييز بعد كفى:** وجاء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[٤]، لإثبات استحقاق فاعل كفى وهو (الله) بهذا الوصف(التمييز) دون غيره، كما يؤدي دلالة أخرى وهي تمكين هذا المعنى في ذهن السامع، إضافة إلى التشويق المستفاد من الإيضاح بعد الإبهام[٥].

---

[١] انظر:العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن:٨٣، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٢: ٣٠٧- ٣٠٩.
[٢] النساء: ٨٧.
[٣] انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢: ١١٧.
[٤] النساء: ١٧١.
[٥] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥: ٧٣.

الأوجه الإعرابية في بعض آيات التوحيد

يُعرض في هذا العنوان بعض آيات التوحيد ذات الأوجه الإعرابية المتعددة، والمعنى المترتب على كل وجه، ثم نختار الوجه الأقرب إلى المعنى التوحيدي ، مع ذكر سبب هذا الاختيار. وقد يحتمل المعنى الأوجه الإعرابية جميعها في بعض الآيات المختارة، والآيات المختارة للإعراب هي:

١. **(لا إله إلا الله ، (هو، أنا، أنت، الذي))**: (لا): نافية للجنس، و(إله): اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، و(إلا): أداة حصر. واختُلف في إعراب الاسم الواقع بعد (إلا)، حيث قدم النحاة والمفسرون أربعة أوجه في إعرابه [١]، وهي:

أ- بدل من محل (لا) واسمها؛ لأن محلها الرفع على الابتداء، وهو مذهب سيبويه.

ب- بدل من اسم (لا) وهو (إله) على المحل، إذ محله الرفع على الابتداء.

ج- بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، فهو بدل مرفوع من ضمير مرفوع، ذلك الضمير عائد على اسم (لا)، والتقدير: لا إله كائن أو موجود إلا الله، فهناك ضمير في الخبر عائد إلى إله، و(هو) بدل من هذا الضمير، وهو رأي أبي حيان الأندلسي.

د- الكلام تام ولا حذف (أي للخبر)، والأصل: الله إله مبتدأ وخبر، ثم جيء بأداة الحصر وقُدّم الخبر على الاسم ورُكّب مع (لا) كما ركب المبتدأ معها في نحو: لا رجل في الدار، فيكون لفظ الجلالة (الله) مبتدأً مؤخراً، و(إله) خبراً مقدماً. وهو رأي الزمخشري، الذي عاد بعدها في المفصل وصرّح بحذف الخبر.

أما الخبر فأغلب النحاة والمفسرين قالوا: إن الخبر محذوف تقديره: (في الوجود)، أو (لنا)، أو (موجود)، أو(كائن). ومنهم من اعترض على هذا التقدير: بأن النفي عام متفرق، وتقيده بالوجود تخصيص له، ولنا أكثر تخصيصاً، وإذا كان كذلك لم يبق النفي عاماً، وحينئذٍ لا يكون هذا القول إقراراً بالوحدانية على الإطلاق. ومنهم من قال: إن تقدير (في الوجود)، أو (لنا) يُثبت تعدد الآلهة.

ولكن آلهة الكفار موجودة، فقد كانوا يعبدون الأصنام، ويطيعون هواهم كطاعة الإله[٢]، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[٣]، فالآلهة غير المؤثرة التي لا تضر ولا تنفع موجودة،

---

(١) انظر:العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن:٧٠، وابن يعيش، شرح المفصل، ج١: ٢٠٧، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٢: ٧٤- ٧٦، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج١: ٢٠٣ – ٢٠٦.

(٢) انظر : الشوكاني، فتح القدير، ج٤ :١٠٤

(٣) الفرقان: ٤٣.

ولكن وجودها ذاتي غير فعّال أو مؤثر، وهذا لا ننكره، و–في رأيي– أقوى في الدلالة التوحيدية؛ لأن المقصود بـ(لا إله إلا الله): نفي الآلهة غير المؤثرة وإثبات القدرة المؤثرة في الخلق والملك والتصرف لله تعالى. فأنت عنده تُثبت وجوداً ذاتياً لهذه الآلهة لا تُثبت تعددها؛ لأن هذه الآلهة باطلة، فأنت تنفي تأثيرها وتُثبت القدرة المطلقة لله تعالى.

وقد مِلنا سابقاً إلى رأي الرازي، وهو جعلها حقيقة عامة دخل عليها حرف النفي[١]، وهو أقرب إلى تحقق المعنى المراد من (لا إله إلا الله) وهو: (الإله الحق هو الله).

فالدلالة المرادة من لفظ الشهادة تؤيد رأي الرازي. أما الصنعة النحوية فلا تجيز ذلك، إذ يُعترض عليه بأنه خالف اللسان العربي، وذلك بأن جُعل مبتدأ من غير خبر.

وللتوفيق بين رأي الرازي والصنعة النحوية، نستأنس برأي الزمخشري، ونقول: (الله إله) مبتدأ وخبر، ثم قُدم الخبر على المبتدأ وحصر بطريقة النفي والاستثناء لإعطاء التركيب دلالة أقوى في إثبات ألوهيته سبحانه الحقة ونفي ألوهية غيره الباطلة.

٢. **(وما من إله إلا الله)**: (ما): نافية، (من): حرف جر زائد، (إله): مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ، و(إلا): أداة حصر (أداة استثناء ملغاة غير عاملة)، و(الله): فيه وجهان: الأول: خبر. والثاني: بدل من (إله) على المحل، والخبر محذوف تقديره: (في الوجود)، أو (لنا)، أو (موجود)، أو (كائن)[٢].

في هذه الآية قال النحويون والمفسرون بالوجهين، وذلك لعدم وجود (لا) النافية للجنس، فهم أرادوا الاطراد لقاعدتهم النحوية.

٣. **(ما لكم من إله غيره)**: (ما): نافية ، و(لكم): خبر مقدم، أو تبيين وتخصيص والخبر محذوف تقديره: في الوجود. واختلف في إعراب (غيره)، حسب القراءة:

أ– قراءة الرفع: نعت أو بدل من محل (إله).

ب– قراءة الجر: نعت أو بدل من لفظ (إله).

ج– قراءة النصب: على الاستثناء.

وقراءة الرفع والجر أفصح[٣].

---

[١] انظر صفحة (٥) من هذا البحث.

[٢] انظر:العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن: ١٢٦، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٣: ١٩٢.

[٣] انظر: وأبا حيان، البحر المحيط، ج٥: ٨٢.

٤. **(قال أغير أبغيكم إلهاً...)**: في إعراب (غير) أربعة وجوه[١]، وهي:

أ- مفعول به مقدم لِـ(أبغيكم)، و(كم): منصوبة بنزع الخافض أي: لكم، و(إلهاً): تمييز. والتقدير: أبغي لك غير الله إلهاً.

ب- حال، و(إلهاً): مفعول به، والتقدير: أبغي لكم إلهاً غير الله. فـ(غير) صفة، فلما تقدم انتصب على الحال.

ج- منصوب بفعل محذوف تقديره: أطلب لكم معبوداً غير المستحق للعبادة. واعترض عليه بأن (أبغي) مفرغ له أو لقوله (إلهاً).

د- منصوب بأبغي مضمرة يفسرها الظاهر، وأعترض عليه بأن المفسرة لا رابط فيها لا من ضمير ولا من ملابس يربطها بغير، فلو كان التركيب أغير الله أبغيكموه لصح.

٥. **(قل أغير الله أبغي رباً)**:(غير الله):مفعول به منصوب مقدم لـ(أبغي)،(رباً): تمييز أو حال.

٦. **(أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)**: في إعراب (غير الله) ثلاثة أوجه[٢]:

أ- منصوب بـ(أعبد)، و(تأمروني): اعتراض.

ب- منصوب بـ(تأمروني)، و(أعبد): بدل اشتمال من (تأمروني)، والتقدير: أفغير الله تأمروني عبادته، بمعنى: أتأمروني بعبادة غير الله.

ج- منصوب بفعل محذوف : أي أفتلزموني غير الله، وفسره ما بعده، وقيل: لا موضع لـ(أعبد) من الإعراب، وقيل هو حال.

٧. **(بل <u>الله فاعبد</u> وكن من الشاكرين) و (يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة <u>فإياي فاعبدون</u>) و(وربك فكبر...)**

في نصب الاسم (الله، إياي، ربك) وجوه[٣]:

أ- جمهور النحويين البصريين يقولون : إن الناصب لهذا الاسم هو فعل مضمر مماثل للفعل المذكور أو مناسب له.

ب- ذهب الكسائي إلى أنه منصوب بالفعل المتأخر، وأن الضمير ملغى.

---

(١) انظر:العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن: ٢٥٤، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٥: ١٥٩.
(٢) انظر:العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن: ٤٥٨ – ٤٥٩.
(٣) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢: ٤٠٥.

ج-ذهب الفراء إلى أن الاسم والضمير منصوبان بالفعل المذكور،لأنهما في المعنى لشيء واحد.

فالتقدير عند الجمهور يصبح: (اعبد الله فاعبد)، و(اعبدوا إياي فاعبدون)، و(كبّر ربك فكبر). وهذا التقدير يُفسد المعنى والتركيب، ألا ترى أن الجملة تتمزق عند مثل هذا التقدير. وتقدير الفراء مقبول في مثل هذا التركيب، وغير مقبول في غيرها في نحو:(محمداً مررت به).

فتقدير الجمهور يتمشى مع الصنعة الإعرابية إلا أنه مُفسد للمعنى وللجملة، وما ذهب إليه الفراء والكسائي مفسد للصنعة الإعرابية ولا يستقيم في كثير من التعبيرات.

وإذا كانت هذه التقديرات تُفسد المعنى والتركيب، فلمَ لا نقول: إن الاسم منصوب لأن الأصل في المفعول به أن يكون منصوباً، وهكذا نطقت به العرب، كما أن الأصل بالفاعل أن يكون مرفوعاً، ولا داعي لهذه التقديرات.

وهناك مشكل آخر، وهو دخول الفاء على ما بعد الاسم (فاعبد، فاعبدون، فكبر)، وهو يذهبون إلى:

أ- أن هذه الفاء واقعة في الجواب؛ جواب شرط أو جواب طلب للدلالة على الشرط أو الطلب المحذوفين، وهذا مذهب سيبويه والزمخشري.

ب- الفاء زائدة بين المؤكد والمؤكد، والاسم الجليل منصوب بفعل محذوف، وهذا الفعل يقدّر مؤخراً ليفيد الحصر. وهذا مذهب الكسائي.

ج- ذهب ابن جني إلى أنها زائدة، وربك مفعول به مقدم.

فيصبح التقدير على مذهب سيبويه (واقعة في جواب الطلب): (تنبه فاعبد الله)، و(تنبهوا فاعبدوا إياي)، و(تنبه فكبر ربك)، ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً فأصبحت (فاعبد الله)، و(فاعبدوا إياي)، و(فكبر ربك)، واستنكروا الابتداء بالفاء التي من شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه، فقدموا المفعول فصارت الفاء متوسطة لفظاً ودالة على المحذوف.

أما على مذهب الزمخشري، وهي الواقعة في جواب الشرط فيصبح التقدير: (إن كنت عابداً أو عاقلاً فاعبد الله)، و(إن أرضي واسعة، فإن لم تخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها)، و(وما كان فلا تدع تكبيره)، ثم حذف الشرط، وعوّض من حذفه تقديم المفعول به مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص.

وعلى مذهب الكسائي: (الله اعبد فاعبد)، و(فإياي اعبدوا فاعبدون)، و(ربك فكبر)[١].

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٤٦٥، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٣٢٥، والآلوسي، روح المعاني، ج٢١: ١٠، وج٢٤: ٢٤، بخصوص مذاهب النحاة والتقديرات.

ولسنا بحاجة إلى تقدير شرط أو طلب لتفسير هذه الفاء؛ لأن المعنى لا يحتاج إليه، فالمعنى في الآيتين الأولى والثانية: تخصيص الله بالعبادة. وفي الثالثة: تخصيص الله بالتكبير. فقدم المفعول به للتخصيص، ثم دخلت الفاء لتوكيد هذا التخصص. فالفاء مؤكدة لهذا التخصيص المستفاد من التقديم.

٨. (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ...): في إعراب هذه الآية وجهان:

الأول: (هو):مبتدأ ، و(الذي): خبره، و(في السماء): متعلق بـ(إله) لتضمينه معنى معبود، أي: وهو الذي معبود في السماء ومعبود في الأرض. و(إله) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، والجملة صلة الذي، والعائد محذوف لطول الكلام . والمقصود:إثبات إلوهيته، لا كونه في السماوات والأرض .

الثاني: يُحتمل أن يكون (في السماء) صلة الذي، و(إله) خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان للصلة. والمعنى: كونه في السماء على سبيل الإلوهية والربوبية لا على سبيل الاستقرار[١].

٩. (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا): (إلا): بمعنى (غير) صفة لـ(آلهة) ظهر إعرابها على ما بعدها. والتقدير: (لو كان فيهما آلهة غيرُ الله)، والمعنى: لو كان فيهما آلهة متصفة بكونهم غير الله لزم الفساد. ولا يصح أن تكون استثنائية؛ لأن ذلك يؤدي إلى فساد المعنى، إذ المعنى بالاستثناء يصبح: لو كان فيهما آلهة ولم يكن الله منهم لفسدتا، بمعنى أن فساد السماوات والأرض امتنع لوجود الله مع الآلهة. وهذا فيه إثبات إله مع الله. ولا يُعرب ما بعد (إلا) بدلاً؛ لأنه حيث لا يصح الاستثناء لا تصح البدلية، ثم إن الكلام موجب فلا يجوز البدلية ولو صحّ الاستثناء؛ لأن النصب واجب في الكلام الموجب التام. وإذا جُعل بدلاً يصبح التقدير: لو كان فيهما إلا الله لفسدتا. وإذا لم تصلح البدلية والاستثناء تعين أن تكون (إلا) بمعنى (غير). كما أن البدلية والاستثناء لا تُفيد انتفاء التعدد، ويُشير إلى دخول الله ضمن هذه الآلهة[٢].

ويبدو لي أنّ (إلا) هي المرادة لسياق الآية؛ لأنها تؤدي عدة معانٍ[٣]،لا تؤديها (غير). واعتماداً على هذه المعاني تكون (إلا) أوسع من (غير) في الدلالة على نفي التعدد عنه – سبحانه– وأقوى في الدلالة على التوحيد.

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٢٧٠، والعكبري، إملاء ما منّ به الرحمن: ٤٧١، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٩: ٣٩١.

[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ١١١، والعكبري، إملاء ما منّ به الرحمن: ٣٧٨، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٤١٨– ٤٢٠، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج٤: ٨٨، والآلوسي، روح المعاني، ج١٧: ٢٣–٢٤.

[٣] انظر الفصل الخامس، المبحث الثالث من هذه الدراسة: من مظاهر الإعجاز اللغوي: ٢٦٤.

١٠. **(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)**: في إعرابها وجوه[١]، وهي:
أ- أن يكون (ادعوا) بمعنى (سمّوا)، فيكون متعدياً إلى مفعولين الأول محذوف، والثـاني هـو (الله)، والتقدير: سموا ربكم أو معبودكم الله.(أو):عاطفة تفيد التخيير، والتقدير:أو سموه الرحمن.
ب- أن يكون (ادعوا) بعنى اذكروا، فيكون متعدياً إلى واحد، والتقدير: اذكروا الله في دعائكم أو اذكروا الرحمن، فالمسمّى واحد.
ج- أن يكون على معناه بمعنى النداء، فيتعدى إلى المفعول الثاني بالباء، ثم حذفت البـاء، فهـو متعدٍ إلى واحد بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر، وهو مقصور على السـماع، فيكـون المفعـول الأول محذوفاً والثاني هو (الله، الرحمن)، والتقدير: ادعوا ربكم أو معبـودكم بـالله أو ادعـوه بالرحمن. والمعنى: إن دعوتم الله فهو اسمه وإن دعوتم الرحمن فهو صفته.

وإبقاؤه على دلالته من غير تأويله بمعنى (سمّوا)، أو (اذكروا) أنسب لسـبب النـزول، وأقوى في دلالته على التوحيد؛ إذ إن الدعاء بمعنى النداء، فيه تذلل إلى الله، ولجوء إليه لقضاء ما يحتاجه الداعي.

١١. **(فأرسلنا فيهم رسولاً "أن اعبدوا"[٢] الله مالكم من إلـه غيـره...)**: فـي إعـراب (أن) وجهان[٣]:
الأول: أن تكون مفسرة؛ لأن في الإرسال معنى القول دون حروفه، أي قلنا لهـم علـى لسـان الرسول: اعبدوا الله، ثم إن إرسال الرسل هو للتبليغ.
الثاني: أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن اعبدوا.

١٢. **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق...)**

(إذا): حرف جواب مهمل، وهي لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، وهو -هنا- لم يتقدمه شرط، ولا سؤال سائل. وقد عللوا ذلك بأن الشرط محذوف تقديره: لو كان معه آلهة. حذف لدلالة قوله: (وما كان معه من إله) عليه[٤].

واللام في (لذهب) واقعة في جواب الشرط (لو) المحذوفة.

---

[١] انظر:أبا حيان،البحر المحيط،ج٧: ١٢٦- ١٢٧،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٥: ٢٣٧.
[٢] وردت (أن اعبدوا) في أربع آيات من آيات الدراسة، ولها نفس الإعراب في جميعها، وهي: النحل: ٣٦، والمؤمنون: ٣٢، والنمل: ٤٥، ونوح:٣.
[٣] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٥٥٩، والدرويش، إعراب القرآن، ج٥: ١٩٨.
[٤] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٢٠٣، و أبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٥٨١.

١٣. **(قل هو الله أحد):** في إعراب (هو) وجهان:

الأول: أنه ضمير الشأن مبتدأ، والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر (هو).

الثاني: أنه ضمير عائد على الربّ؛ لأنه يُروى في سبب نزول هذه الآية أن اليهود قـــالوا: يـــا محمد صف لنا ربك وانسبه. أو قالوا له: أمن نحاس هو أم من حديد؟ فنزلت. فيصبح التقـــدير: ربّي الله، مبتدأ وخبر، و(أحد): خبر ثانٍ أو بدل من (الله)، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقـــدير : هو الله[١].

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٨٢٢، و أبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٥٧١.

الفصل الرابع
التوحيد على المستوى الدلالي والنفسي

المبحث الأول

الأداء والمعنى في آيات التوحيد

مقدّمة

يتناول هذا المبحث الإضافة من حيث الدلالة الأسلوبية لها، ثــم الفــرق الــدلالي بــين المصدر المؤول والصريح، فلمَ عبّر في سياق الآيات المختارة بالمصدر المــؤول ولــم يعبّــر بالمصدر الصريح؟ وما دلالة هذا الاختيار في السياق؟ ثم نعرض لدلالة بعض المفردات، نحو: (ربّ، إله)، و(واحد، أحد)، و(رحمن، رحيم).

المطلب الأول: الإضافة

يبحث هذا العنوان نوعي الإضافة : اللفظية، والمعنوية في آيات التوحيد، وما اكتسبه المُضاف من المُضاف إليه ، وهو التعريف، أو التخصيص، أو التخفيف.ثم معنى الإضافة المعتمد على تقدير حرف جر بين المضاف والمضاف إليه، وهي: المُلكية والاختصاص والاستحقاق، أو البيانية، أو الظرفية، حيث تُعرض الإضافات التي يُمكن تقديرها بحرف جر، والإضافات التي لا يُمكن تقديرها بأي حرف من الحروف التي قال عنها النحاة، وأهم الدلالات التوحيدية للإضافة، فجدول توضيحي لخلاصة ما تحدثنا عنه في هذا العنوان، ثمّ ملاحظات ذيّلنا بها هذا الجدول.

والإضافات التي جاءت في آيات التوحيد كثيرة ، اختير منها ما يكون المُضاف أو المضاف إليه اسماً أو صفةً لله تعالى، أو أن يكون المُضاف إليه ضميراً يعود على الله، أو على صفته، أو اسم من أسمائه، أو الإضافة التي تدل على قدرة الله.

مفهوم الإضافة

هي نسبة تقيدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر، ويسمّى الأول مضافاً ولا يُنوّن ويُعرَب حسب موقعه من الجملة، ويسمّى الثاني مضافاً إليه وهو مجرور دائماً[١].

والعامل في المُضاف إليه على الأرجح بين النحاة هو المضاف، ومنهم من ذهب إلى أنه الحرف المقدّر بين المضاف والمضاف إليه[٢].

نوعا الإضافة : يقسم النحاة الإضافة إلى نوعين ،هما:

١. محضة(معنوية) ٢.غير محضة(لفظية)

١. الإضافة المحضة (المعنوية) : وهي إضافة غير الوصف، أو إضافة الوصف إلى غير معموله، وهي تفيد التعريف إذا كان المضاف إليه معرفة، أو التخصيص إذا كان نكرة، وسميت محضة لأنها خالصة من تقدير انفصال نسبة المضاف من المضاف إليه، ومعنوية لأن فائدتها راجعة إلى المعنى، أي تعريف المضاف أو تخصيصه[٣].

---

[١] انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢: ٢٦٤،والسيوطي، الهمع، ج٢: ٤١١.
[٢] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٣: ٤.
[٣] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج١: ٤٨٩، ٤٩٣، و الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢: ٢٦٨، و والسيوطي، الهمع، ج٢: ٤١٤.

والمضاف في الإضافة المعنوية إما أن يكون مصدراً ،أو ظرفاً ،أو اسماً جامداً، أو اسم تفضيل، وهذا توضيح ذلك:

أ- المضاف مصدر: الأكثر وروداً في إضافات الدراسة، حيث جاء بلفظ (رب) مضافاً إلى الضمير، أو مضافاً إلى اسم ظاهر، وجاء بمصدرٍ تنزيهي (سبحان) مضافاً إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى الضمير العائد إلى الله (سبحانه، سبحانك)، ومصدر تنزيهي آخر هو(غفرانك)، وقد جاء بمصدر دال على قدرة الله مضافاً إلى ضمير جماعة المخاطبين، نحو: (بعثكم، خلقكم،...)، وغيرها من الإضافات الدالة على التوحيد.

ويبدو أن كثرة مجيء المضاف مصدراً، يُكسب الإضافة المبالغة بالوصف المفهوم من معنى المصدرية(١)، وهي الدلالة على الحدث من غير التقيد بأي زمن، بمعنى أن أحد ركني الإضافة (المضاف، أو المضاف إليه)، يجب أن يتلبّس بالآخر في كل زمن، أي دوام واستمرار اتصاف أحدهما بالآخر، من غير التقيّد بزمن. فقولنا : (ربنا، ربي، ربكم، ربهما)، اتصاف العبد(المضاف إليه) بالربوبية لله تعالى في كل وقت. وفي (رب السماوات، رب العالمين، رب المشرق،...)، إثبات ملكيته سبحانه وتعالى لهذه المخلوقات في كل زمن، أي يجب أن تعترف وتقرّ أيها العبد بربوبيتي لهذه المخلوقات ما دمتَ حياً. وكذلك التسبيح في (سبحانك، سبحانه، سبحان الله)، والمغفرة في (غفرانك)، وذكره وحمده سبحانه في (ذكر ربهم، حمد ربهم)، يجب أن تكون – التسبيح، المغفرة، وذكر الله وحمده – في كل الأوقات، ليس في وقت دون آخر.

ب- المضاف ظرف: تنوع الظرف في آيات الدراسة المختارة، فجاء للمكان مضافاً إلى ضمير عائد إلى الله تعالى، نحو:(دونه، معه، دوننا،لدنك)،أو إلى اسمه أو صفته سبحانه، نحو:(معَ الله، دون الرحمن، عند الله، عند ربهم، عند ربه)، وقد جاء للزمان مضافاً إلى جملة فعلية، نحو:(إذا يشاء، إذا دعاه، إذ نجانا)، أولمفرد دلّ فيه السياق على الزمن، نحو:(بعد خلق، بعد الله، بعد إذنه،...) .

ووجه إفادة التوحيد في إضافة الظرف، نفي الشريك عنه في كل مكان، نحو: (دونه، معه،...) أو إثبات قدرة الله في تحقيق ما يشاؤه في أي زمن أراده، نحو:(إذ يشاء،إذ وقفوا،...).

ج- المضاف اسم جامد: الاسم الجامد: وهو الذي لا يؤخذ من الفعل. وقد أضيف في الدراسة للدلالة على وصفٍ لله تعالى، نحو: (ذي الطول، ذي العرش، ذي الجلال،...)، أو نفي الشريك عنه، نحو:(غير الله، غيره، وحده،...)، أو للدلالة على قدرة الله في السياق، نحو: (يد الله، يمينه، يدي،...).

---

(١) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١: ١٦٦

وقد جاء من ضمن الأسماء الجامدة اسم موغل في الإبهام ، وهو (غير)،حيث ورد مضافاً إلى لفظ الجلالة (الله)، أو الضمير العائد إليه –سبحانه–،للدلالة على نفي الشريك عنه– سبحانه–مطلقاً، وإثبات تفرّده بالألوهية الواحدة. وهذا الاسم أضيف إلى معرفة، ولكنه لم يكتسب التعريف، بل بقي على تنكيره وإبهامه، والسبب أنه يأتي نعتا للنكرة، كما في إضافات الدراسة، علاوة على أنه اسم يفيد العموم، جاء في شرح الرضي على الكافية: "وإنما لم يتعرّف غيرك؛ لأن مغايرة المخاطب ليست صفة تخصّ ذاتاً دون أخرى، إذ كل ما في الوجود إلا ذاته موصوف بهذه الصفة "[١]. فقوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾[٢] ،(غير الله)عامة،فكل ما سواه–سبحانه– فهو غيره ، و(غير) بهذا المعنى تعطي دلالة توحيدية أقوى ، إذ يصبح المعنى:(كل ما هو غيره–سبحانه– لا يستطيع أن يعيد سمعكم وأبصاركم إذا أخذتهم)، أي:(لا أحد إلا الله يعيدهم)، فهو نفي ثمّ إثبات، وهو عين دلالة:(لا إله إلا الله).

قد يقال :إن (غير)أضيفت إلى معرفة، ولم تكتسب منها التعريف، فهل تفيد التخصيص؟ أقول: إن(غير) حالة خاصة، لا تستفيد التعريف أو التخصيص من إضافتها، فالتعريف للأسباب التي ذكرناها سابقاً، أما التخصيص فلأن الأصل في اكتساب المضاف من المضاف إليه التخصيص، أن يكون المضاف إليه نكرة، وهو–هنا–معرفة، فدلّ بذلك على أنها لا تفيد التخصيص. إذن فهي باقية على تنكيرها وإبهامها، وهي حالة خاصة.

د– المضاف اسم تفضيل: في إضافة اسم التفضيل خلاف بين النحاة، هل إضافته محضة أم لا؟ والراجح أنها إضافة محضة؛ لعدم وروده تمييزاً، ولا حالاً، ولا بعد رُبّ وال، وهذه لا تكون إلا نكرة، فدل على أن أفعُل التفضيل لا يكون نكرة، فإضافته محضة. أما غير المحضة فالمضاف نكرة وإن أضيف إلى معرفة[٣].

وأفعُل التفضيل إما أن يكون بعض المضاف إليه، فيكون مفضلاً في هذه الصفة على جميع أفراد المضاف إليه ممن بقي بعده. أو أن يكون مفضلاً على جميع أفراد نوعه مُطلقاً، ثم تُضيفه إلى شيء للتخصيص، فيكون هو الأفضل في جميع أفراد نوعه في هذه الصفة[٤].

---

[١] انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢: ٢٧٢
[٢] الأنعام : ٤٦
[٣] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣: ٥٢٣– ٥٢٤، والسيوطي، الهمع، ج٢: ٤١٦.
[٤] انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢: ٣١٤–٣١٧.

وجاء اسم التفضيل في الدراسة مضافاً إلى معرفة للتفضيل المطلق، فهو ليس بعضاً من المضاف إليه، جاء في البرهان:" إذا أضيف إلى جنسه – يقصد أفعُل التفضيل– لم يكن بعضه، كقولك: زيدٌ أشجع الأسود وأجود السحب، فيصير المعنى: زيدٌ أشجع من الأسود وأجود من السحب؛ وعليه قوله تعالى: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، ﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، و﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، أي: خيرٌ من كل من تسمى برازق، وأحكم من كل من تسمى بحاكم[١]" ، فالإضافة المعنوية لاسم التفضيل حققت دلالة توحيدية من خلال اتصافه – سبحانه – المطلق بهذه الأوصاف.

وقد جاءت إضافة واحدة لاسم التفضيل في الدراسة وصفاً للرسول–صلى الله عليه وسلم–، وهي: (أول العابدين)، وتعني أنه –صلى الله عليه وسلم– الأول من بين جميع خلقه الذي يتصف بالعبودية لهذا الولد إن صح أن له ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما المضاف إليه فقد جاء مفرداً في أغلب إضافات الدراسة إلا في ست إضافات جاء جملة فعلية ،وإليك بيان ذلك:

أ. المضاف إليه مفرد: تنوع المفرد في إضافات الدراسة، فجاء معرفاً بأل،نحو: (رب العالمين،رب المشرق،رب السماوات،دون الرحمن، خلق السماوات،...)، وضميراً للغائب،نحو: (ربه،ربهم، سبحانه،غيره، معه،دونه،أمره،وحده،...)، وضميراً للمخاطب،نحو: (سبحانك،ربك،ربكم،خلقكم،بعثكم،...)، وضميراً للمتكلم،نحو: (ربي،ربنا،...)،ونكرة في إضافتين،وهما: (رب كل شيء،بعد خلق)، واسم إشارة في إضافة واحدة،وهي:(رب هذا البيت).

ب. المضاف إليه جملة فعلية: الإضافات التي جاء فيها المضاف إليه جملة فعلية جميعها اكتسب فيها المضاف التعريف؛ لأن الفاعل في الفعلية معرفة، وإذا كان معرفة تعرّف المضاف، وإذا كان نكرة تخصص المضاف[٢]. فقوله تعالى: ﴿إِذَا يَشَآءُ﴾:الفاعل هو لفظ الجلالة (الله) معرفة، فالمضاف اكتسب التعريف، وهكذا في جميع إضافات الدراسة التي فاعلها معرفة، فهي للتعريف.فالإضافة إلى الجمل تكون في اللفظ إلى ظاهر الجملة، وفي المعنى إلى المصدر[٣]. فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ معناها: (إذ أخذُ ربك) بإضافة المصدر إلى (ربّ).

---

[١] الزركشي، البرهان ، ج٤: ١٩١–١٩٢.
[٢] انظر: الأسترابادي، شرح الرضي على الكافية، ج٤: ١١٦.
[٣] انظر: المصدر السابق، ج٤: ١١٥.

ولكن هناك اختلافاً في الدلالة ، فدلالة المصدر الثبوت لأنه اسم، أمـــا الجملـــة الفعليـــة فدلالتها التجدد والحدوث، وهذا –في رأيي– يناسب المعنى الذي عُبر عنـــه بالجملـــة الفعليـــة، فمشيئة الله (إذا يشاء)، ودعاء المضطر (إذا دعاه)، وأخذ ربك(إذ أخذ ربك)، كلها معانٍ متجددة غير ثابتة ، فالله يشاء في أي وقت وفي أي مكان حسب إرادته،والدعاء يجب أن يتجدد ويستمر، وهكذا في بقية الإضافات،وهذه المعاني لا يناسبها إلا الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث.

– **فائدة الإضافة المعنوية** : الإضافة المعنوية تفيد التعريف أو التخصيص،وفق المضاف إليه.

١. التخصيص: تأتي الإضافة المعنوية للتخصيص، إذا كان المضـــاف إليـــه نكـــرة. ومعنـــى التخصيص تقليل الاشتراك، بخروج المضاف من الإبهام والشيوع وتمييـــزه بالمضـــاف إليـــه، فقولنا: (غلام رجل)، (غلام) خرج عن شيوعه بعد أن كان يدل على كل غلام، ومُيز بالمضاف إليه (رجل) عن أن يكون (غلام امرأة)[1]. وقد أفادت الإضافة التخصيص في آيتين مـــن آيـــات الدراسة، وهما: (رب كل شيء)،و(بعد خلق).

٢. التعريف: وتفيد الإضافة المعنوية التعريف إذا كان المضاف إليه معرفة. والتعريف بالإضافة في آيات الدراسة كالتعريف بـــ(أل)، فقد تكون للعهد، وقد تكون للجنس. وضابط التي للعهـــد أن يدل المضاف على واحد بعينه، كإضافة (رب) إلى الضمير، أو الظاهر، نحو: (ربي،ربنـــا،رب العرش،رب السماوات،...)، فالمضاف في هذه الإضافات هو واحد بعينه وهو الرب المعبود.

أمّا التي للجنس فلا يُراد بها واحد بعينه بل هو لعموم الجنس.مثل: (آيات ربنا،غيره،مع الله،دون الله)، فغيره سبحانه كثير ليس المقصود به واحداً بعينه، بل كل ما دونه ســـبحانه فهـــو غيره، فهي لعموم الجنس، وآيات الله ليس المقصود بها آية بعينها بل جميع آيات الله.

وجميع الإضافات في آيات الدراسة المختارة جاءت للتعريـــف إلا الإضـــافتين اللتـــين ذكرناهما في التخصيص.

– **إضافات معنوية وليست لفظيـــة:** جاءت إضافات في آيات الدراســـة المختـــارة لفظيـــة؛ لأن المضاف فيها وصفٌ أُضيف إلى معموله،ولكنه فقد شرطاً من شروط الإضـــافة اللفظية،فعـــدّت معنوية، وهي:

١) (مالك يوم الدين): (مالك): اسم فاعل مضاف إلى معموله، فهي إضافة لفظية، ولكن الخلاف أنها وقعت نعتاً للمعرفة، والإضافة اللفظية وإن أضيفت إلى معرفة لا تكون نعتاً لمعرفة لأنهـــا نكرة، وقد اختلف المفسرون والنحاة في توجيـــه ذلـــك، وخلصـــوا إلـــى رأي مفـــاده أن اســـم

---

[1] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢: ٤٩٣.

الفاعل(مالك) لم يدل على الحال أو الاستقبال، وأنه بمعنى الماضي، أو على الـزمن المسـتمر، لهذا جاء وصفاً للنكرة[١].

٢) غافر الذنب، قابل التوب: (غافر)و(قابل) اسما فاعلين، أضيفا إلى معمولهما، إلا أنهما لم يعدا من الإضافة اللفظية؛ لأنهما وقعا نعتاً للمعرفة، ووجهوا ذلك بأنهما دالان على وصف ثابـت لله تعالى، فهو سبحانه المعروف بغافر الذنب وقابل التوب، فهما لا يدلان على الحال أو الاستقبال، ولا أي زمن، وإنما الثبوت والاستمرار، لهذا عدت معنوية[٢].

٣) عالم الغيب ، وخالق كل شيء : إضافة اسم الفاعل في هاتين الإضافتين، ليس فيهما دلالـة على الحال أو الاستقبال، أولنقل ليس فيهما دلالة على الزمن، بل همـا وصـفان مخصوصـان ثابتان لله تعالى، فهما ليس بمعنى سيعلم، أوسيخلق، بل هو موصوف بهذين الوصفين، فهما من صفات ذاته –سبحانه–[٣]. أضف إلى ذلك أن الفرق بينهما وبين(غافر الذنب، قابل التوب)، أنهما لم يأتيا وصفاً لمعرفة، فقد جُعلت الإضافة فيهما محضة لكونهما وصفين لمعرفة، وعللـوا ذلـك بأنهما وصفان ثابتان لله تعالى،لا دلالة لهما على زمن مُعين، وقياسا على هذا، فإن(عالم الغيـب ،وخالق كل شيء)، ينطبق عليهما ما ينطبق على(غافر الذنب، قابل التوب)، بكونهمـا لا دلالـة معهما على الزمن.

_ الإضافة المركبة

وهي التي يتضايف فيها أكثر من عنصرين، فيكون المضاف إليه تركيباً إضافياً.

وقد جاء في آيات الدراسة المختارة إضافة مركبة من إضافتين، وهذه الإضافات هـي :(رب آبائكم)، و(رب كل شيء)، و(سبحان رب السماوات)، و(خلق أنفسـهم)، و(لقـاء ربـه)، و(عبادة ربه)، و(وجه ربه)، و(عند ربهم)،و(عند ربه)، و(رحمة ربك)، و(ذكر ربهم)، و(آيـات ربنا)، و(حمد ربهم)، و(بعد إذنه).

وجاءت إضافة مركبة من ثلاث إضافات، وهي أكثر ما وصلت إليه الإضافة المركبـة في آيات الدراسة المختارة ، وجاءت في إضافتين، هما:(بعض آيات ربك)، و(بين يدي رحمته).

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف،ج١: ٥٥، و الأستراباذي، شرح الرضـي علـى الكافيـة،ج٢: ٢٨١–٢٨٢، وأباحيان، البحر المحيط،ج١: ٣٨، والسيوطي، الهمع، ج٢: ٤١٧.
[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف،ج٤: ١٥٢، والأستراباذي، شرح الرضي على الكافية،ج٢: ٢٨٨، وأباحيان، البحر المحيط،ج٩: ٢٣٣.
[٣] انظر: أباحيان، البحر المحيط،ج٨: ٥١٩

٢. الإضافة غير المحضة (اللفظية)

وهي إضافة الوصف إلى معموله،كإضافة اسم الفاعل ،واسم المفعول إلى معمولهما،إذا كانا دالين على الحال أو الاستقبال،فإن كانا للمضي فإضافتهما محضة،أو إضافة الصفة المشبهة ،وصيغ المبالغة إلى معمولهامطلقاً.والمضاف إضافة غيرمحضة تفيد التخفيف،فهي لا تفيد تعريفاً ولا تخصيصاً؛فلا تفيد تعريفا لأنها تصف النكرات ،ولا تخصيصاً؛لأن التخصيص حاصل قبل الإضافة[١]. وجاءت الإضافة لفظية في ثلاث إضافات،وهي:

أ)جامع الناس:إضافة اسم الفاعل (جامع) إلى معموله(الناس) إضافة غير محضة؛لأن اسم الفاعل دال على الاستقبال،فسبحانه سيجمع الناس يوم القيامة،وهذا الجمع في ذلك اليوم لا شك فيه[٢].

ووجه إفادة التخفيف فيها أنها على حذف التنوين، فـ(جامعُ الناس) بالإضافة أخف من (جامعٌ الناس) بالإعمال.وقد جاءت هذه الإضافة في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[٣].

ب) شديد العقاب: إضافة الصفة المشبهة (شديد) إلى معمولها (العقاب) إضافة غير محضة؛ لأنها لا دلالة لها على الزمن، فهي صفة ثابتة في موصوفها. وإضافة الصفة المشبهة تكون للتخفيف ورفع القبح؛ فالتخفيف يعني أن (شديدِ العقاب) بالإضافة أخف من (شديدٍ العقاب) بالإعمال، وذلك لحذف التنوين بالإضافة. أما رفع القبح فيقصدون به أن الصفة المشبهةإما أن يأتي معمولها بالرفع أو النصب او الجر، فإذا رفعت (العقابُ) لم يكن ثمة ضمير في الصفة؛يعود على الموصوف(الله)؛ لأن الصفة أخذت مرفوعها الظاهر وهو(العقاب)، فلا ترفع ضميراً وظاهراً. وبالنصب فإنك تجري الوصف القاصر مجرى المتعدي، وبالجر تخلص من هاتين، وبهذا تكون رفعت القبح بالإضافة[٤].

ج) سميع الدعاء: إضافة صيغة المبالغة (سميع) إلى معمولها (الدعاء) إضافة غير محضة، إذ لا دلالة على الزمن فيها فهي ثابتة في موصوفها. وهي تفيد التخفيف بحذف التنوين، فـ(سميعُ الدعاء) بالإضافة أخف من (سميعٌ الدعاء) بالإعمال.

---

(١) انظر:ابن يعيش،شرح المفصل،ج١: ٤٩٠-٤٩٢،والأستراباذي،شرح الرضي على الكافية،ج٢: ٢٨٣

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف،ج١: ٣٦٧، وأباحيان، البحر المحيط،ج٣: ٣٣

(٣) آل عمران: ٩.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف،ج٤: ١٥٣،وأباحيان، البحر المحيط،ج٩: ٢٣٤، والسامرائي، معاني النحو، ج٣: ١١٣.

والإضافة اللفظية يُؤتى بها لغرض آخر غير التخفيف،فالفرق بين الإعمال والإضافة ليس مجرد التخفيف فقط،بل إن لكل منهما غرضه الخاص، فالإعمال نصٌ في الدلالة على وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال، فقولك:(أنا ضاربٌ محمداً) دال على الحال أو الاستقبال، وقد يحدد أحدهما من السياق نحو قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾[١]، فاسم الفاعل (خالق) دال على الاستقبال.أما الإضافة فتحتمل المضي والحال والاستمرار والاستقبال، والسياق هو الذي يحدد أحدهما، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢]، (فاطر السماوات والأرض) أي خالقها ومخترعها ومنشئها، وهذا كان في الماضي[٣]. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ... ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ... ﴾[٤]، (فالق): أي أنّ الله يشق النواة ويُخرج منه ورقاً أخضر، وهذا منه سبحانه مستمر. كما أنه يشق الضياء على الظلام ويكشفه وهذا يحدث كل يوم، فالإضافة دالة على الاستمرار[٥]. وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٦]،(جامع) دال على الاستقبال[٧].فالإضافة تعبير احتمالي يحتمل أكثر من معنى. أما الإعمال فتعبير قطعي.أضف إلى ذلك أن الإعمال يقرب الوصف من الفعلية؛لأن الفاعل والمفعول به الأصل فيهما الفعل،أما الإضافة فهي من خصائص الاسمية فيكون الثبوت ملحوظاً فيها[٨].

- تقدير حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه

ذكر النحاة أن الإضافة المعنوية على تقدير حرف جر بين المضاف والمضاف إليه، يوصل معنى ما قبله إلى ما بعده[٩].ومن النحاة من ذهب إلى أنها ليست على تقدير حرف جر،

---

(١) ص: ٧١.
(٢) إبراهيم: ١٠.
(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٩: ٣٤٦، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٤١٤، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ١٣٣.
(٤) الأنعام: ٩٥ – ٩٦.
(٥) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧: ٤٤-٤٥.
(٦) آل عمران: ٩.
(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف،ج١: ٣٦٧،وأباحيان، البحر المحيط،ج٣: ٣٣.
(٨) انظر: السامرائي، معاني النحو، ج٣: ١١٤- ١١٥.
(٩) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢: ٤٨٩.

فإذا قلت: دار عمرو، ليس كقولنا: دار لعمرو؛ لأن معنى المعرفة غير النكرة، وأجيبَ: بأنه ليس تفسيراً مطابقاً وإنما لبيان الملك والاستحقاق[1].

والحروف التي يقدرونها هي: اللام، ومن، وفي، ويسمّون الإضافة التي بمعنى (اللام) إضافة الملك والاستحقاق والاختصاص، والتي بمعنى (من) البيانية، والتي بمعنى (في) الظرفية[2].

أ)إضافة الملك والاستحقاق والاختصاص(معنى اللام)

وضابطها أن يكون المضاف إليه مالكاً للمضاف، أو أن يُفهم من الإضافة معنى الاستحقاق والاختصاص. ومن النحاة من ذهب إلى أنه إذا لم يتعين تقدير (من) أو (في) فالإضافة بمعنى اللام[3].

وجميع الإضافات في آيات الدراسة المختارة جاءت لهذا المعنى، إلا (مُلك السماوات) و(غيب السماوات) بمعنى في، والإضافات التي لايمكن تقديرها بأي حرف كما سنبينها لاحقاً.

ومن أمثلة هذه الإضافة: (رب العالمين)، و(رب السماوات)، و(ربهم)، و(ربي)، و(ربنا)، و(سبحانك)، و(خلق الرحمن)، و(حمد ربهم)، و(خشية الله)،...، فالله مختص بروبيته للعالمين، وللسماوات والأرض، ولجميع خلقه، كما أنه مستحق للتسبيح وللحمد وللخشية، وأنه مالك الرحمة. فإضافة المُلك والاختصاص والاستحقاق حققت دلالة توحيدية.

ب) الإضافة البيانية (معنى من)

وضابطها أن يكون المضاف إليه جنساً للمضاف، كخاتم ذهب، وثوب خز، أي خاتم من ذهب، وثوب من خز، فالمضاف إليه بيّن نوع المضاف[4].

ولم يأت في الدراسة المختارة إضافات بمعنى من، مع وجود إضافات قالوا عنها إنها بمعنى (اللام)، ورجحنا أن تكون بمعنى (من)، سنبينها لاحقاً.

ج) الإضافة الظرفية (معنى في)

وضابطها أن يكون المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف، نحو: مشيُ ليلٍ، أي: مشيٌ في الليل[5].

---

[1] انظر: السيوطي، الهمع، ج٢: ٤١٢– ٤١٣.

[2] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢: ٤٨٩– ٤٩٠، والأسترابادي،شرح الرضي على الكافية،ج٢: ٢٦٨– ٢٧٠، والسيوطي، الهمع، ج٢: ٤١٢– ٤١٣.

[3] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٣: ٤–٥، وابن يعيش، شرح المفصل، ج٢: ٤٨٩– ٤٩٠، والسيوطي، الهمع، ج٢: ٤١٢– ٤١٣.

[4] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٣: ٤، وابن يعيش، شرح المفصل، ج٢: ٤٩٠.

[5] انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٣: ٥.

وقد جاء في آيات الدراسة المختارة إضافتان بمعنى (في)، وهما: (مُلك السماوات)، أي: ملكٌ في السماوات، و(غيب السماوات) في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١]، أي: "لله ما غاب عن علم الناس في السماوات والأرض"[٢].

وأضاف بعضهم معنى رابع للإضافة، وهي الإضافة التشبيهية، وهي ما كانت على تقدير الكاف بين المضاف والمضاف إليه، أي: إضافة المشبّه به إلى المشبّه، نحو: انتثر لؤلؤ الدمع على ورد الخدود، أي: دمعٌ كاللؤلؤ[٣]. ولم يأت في الدراسة المختارة إضافات بمعنى الكاف.

قد يقول قائل: إن هذه الحروف المقدرة، قد قد تُخرج الإضافة من معناها إلى معنى آخر مختلف، فـ(ربنا) غير (رب لنا)، فالأولى معرفة والثانية نكرة. نقول: إن النحاة ما أرادوا من تقدير الحرف بين المضاف والمضاف إليه تغيير صورته، وإنما البعد الدلالي الذي تؤديه هذه الإضافة، وهي الملكية والاختصاص والاستحقاق، أو البيان، أو الظرفية، أو التشبيه، وهذه الدلالات من معاني الحروف التي قدروها، فـ(اللام) تكون للملكية والاختصاص، و(من) من معانيها بيان الجنس، و(في) من معانيها الظرفية، و(الكاف) من معانيها التشبيه. يدل على ذلك أنهم حينما لم يستطيعوا تقدير حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه، قالوا إنه لا يلزم إظهار هذا الحرف، ويكفي إفادة المعنى المستفاد من هذا الحرف، جاء في شرح الرضي على الكافية: "ولا يلزم فيما هو بمعنى اللام أن يجوز التصريح بها، بل يكفي إفادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام، فقولك: طور سيناء، ويوم الأحد بمعنى اللام، ولا يصح إظهار اللام في مثله"[٤].

وهناك إضافات في الدراسة آيات المختارة لا يمكن تقديرها بحرف جر، أو يكون التقدير على غير ما ذهبوا إليه، وهي:

١. الظروف المضافة إلى المفرد، وهي: (بعد خلق)، و(معَ الله)، و(معه)، و(معي)، و(دون الله)، و(دونه)، و(دون الرحمن)، و(دوننا)، و(دونك)، و(عندك)، و(بعد الله)، و(بين يدي رحمته).

٢. الظروف المضافة إلى الجُمل، وهي: (إذا يشاء)، و(إذا دعاه)، و(إذ أخذ ربك)، و(إذ وقفوا على ربهم)، و(بعد إذ هديتنا)، و(إذ نجانا الله).

٣. بعض الأسماء الجامدة، وهي: (غير الله)، و(غيره)، و(وحده).

---

[١] هود: ١٢٣.
[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢: ١٩٨.
[٣] انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج٣: ٢٠٧.
[٤] الأستراباذي،شرح الرضي على الكافية،ج٢: ٢٦٩.

٤. بعض المصادر، وهي: (حق قدره)، و(خلقكم)، و(خلق السماوات)، و(خلق أنفسهم)، و(بعثكم).

في الإضافات السابقة ، أي حرف جر من الحروف التي اختارها النحاة لا يمكن تقديره. كما أنهم يقولون: إنه إذ لم يتعين تقدير (من) أو (في) فالإضافة تكون بمعنى اللام. ولكن حتى اللام لا يمكن تقديرها بين المضاف والمضاف إليه.

٥. إضافة أسماء التفضيل في الدراسة، وهم :(أحكم الحاكمين)، و(خير الراحمين)، و(خير الرازقين)، و(خير الفاتحين)، و(خير الوارثين)، و(خير المنزلين)، لم يكن المضاف إليه فيها جنساً للمضاف، ولا ظرفاً واقعاً فيه المضاف، فهي بمعنى اللام عندهم، ولكن تقدير (من) فيها أرجح وأولى، أي: (أحكم من الحاكمين)، و(خيرمن الراحمين)، و(خيرمن الرازقين)، و(خير من الفاتحين)، و(خيرمن الوارثين)، و(خير من المنزلين). ومن الإضافات التي يكون فيها ترجيح (من) أولى وأرجح من (اللام) : (رحمة ربك)، و(رحمتك)، و(غفرانك)، و(بعض آيات)، أي: (رحمة من ربك)، و(رحمة منك)، و(غفران منك)، و(بعض من آيات).

فالإضافة لا يمكن حصرها في معنى أحد حروف الجر التي اختارها النحاة ، بل هي تعبير آخر يمكن تقديره في بعضها ، ويمتنع في آخر، ويبقى لها استعمالها الخاص.

– **دلالات الإضافة التوحيدية:** يكتسب المضاف من المضاف إليه دلالات ومعاني غير التعريف والتخصيص. وقد يكتسب المضاف إليه من المضاف أيضاً بعض المعاني والدلالات. وهي:

١. عناية الربّ بالمربوب: وهذه الدلالة خاصة بإضافة (ربّ) إلى ضمير المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، وهذه الإضافات هي: (ربي)، و(ربنا)، و(ربك)، و(ربكم)، و(ربكما)، و(ربه)، و(ربهم).

٢. تشريف المضاف إليه : والإضافات التي جاءت لهذه الدلالة هي: (رب العرش)، و(رب هذا البيت)، و(رب المشرق)، و(رب المشرقين)، و(رب المشارق)، و(رب السماوات)، و(رب السماء).

إضافة إلى هاتين الدلالتين، فإننا نلمح دلالة أخرى فيهما، وهي: تعظيم وتفخيم المضاف، وهو الله – سبحانه وتعالى – .

٣. إبطال العبودية لغير الله : وجاءت هذه الدلالة في الإضافات التالية: (غيره)، و(معَ الله)، و(غير الله)، و(دون الله)، و(دون الرحمن)، و(دونه)، و(دوننا)، و(دونك)، و(وحده).

٤. إظهار قدرة الله تعالى: وجاءت هذه الدلالة في الإضافات الآتية: (خلقكم)، و(خلق أنفسهم)، و(خلق الرحمن)، و(خلق السماوات)، و(خلقهن)، و(خلقه)، و(بعثكم)، و(غيب السماوات)، و(ملك السماوات)، و(يدي)، و(يده)، و(يد الله)، و(أيدينا)، و(ذو الجلال)، و(وجه ربك)، و(وجه الله)، و(قبضته)، و(يمينه)، و(وجهه)، و (حق قدره)، و(ذي العرش)، و (رحمة ربك).

٥. وصول درجة الكمال في الاتصاف: والإضافات هي: (خير الراحمين)، و(أحكم الحاكمين)، و(خير الرازقين)،و(خير الفاتحين)، و(خير الوارثين)، و(خير المنزلين). هذه الأوصاف كلها صفات لله تعالى، فهو الواصل إلى الكمال بالاتصاف بهذه الأوصاف.

٦. التنزيه: وهو خاص بإضافة (سبحان) إلى الله تعالى، أو الضمير العائد عليه، وهذه الإضافات هي: (سبحان الله)، و(سبحان رب السماوات)، و(سبحانك)، و(سبحانه).

جدول ١١. الإضافات التوحيدية في آيات الدراسة

الإضافة	السورة/الآية	نوع المضاف	نوع المضاف إليه	نوع /فائدة الإضافة	معنى الإضافة
ربي،ربنا*	ربي في: آل عمران:٥١، المائدة:٧٢، ١١٧ ،يونس/٥٣،مريم/٣، الزخرف/٦٤،التغابن/٧، البقرة/٢٨٥،ربنا في: طه/٥٠،الأعراف/٨٩، الكهف/١٤	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
ربه	البقرة: ٢٨٥.آل عمران:٣٨	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
ربك	آل عمران:٤١.النساء: ٦٥.الأنعام: ١٥٨. الأعراف:١٧٢.هود:١٢٣.الحجر: ٩٩. الإسراء:٢٢. الصافات:١٤٩.فصلت:٤٦ الدخان:٦ .المدثر:٣.الفجر:٢٢	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
ربكم	البقرة:٢١٥. آل عمران:٥١،١٩٣. المائدة:٧٢،١١٧ الأنعام:١٠٢،١٦٤ الأعراف:٥٤.يونس:٣، النحل:٢٤،٣٠.مريم: ٣٦،طه:٨٦. الزمر:٦. غافر:٦٢.الزخرف:٦٤ الدخان:٨. التحريم:٨.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب العالمين	الفاتحة:٢.الأعراف:٥٤ الشعراء:٢٣.النمل:٤٤. غافر:٦٥.	مصدر	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب العرش	التوبة:١٢٩.الأنبياء:٢٢ المؤمنون:٨٦، ١١٦. النمل:٢٦.الزخرف:٨٢	مصدر	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
ربكما	طه:٤٩.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب هذا	قريش: ٣.	مصدر	مفرد/معرفة	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق

* وردت (ربي،ربنا) كثيراً في آيات الدراسة، فقد وردتا في معظم آيات النداء وفي غيرها قليل، وهذه الآيات التي أثبتناها في غير النداء.

			(اسم إشارة)		واختصاص
رب آبائكم	الدخان:٨.	مصدر/اسم جامد	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(كم)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب المشرق	المزمل:٩.	مصدر	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب المشرقين	الرحمن:١٧.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب المشارق	المعارج:٤٠.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب كل شيء	الأنعام: ١٦٤.	مصدر/اسم جامد	مفرد/نكرة	معنوية/التخصيص	ملكية واستحقاق واختصاص
رب السماوات	الرعد:١٦،الكهف:١٤، مريم:٦٥،المؤمنون:٨٦ ص:٦٦،الدخان:٧.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
رب السماء	الذاريات:٢٣.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
ربهم	الأنعام:٣٠،الأنبياء:٤٢، السجدة:١٢،غافر:٧.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
سبحانه	التوبة:٣١،الأنبياء:٢٦، الإسراء:٤٢،الزمر:٤،٦٧	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
سبحانك	آل عمران:١٩١، المائدة:١١٦.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
سبحان الله	الأنبياء:٢٢،المؤمنون:١٩١، الطور:٤٣، الحشر:٢٣.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
سبحان رب السماوات	الزخرف:٨٢.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(السماوات)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
بعد خلق	الزمر:٦.	ظرف	مفرد/نكرة	معنوية/ التخصيص	
علم الله	هود:١٤.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
ذي الطول	غافر:٣.	اسم جامد	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
غير الله	الأنعام:٤٦،١٦٤، الأعراف:١٤٠، القصص:٧١،٧٢، فاطر:٣،الزمر:٦٤، الطور:٤٣.	اسم جامد	مفرد/معرفة (أل)	تبقى على تنكيرها (حالة خاصة)	

غيره	الأعراف:٥٩، ٦٥، ٧٣،٨٥،هود:٨٤،٦١،٥٠، المؤمنون:٣٢،٢٣	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	تبقى على تنكيرها (حالة خاصة)	
مع الله	الأنعام:١٩، الإسراء: ٢٢،٣٩،الشعراء:٢١٣ النمل:٦٠، ٦٤، القصص:٨٨، الذاريات:٥١، ق:٢٦.	ظرف	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	
معه	المؤمنون:٩١،الإسراء:٤٢، التحريم:٨	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
معي	الأنبياء:٢٤.	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
دون الله	آل عمران:٦٤، المائدة: ١١٦،التوبة:٣١،الحج:٧٣،العنكبوت:١٧،الصافات:٨٦، الممتحنة:٤	ظرف	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	
دونه	يوسف:٤٠،الكهف:١٤، الرعد:١٦،الأنبياء:٢٤، الفرقان:٣،يس:٢٣.	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
دون الرحمن	الزخرف:٤٥.	ظرف	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	
دوننا	الأنبياء:٤٣.	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
دونك	النحل:٨٦.	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
خلقكم	لقمان:٢٨.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
خلق أنفسهم	الكهف:٥١.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(هم)	معنوية/التعريف	
خلق الرحمن	الملك:٣.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
خلق السماوات	آل عمران:١٩١، الكهف:٥١،الروم:٢٢، الشورى:٢٩.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	
بعثكم	لقمان:٢٨.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
لقاء ربه	الكهف:١١٠.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(الهاء)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
عبادة ربه	الكهف:١١٠.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق

				التعريف من المضاف إليه(الهاء)		واختصاص
عند الله	العنكبوت:١٧.	ظرف	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	
عند ربهم	السجدة:١٢.	ظـــــرف/ مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(هم)	معنوية/التعريف	
عند ربه	المؤمنون:١١٧.	ظـــــرف/ مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(الهاء)	معنوية/التعريف	
عندك	التحريم: ١١.	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
أمره	الأعراف:٥٤.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
بعد الله	الجاثية:٢٣.	ظرف	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	
وحده	الأعراف:٧٠.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	
رحمة ربك	الزخرف:٣٢.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(الكاف)	معنوية/التعريف	بيانية
خلقهن	الأحقاف:٣٣.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
خلقه	الرعد:١٦.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
رحمتك	النمل:١٩.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	بيانية
ذكر ربهم	الأنبياء:٤٢.	جامد مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(هم)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
آيات ربنا	الأعراف:١٢٦.	اسم	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
بحمد ربهم	غافر:٧.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(هم)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
غيـــــــب	هود:١٢٣.	مصدر	مفرد/معرفة	معنوية/التعريف	ظرفية

السماوات			(أل)		
ملـــــــك السماوات	الأعراف:١٥٨، الفرقان:٢.	مصدر	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ظرفية
بعد إذنه	يونس:٣.	ظـــــــرف/ مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(الهاء)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
نفسك	المائدة:١١٦.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
نفسه	آل عمران:٢٨.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
بعض آيات ربك	آل عمران:٢٨.	اسم جامد/ اسم جامد/ مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من النكرة (آيات)المضافة إلى نكرة التي اكتسبت التعريف من المضاف إليه	معنوية/التعريف	بيانية
جنب الله	الزمر:٥٦.	اسم جامد	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
بيدي	ص:٧٥.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
ذو الجلال	الرحمن:٢٧.	اسم جامد	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
يد الله	آل عمران:٧٣.	اسم جامد	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
أيدينا	يس: ٧١.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
يده	الملك: ١.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
وجه ربك	الرحمن:٢٧.	اسم جامـــد/ مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(الكاف)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
وجه الله	البقرة:١١٥، الإنسان:٩	اسم جامد	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
قبضته	الزمر:٦٧.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص
يمينه	الزمر:٦٧.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واســـتحقاق واختصاص

وجهه	القصص:٨٨.	اسم جامد	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
حق قدره	الزمر:٦٧.	مصدر	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه(الهاء)	معنوية/التعريف	
ذي العرش	الإسراء:٤٢.	اسم جامد	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
لدنك	آل عمران:٨، ٣٨، النساء:٧٥،الكهف:١٠	ظرف	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
نعمتك	النمل:١٩، الأحقاف:١٥	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
غفرانك	البقرة:٢٨٥.	مصدر	مفرد/معرفة (ضمير)	معنوية/التعريف	بيانية
خشية الله	النساء:٧٧.	مصدر	مفرد/معرفة(أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
احكم الحاكمين	هود:٤٥.	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	بيانية
أول العابدين	الزخرف:٨١.	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
خير الراحمين	المؤمنون:١١٨،١٠٩	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	بيانية
خير الرازقين	المائدة:١١٤.	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	بيانية
خير الفاتحين	الأعراف:٨٩.	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	بيانية
خير الوارثين	الأنبياء:٨٩.	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	بيانية
خير المنزلين	المؤمنون:٢٩.	اسم تفضيل	مفرد/معرفة (أل)	معنوية/التعريف	بيانية
إذا يشاء	الشورى:٢٩.	ظرف	جملة/معرفة	معنوية/التعريف	
إذا دعاه	النمل:٦٢.	ظرف	جملة/معرفة	معنوية/التعريف	
إذ أخذ ربك	الأعراف:١٧٢.	ظرف	جملة/معرفة	معنوية/التعريف	
إذ وقفوا على ربهم	الأنعام:٣٠.	ظرف	جملة/معرفة	معنوية/التعريف	
بعد إذ هديتنا	آل عمران:٨.	ظرف	جملة/معرفة	معنوية/التعريف	
إذ نجاناالله	الأعراف:٨٩.	ظرف	جملة/معرفة	معنوية/التعريف	

بين يدي رحمته	النمل:٦٣.	ظرف	مفرد/نكرة اكتسب التعريف من المضاف إليه الذي اكتسب التعريف من المضاف إليه	معنوية/التعريف	
خالق كل شيء	الأنعام:١٠٢، الرعد:١٦،غافر:٦٢.	اسم فاعل	مفرد	معنوية/التخصيص	ملكية واستحقاق واختصاص
غافر الذنب	غافر:٣.	اسم فاعل	مفرد	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
قابل التوب	غافر:٣.	اسم فاعل	مفرد	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
شديد العقاب	غافر:٣.	صفة مشبهة	مفرد	التخفيف	ملكية واستحقاق واختصاص
مالك يوم الدين	الفاتحة:٤.	اسم فاعل	مفرد	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص
سميع الدعاء	آل عمران:٣٨.	صيغة مبالغة	مفرد	التخفيف	ملكية واستحقاق واختصاص
جامع الناس	آل عمران:٩.	اسم فاعل	مفرد	التخفيف	ملكية واستحقاق واختصاص
عالم الغيب	المؤمنون:٩٢، سبأ:٣.	اسم فاعل	مفرد	معنوية/التعريف	ملكية واستحقاق واختصاص

إذا أُنعم النظر في الجدول السابق تبيّن أنّ:

١. المضاف جاء مصدراً في أربع وخمسين إضافة من مجموع الإضافات وعددها مئة وسبع عشرة إضافة، واسماً جامداً في خمس وعشرين إضافة، وظرفاً في ثلاث وعشرين إضافة، واسم تفضيل في سبع إضافات، واسم فاعل في ست إضافات، وصفة مشبهة وصيغة مبالغة في إضافة واحدة.

٢. المضاف إليه جاء مفرداً في جميع إضافات الدراسة إلا في ست إضافات جاء جملة فعلية.والمفرد قُسّم إلى معرّف بـ(أل) في إحدى وأربعين إضافة، وضمير في تسع وأربعين إضافة، ونكرة في عشرين إضافة، واسم إشارة في إضافة واحدة.

٣. الإضافة المعنوية جاءت في جميع الإضافات إلا في ثلاث إضافات لفظية.

٤. المضاف اكتسب من المضاف إليه التعريف في جميع الإضافات المعنوية، إلا في إضافتين، وهما:(بعد خلق) و(رب كل شيء) استفاد التخصص.

٥. إضافة اسم الفاعل (غافر، قابل، خالق، مالك، عالم)، هي في الأصل إضافة لفظية؛لأنه وصف أضيف إلى معموله، لكنه خالف شرط الإضافة اللفظية، بكونها غير دالة على الحال أو الاستقبال، فعُدّت إضافة محضة. وقد استفاد من المضاف إليه التعريف في(غافر، قابل، مالك، عالم)، والتخصيص في (خالق).

٦. الإضافة جاءت مركبة في سبع عشرة إضافة، جميعها اكتسب المضاف من المضاف إليه التعريف، عن طريق إضافة المضاف إليه إلى الضمير، أو إلى اسم معرّف بـ(أل).

٧. معنى الملك والاستحقاق والاختصاص أعطى دلالة توحيدية، فمثلاً: (ربي،ربنا،رب السماوات) تعطي دلالة استحقاقه واختصاصه سبحانه بالربوبية.و(سبحانه،سبحانك،سبحان الله) تعطي دلالة استحقاقه واختصاصه بالتسبيح والتنزيه.وجاء هذا المعنى الأكثر في إضافات الدراسة ،وبلغ ثماني وخمسين إضافة.

٨. الإضافة رجحّت بيانية(معنى من) في عشر إضافات؛لأنه أقوى في الدلالة التوحيدية من (اللام) التي ذهب النحاة إليها.

٩. الإضافة جاءت بمعنى الظرفية في إضافتين.

١٠. التخفيف ليس المعنى الوحيد للإضافة اللفظية، بل هناك معنيان آخران لها،وهما: الدلالة على جميع الأزمنة إذا لم يكن في السياق ما يُشير إلى زمن معين، والدلالة على معنى الثبوت بوصفه من خصائص الاسمية، والاضافة من خصائص الأسماء.

١١. التقطيع الصوتي يدل على التخفيف في الإضافة اللفظية، وذلك بحذف التنوين، فـ(جامعٌ الناسَ) بالاعمال تقطيعه: جا/م/عنن/نا/س/، يتكون المقطع (عنن) وهذا المقطع ثقيل في النطق، والإضافة تُغنينا عن هذا المقطع، فيصبح التقطيع بالإضافة: جا/م/عن/نا/س/، وهو أخف في النطق.

١٢.تقدير حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه يمكن في إضافات ويمتنع في أخرى،وقد امتنع في تسع وعشرين إضافة.

المطلب الثاني : بين المصدر المؤول والمصدر الصريح

يُعرض في هذا العنوان للاختلاف بين المصدر الصريح والمؤول، من حيث المعنى والاستعمال.

فمن حيث الدلالة: المصدر المؤول يُفيد الدلالة على الزمن بحسب الفعل، فقد يدل على الماضي، أو الحال، أو الاستقبال، بخلاف المصدر الصريح الذي يحتمل الماضي والحال والاستقبال؛ لأنه ليس في صيغته ما يدل على تحديد زمن[١].

ففي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[٢]، جاء المصدر المؤول المكون من (أنْ) المخففة والفعل الماضي للدلالة على الزمن الماضي؛ لأن الله جعل خلقهم من تراب، وقد كان خلق أباهم آدم من تراب[٣].

ومثله في الدلالة على الزمن الماضي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ... ﴾[٤]، فالله جعل الأزواج التي خُلقت بعد خلق آدم: إمّا من ضلع آدم، أو من نفس جنس خلق آدم ونوعه، وهو في الماضي[٥].

أمّا (أنْ) الناصبة للفعل المضارع، فالنحاة يقولون: إنها تصرفه إلى المستقبل، ولكن هذا القول غالب لا دائم. وهذا ما دلّت عليه آيات الدراسة: ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[٦]، جاءت لتدل على الزمن المستقبل، فالله قادر على إعادة أجسام أخرى من العدم، فهو يخلق لكل ميت جسداً جديداً على مثال جسده الذي كان في الدنيا، وتوضع فيه الروح التي كانت له. وهذه الإعادة تكون يوم القيامة، وهو مستقبل[٧].

---

(١) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج١: ٩٢.
(٢) الروم: ٢٠.
(٣) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٨: ٣٨١، والشوكاني، فتح القدير، ج٤: ٢٨٨.
(٤) الروم: ٢١.
(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٤٧٩، و أبا حيان، البحر المحيط، ج٨: ٣٨٢.
(٦) الإسراء: ٩٩.
(٧) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٣٦٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ٢٢٠.

وفي قوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ... ﴾[١]، دلالة المصــــدر المؤول هو الاستمرار وليس المستقبل، فهو يشمل الزمان المتطاول الممتد من قبل خلق الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهو لم يتخذ ولداً في الماضي ولا في الحال ولن يتخذه في المستقبل، فالتوالد في حقه سبحانه مستحيل[٢].

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن التعبير بالمصدر المؤول ولا سيما مع (أنْ) هو نص في الدلالة على الحدث دون احتمال آخر، بخلاف المصدر الصريح ،الذي يحمل مع الحدث صفة أو هيئة. جاء في بدائع الفوائد: "المصدر المؤول يدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال زائد عليه، ففيها (يعني أنْ) تحصين من الإشكال، وتخليص له من شوائب الاجمال، بيانـــه أنـــك إذا قلت: (كرهت خروجك) و(أعجبني قدومك) احتمل الكلام معاني، منها أن يكون نفس القدوم هـــو المعجب لك دون صفة من صفاته، وهيآته، وإن كان لا يوصف في الحقيقة بصفات ،ولكنها عن الكيفيات،واحتمل أيضاً أنك تريد أنه أعجبك سرعته أو بطؤه أو حالة مـــن حالاتـــه،فإذا قلـــت : (أعجبني أن قدمت) كان دخول أن على الفعل بمنزلة الطبائع والصواب من عوارض الإجمالات المقصودة في الأذهان."[٣]

توضيح ذلك أن في قولـــه تعـــالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[٤]، عبّر بالمصدر المؤول (أن يخلق) للدلالة على قدرة الله على خلق الأجسام من العدم. أي إثبات الخلق لله وأحقيته بهذا الخلق. ولو قال: (خلق مثلهم) بالمصدر الصريح لاحتمل المعنى السابق، إضافة إلى صورة أو كيفية في الخلق هي القادر عليها سبحانه. فالمراد الإيمان بقدرة الله على إعادة الخلق بعد موتهم (المصدر المؤول)، وليس بكيفية هذه الإعادة (المصدر الصـــريح)؛ أي إثبات الخلق له، والكيفية خاصة به سبحانه وتعالى.

ومن ناحية ثالثة فإن لكل حرف من الحروف المصدرية معنى خاصـــاً بهـــا، فـــ(أنْ) للاستقبال في الغالب، و(ما) للحال. أما (لو) التي للتمني، و(كي) التي للتعليل، فلم يـــأتِ عليهـــا شيء في آيات الدراسة المختارة.

---

[١] الزمر: ٤.
[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ١١٤، و أبا حيان، البحر المحيط، ج٩: ١٨٢.
[٣] ابن القيم، بدائع الفوائد، ج١: ٩٢-٩٣.
[٤] الإسراء: ٩٩.

أمّا (أنّ) المشددة، و(أنْ) المخففة ففيهما دلالة على التوكيد، غير أن (أنّ) المشددة لتوكيد الحدث وصاحبه، أمّا (أنْ) المخففة فهي لتوكيد الحدث دون صاحبه. والإتيان بـ(أن) المشددة أو المخففة يعتمد على الاهتمام في الكلام، فإذا كان منصباً على الحدث يؤتى بالخفيفة، وإذا كان منصباً على صاحب الحدث يؤتى بالثقيلة. كما أن المشددة آكد من المخففة. ولو جاء في الآيات السابقة بالمصدر الصريح لانتفت دلالة التوكيد المستفادة من (أنّ، وأنْ)[١].

توضيح ذلك: في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ... ﴾، يعرض سبحانه لدلائل وحدانيته ومنها خلق الناس من تراب، وخلقه للزوج من نفس جنسه، وحدث الخلق دال على قدرته سبحانه، لهذا جاء بـ(أنْ) المخففة لتوكيد هذا الحدث، ولفت النظر إلى هذا الخلق الدال على قدرته ووحدانيته.

ومن ناحية رابعة أن المصدر المؤول تستطيع أن تأتي معه بالفعل أو الاسم، فتفيد الصيغة الفعلية الحدوث والتجدد، والاسمية الثبوت. وهذا لا يتأتى بالمصدر الصريح[٢].

توضيح ذلك:في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ دخلت (أنْ) المصدرية على الجملة الفعلية لمناسبة سياق الآية، وهو الحديث عن إعادة أجسام أخرى من العدم وبعثها، وهذه الإعادة والبعث تناسبها الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد.

فالمصدر المؤول يدل على الزمن، وهو نص في الدلالة على الحدث دون احتمال آخر، كما أن لكل حرف من الحروف المصدرية معنى خاصاً بها، إضافة إلى أنه يدل على الحدوث والتجدد أو الثبوت، وذلك من خلال قدرته على الإتيان بالصيغة الفعلية أو الاسمية. وهذه الدلالات لا يؤديها المصدر الصريح. فدل ذلك على أن المصدر المؤول في سياق آيات التوحيد أنسب لتأدية المعنى المراد.

هذا من حيث الدلالة، أما من حيث الاستعمال: فإن المصدر المؤول يسد مسد المسند والمسند إليه، لأنه في الأصل جملة لها معناها الحاصل من الإسناد أوقعها الحرف المصدري موقع المفرد، بخلاف المصدر الصريح فإنه مفرد أصلاً، وأن المصدر المؤول يسد مسد خبر فعل الرجاء أو مسد فاعله، ولا يسد المصدر الصريح عن ذلك، وأن المصدر المؤول لا ينوب

---

[١] انظر: السامرائي، معاني النحو، ج١: ٣٢٤.
[٢] انظر: المصدر السابق، ج٣: ١٢٩.

عن ظرف الزمان، وينوب الصريح. وأن المصدر المؤول لا يصح وصفه، ويصح وصف المصدر الصريح. وأن المصدر المؤول لا ينوب عن فعله، وينوب عنه المصدر الصريح. وأنّ المصدر المؤول لا يستعمل لتأكيد فعله، ولا لبيان نوعه وعدده ويُستعمل لذلك الصريح[١].

المطلب الثالث : دلالة بعض المفردات في آيات التوحيد والتي يُظن أنها مترادفة

١. (الله، إله) و(رب)

يُعرض في هذا العنوان لمعنى كل لفظ من هذه الألفاظ، ثم لسبب اختيار لفظ دون لفظ في سياق بعض الآيات، أي لم قال: (لا إله إلا الله)، و(ما من إله إلا الله)، و(إنما الله إله واحد)، ....، ولم يقل (لا ربّ إلا الله)، و(ما من ربّ إلا الله)، و(إنما ربّكم إله واحد)، و(ما لكم من ربّ غيره)؟ وبمعنى أوسع: لم عبّر بلفظ (إله)ولم يعبر بلفظ (ربّ) في سياق الآيات المختارة وبالعكس؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من عرض لدلالة هذه الألفاظ من المعاجم وكتب التفسير، ثم الاستعانة بسياق الآيات لفهم المعنى المطلوب، إضافة إلى المعنى التوحيدي الذي يدل عليه كل لفظ من هذه الألفاظ (توحيد ربوبية، توحيد ألوهية)، ففهم المراد بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، يُسعفنا في توضيح سبب ورود هذه اللفظة واختيارها ، وعدم ورود اللفظة الأخرى.

- دلالة (الله، إله)/ المعيار: توحيد ألوهية

الله: علم لا يُطلق إلا على المعبود بحق مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وقيل مشتق ولهم في اشتقاقه أقوال[٢]:

الأول: أنه مشتق من (أله) الرجل إلى الرجل يأله إليه إذا فزع إليه من أمر نزل به؛ فآلهه أي أجاره، وأمنه. أو من (أله) يأله إذا تحيّر.

الثاني: أنه مشتق من (وله) يوله وأصله ولاه، فأبدلت الواو همزة، والوله له عبارة عن المحبة الشديدة والطرب.

الثالث: أنه مشتق من (لاه) يلوه إذا احتجب، أو ارتفع.

الرابع: أنه مأخوذ من قولك ألهت بالمكان إذا أقمت فيه.

---

(١) انظر: السامرائي، معاني النحو، ج٣: ١٢٦– ١٢٧.

(٢) انظر هذه الأقوال في: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب، (ت ٦٠٤هـ) شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٦: ١١٢–١١٩، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٢٧–٢٨.

الخامس: أن الإله مأخوذ ممن له الإلهية وهي القدرة على الاختراع.

السادس: أنه مشتق من التأليه أي التعبد، يُقال: أله يأله إلاهه بمعنى: عبد يعبد عبادة.

فأصل (الله، أو إله) مختلف فيه، هل هو من (أله)، أم من (وله)، أم من (لاه). وقد ذهب الدكتور إسماعيل عمايرة إلى أن أقرب الآراء في أصل لفظ الجلالة (الله) هو رأي سيبويه وهو (لاه)، وقد استدل على ذلك باللغات السامية؛ حيث إن أصل لفظ الجلالة (الله) في هذه اللغات هو (el) بألف مكسورة ولام. كما قال الدكتور إسماعيل إنّ (الله) أصلها ثنائي، وأنّ الهاء أو التاء في الأصل للتأنيث، مدعماً رأيه بما جاء في علم الساميات؛ حيث يذكر عدة لغات سامية أصل (الله، أو إله) فيها ثنائي[١].

فالله اسم ذات لا يطلق إلا على المعبود بحق، لهذا انفرد –سبحانه– به، فصار كاسم العلم في الدلالة عليه. أمّا إله فاسم مشتق يُطلق على المعبود بحق أو باطل، لهذا أطلقه العرب على كل معبود من أصنامهم لأنهم يرونها حقيقة بالعبادة[٢].

ويبدو أن المعنى الأقرب إلى سياق الآيات المختارة، وإلى مفهوم توحيد الألوهية – وهو إفراد الله وحده بالعبادة–هو معنى المعبود،فهذه الآيات تريد إثبات تفرده–سبحانه– بالعبادة، ونفي التعدد عنه؛ لهذا نجد أن أغلب الآيات التي احتوت على لفظ (إله) جاءت إمّا رداً على المشركين الذين اتخذوا الأصنام آلهة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[٣]، فهو رد على المشركين الذين جهلوا أن الإله لا يكون إلا واحداً. فعبدوا معه ما لا يضر ولا ينفع[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ... ﴾[٥]، الخطاب للناس كافة، ومنهم العرب، الذين اتخذوا من دون الله آلهة (الأصنام) وأشركوا.

وفي قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[٦]: رداً على أقوام الأنبياء (نوح، وهود، وصالح، وشعيب) الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى. وغيرها من الآيات.

---

[١] انظر: عمايرة، إسماعيل أحمد، دراسات لغوية مقارنة، ط١، دار وائل للنشر، عمان– الأردن، ٢٠٠٣م: ٥٦–٥٧.
[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٤٩، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٢٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ١٦٢–١٦٣.
[٣] البقرة: ١٦٣.
[٤] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢: ٧٤.
[٥] البقرة: ٢٥٥.
[٦] الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣.

وإمّا رداً على اليهود الذين قالوا عزير ابن الله، أو النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، فهو تعريض بالمشركين وباليهود والنصارى الذين اتخذوا إلهاً من دون الله.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]، رداً على المشركين وعلى النصارى، وخاصة نصارى نجران[٤]. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ... ﴾[٦]، جاء رداً على النصارى في تثليثهم. وقد يكون رداً عاماً على كل من يثبت الشركاء لله أو يتخذ إلهاً من دونه، كما في قوله تعالى: ﴿ ...إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ... ﴾[٧].

فلفظ (إله) الدال على معنى العبودية،هو المراد للسياق في آيات الدراسة المختارة؛ لأنه في معرض الحديث عن إبطال معتقد المشركين واليهود والنصارى، وإثبات الألوهية الحقة له – سبحانه–، وأنه وحده المستحق للعبادة، ونفي الشريك عنه، وهذا التوحيد هو مطلب جميع الرسل عليهم السلام.

- دلالة (رب)/ المعيار: توحيد ربوبية

الرب: "السيد، والمالك، والثابت، والمعبود، والمصلح وزاد بعضهم بمعنى الصاحب...، وبعضهم بمعنى الخالق"[٨]، وقيل من التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً[٩]. وقيل: أصله من (ربا) بمعنى: زاد أو كبر[١٠].

---

[١] آل عمران: ١٨.
[٢] آل عمران: ٢.
[٣] آل عمران: ٦.
[٤] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣: ١٤٦، ١٥٣.
[٥] آل عمران: ٦٢.
[٦] المائدة: ٧٣.
[٧] من سورتي: الأنعام: ١٩، والنحل: ٥١.
[٨] أبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٣٣.
[٩] انظر: الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٩، والآلوسي، روح المعاني، ج١: ٧٧.
[١٠] انظر: العمايرة، دراسات لغوية مقارنة: ٣٧٧.

والرابط بين المعاني السابقة أنك تلمس معنى القدرة والعظمة بين هذه المعاني، فجميع هذه المعاني فيها دلالة على القدرة في المتصف بها، إلا أن الأقرب إلى سياق الآيات المختارة، وإلى مفهوم توحيد الربوبية –وهو الإقرار بأن الله وحده خالق كل شيء– هو معنى الخالق الدال على كمال القدرة والعظمة في موصوفها وهو الله تعالى.

وقد دلّت آيات الدراسة المختارة على قدرته –سبحانه–، إمّا من خلال ذكر أمور من توحيد الربوبية اعترف بها الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، فقد جاء بلفظ (ربّ) لأن الآية ذكرت أموراً من توحيد الربوبية، وهي: خلق السماوات، والاستواء على العرش، وجعل الليل والنهار غاشياً للآخر، وتسخيره للشمس والقمر والنجوم، وهذه الأمور دالة على قدرته –سبحانه–، فناسب أن يختم الاية بما يدل على هذا المعنى (القدرة والعظمة) وهو لفظ (ربّ).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ...﴾[٢]، جاء الاستفهام عن ربوبية السماوات والأرض، بعد ذكر الأدلة المتنوعة على انفراده بالألوهية، ليقررهم بأنه هو الربّ الوحيد القادر على الإتيان بهذه الآيات، وليقرعهم على الإشراك. فالمقام مقام إثبات لقدرته سبحانه، وتقريع لمن يُشرك به، ولفظ (ربّ) معناه الخالق، والخالق هو الذي يوجد الموجودات من العدم، والذي يوجد الموجودات، وهو القادر على الإتيان بمثل هذه الآيات، لهذا جاء بلفظ (ربّ) الدال على القدرة.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[٣]، جاء بلفظ (ربّ) لإثبات قدرته –سبحانه–، فالذي خلق السماوات والأرض، هو القادر على أن يخلق مثل الآيات الخارقة التي آتيناها لموسى عليه السلام. فموسى

---

[١] الأعراف: ٥٤.
[٢] الرعد: ١٦.
[٣] الإسراء: ١٠٢.

عليه السلام صارح فرعون بحقيقة أن الله هو الخالق، ففرعون يعترف بربوبية الله ولكنه ادعى الربوبية من باب العناد والاستكبار[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢]، جاء هذا الخطاب من موسى وهو في موضع جدال مع فرعون، الذي يسأل عن حقيقة ربّ العالمين، وهذا السؤال عناد واستكبار منه لعلمه أن الله هو الخالق، ولا يوجد خالقان متماثلان. فجاء جواب موسى عليه السلام بياناً لحقيقة ربّ العالمين، بأنه ربّ كل شيء وخالقه، واستدل على ذلك بالنظر في السماوات والأرض وما بينهما، ثم بأنفسهم وبآبائهم إذ أوجدهم الله بعد العدم، ثم بربوبيته للمشرق والمغرب المشاهد كل يوم مرتين[٣]. وهذه الدلائل من أمور توحيد الربوبية، يُثبت من خلالها قدرته –سبحانه–؛ والذي يوافق هذه القدرة هو لفظ (ربّ) الدال على هذا المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، جاء بلفظ (ربّ) وصفاً لله تعالى المستحق للحمد على ما أنعم وأرشد.وسخّر وأقام[٥]، فهذه السورة احتوت على نعم الله، وخُتمت بالحمد على هذه النعم، والمعطي لهذه النعم هو الله القادر، فناسب لفظ (ربّ) الدال على القدرة، ما احتوته هذه السورة من نعم تدل على قدرته –سبحانه–.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ... ﴾[٦]، المشركون يطلبون منه –صلى الله عليه وسلم– أن يعترف بربوبية أصنامهم، فأنكر عليهم قولهم بأن الذي تدعونني إليه هو مربوب مخلوق مثلي ،لا يقدر على نفع أو ضر، ثم علل الإنكار بما يُثبت ان الله خالق كل شيء (وهو ربّ كل شيء)، وهو باعترافهم؛ لأنهم لا يدعون أن الأصنام خالقة لشيء فكيف تطلبون

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ١٢٦.
(٢) الشعراء: ٢٣– ٢٨.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩: ١١٦– ١٢٠.
(٤) الجاثية: ٣٦.
(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٥: ٣٧٧– ٣٧٨.
(٦) الأنعام: ١٦٤.

مني أن أتخذ رباً سواه ،وأنتم معترفون بخلقه لكل شيء، وتطلبون مني الكفر بربوبيته تعالى[١]. فهو في معرض نفي القدرة عن غيره سبحانه وإثباتها له بوصفه القادر على كل شيء.

فإثبات القدرة إما أن يكون بذكر أمور من توحيد الربوبية، كما في الآيات السابقة، وإمّا أن يكون بالتوجه والالتجاء إليه، باعتباره هو القادر على تلبية طلبهم وما يحتاجونه، وهذا المعنى خاص بأسلوب النداء، وآياته كثيرة في آيات الدراسة المختارة.

أمّا آيات أسلوب القسم، والتي أقسم بها الله بلفظ (ربّ) فقد أتى معنى القدرة من خلال الأسلوب نفسه، فأسلوب القسم يشمل تعظيماً، والتعظيم لا يكون إلا لله الخالق القادر المستحق لهذا التعظيم. ولفظ (ربّ) هو الدال على هذه المعاني فأقسم به. ففي قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾[٢]. والله يعظم نفسه بكونه خالقاً للمشارق والمغارب ومالكاً لما بينهما، فهو موضع بيان قدرة وعظمة، والذي يدل على القدرة والعظمة هو لفظ (ربّ).

فالقرآن الكريم يعبّر بلفظ (إله) في موضع إبطال معتقد المشركين واليهود والنصارى، وإثبات التفرد له سبحانه. أمّا لفظ (ربّ) فيعبّر عنه في موضع إثبات القدرة له سبحانه وتعالى.

قد يقول قائل: إن الله في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ...أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[٣]، يذكر أموراً من توحيد الربوبية فيها دلالة على قدرته سبحانه، فلمَ قال: (أإله مع الله) ولم يقل: (أرب مع الله) بكونه المناسب لأمور توحيد الربوبية وهو دالٌ على القدرة كذلك؟

ذهب الدكتور صلاح الخالدي إلى رأي مفاده: أن هذه الأمور من فعل الله وحده، جُعل الإقرار بها دليلاً على توحيد الألوهية، حيث جاء بهذه الأدلة التي يسلّمون بأنها بيد الله وحده، لكي يقرّعهم ويوبخهم على إشراكهم، أي أنتم تقرون بأن هذه الأمور من فعل الله وحده، فلمَ تجعلون معه آلهة أخرى؟[٤]. فالسياق في موضع إبطال معتقد المشركين عن طريق إقامة الحجة

---

[١] انظر:الشوكاني ، فتح القدير،ج٢: ٢٦٠-٢٦١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨، ق١: ٢٠٥-٢٠٦.
[٢] المعارج: ٤٠.
[٣] النمل: ٥٩- ٦٤.
[٤] انظر: الخالدي، القبسات السنية: ٣٠.

عليهم بشيء يعترفون به ويقرونه، والمناسب لفظ (إله)، لا (ربّ)؛ لأنهم لم يقولوا بأن مع الله رباً خالقاً، لكنهم قالوا بأن معه إلهاً معبوداً.

٢. (واحد) و(أحد)/ المعيار: توحيد ألوهية

عبّر القرآن الكريم في آيات التوحيد المختارة بلفظ (واحد) في آيات كقوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(١)، و﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(٢)، وغيرها من الآيات. وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾(٣)، عبّر بلفظ (أحد)، فهل هناك فرق دلالي بينهما؟

للنحاة والمفسرين في الفرق بين (واحد) و(أحد) قولان:

الأول: أنهما مترادفان، وأصل (أحد) (وَحَدَ) قُلبت الواو همزة للتخفيف(٤). واعترض عليه بأن هذا القلب في الهمزة المفتوحة قليل، والأكثر في المكسورة والمضمومة كوجوه وإجوه، ووسادة وإسادة، ووناة وإناة(٥). وذهب الدكتور إسماعيل عمايرة إلى أنّ (أحد) مصدر من الثلاثي (أحِد) وُصف به الله، وهو بمعنى اسم الفاعل، فـ(أحد) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، بمعنى (واحد)(٦).

الثاني: أنهما غير مترادفين ، وذكروا وجوهاً للفرق بينهما:

الأول: أن الواحد اسم لمتفتح العدد فيقال: واحد واثنان وثلاثة، ولا يُقال أحد، اثنان، ثلاثة، وأحد أقدم من واحد في الترتيب العددي، والدليل على ذلك أنها استخدمت في اللغات السامية القديمة كالعبرية، والأكدية، والحبشية، وأنّ العربية تحتفظ بكلمات تحتوي على أحد، كـ(يوم الأحد)، وأنها استخدمت في الترتيب العددي بعد العشرة، وهذه أدلة على أن (أحد) أقدم من (واحد)(٧).

الثاني: أن أحداً في النفي أعم من واحد، لهذا يُقال ما في الدار واحد بل فيها اثنان، ولا يُقال ما في الدار أحد بل فيها اثنان.

---

(١) البقرة: ١٦٣.
(٢) النساء: ١٧١.
(٣) الإخلاص: ١.
(٤) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج٣٢: ١٧٩.
(٥) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج٣٢: ١٧٩، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٥٧١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠: ٦١٣.
(٦) انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨٢٣هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٦ج ، تحقيق محمد النجار وعبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية ،بييروت،ج٥ : ١٧٠ ،والعمايرة، دراسات لغوية مقارنة: ٢٩٦.
(٧) انظر: المصدر السابق: ٢٧٠-٢٧١.

الثالث: أن لفظ واحد يوصف به أي شيء، فتقول: رجل واحد. أمّا أحد فلا يوصف به إلا الله في جانب الإثبات فلا يُقال: رجل أحد[١].

والأقرب إلى الدلالة التوحيدية هو أن (أحداً) لا يوصف به غير الله تعالى حتى صار نعتاً خاصاً به، بخلاف (واحد) الذي يحصل فيه المشاركة. لهذا فـ(أحد) أقوى في الدلالة على التوحيد من (واحد) للأسباب التالية:

١- أنه لم يذكر لام التعريف في (أحد)، وذلك لأنه صار نعتاً لله عز وجل على الخصوص، فصار معرفة، فاستغنى عن التعريف. أمّا (واحد) فهو بحسب موصوفه[٢].

٢- أن (أحد) لا يُجمع، والآحاد جمع (واحد) لا أحد[٣].

٣- أنّ (أحد) صفة مشبهة، و(واحد) اسم فاعل، والصفة المشبهة أثبتت في تمكن الوصف في موصوفها من اسم الفاعل الذي لا يُفيد التمكن[٤]. وسبب مجيء (واحد) على صيغة اسم الفاعل دون سائر الأعداد الأصلية هو الدلالة على العلاقة الوصفية بين العدد والمعدود، فهو الوحيد الذي يأتي صفة للمعدود – إذا استثنينا الإثنين–، فنقول: (رجل واحد)، حيث يأتي صفة للمعدود، فلما كان (واحد) وصفاً للمعدود والمعدود يدل عليه، كان ذكره من باب وصف المعدود والتأكيد عليه[٥]. وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، للدلالة السابقة.

٤- أن اسم الفاعل (واحد) مرحلة تطورية طرأت على الأصل وهو (أحد) للتعبير عن العلاقة الوصفية بين العدد والمعدود[٦].

٥- أنّ قولنا: (الله أحد) يدل على أنه متفرد متوحد متميّز بالألوهية، لا مثيل ولا شبيه ولا ثاني ولا ثالث له، أمّا قولنا: (الله واحد) فيدل على عدم المتعدد، فمن دونه ليس بإله. فكلاهما يدل على نفي الشريك عنه سبحانه، لكن الله (أحد) دال على التفرد من غير النظر إلى وجود غيره، أما الله (واحد) فهي نفي التعدد وإثبات لواحدية الله تعالى في إلوهيته[٧].

---

[١] انظر: الرازي، تفسير أسماء الله الحسنى: ٣١٠، والعمايرة، دراسات لغوية مقارنة: ٢٧١-٢٧٢.
[٢] انظر: الرازي، تفسير أسماء الله الحسنى: ٣١١، والأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٨.
[٣] انظر: الرازي، تفسير أسماء الله الحسنى: ٣١١.
[٤] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠: ٦١٤.
[٥] انظر: عمايرة، دراسات لغوية مقارنة: ٢٦٦-٢٦٩.
[٦] انظر: المصدر السابق : ٢٦٨-٢٦٩.
[٧] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠: ٦١٤.

٦- أنّ (أحد) دال على وحدانيته من جميع الوجوه، وأنه لا كثرة هناك أصلاً. فهو الجامع صفات الجلال والكمال، ومنزه عن التركيب والتعدد. أمّا (واحد) فهو نفي للتشكيك بوحدانيته عن طريق نفي التعدد(١).

أمّا عن العدد الترتيبي من (الواحد) وهو: (الأول)، فإنه لا علاقة له بمادة (وَحَدَ)، وهو على صيغة (أفعل)، بخلاف الأعداد الترتيبية الأخرى والتي جاءت على صيغة (فاعل). وهذا العدد مختلف في أصله، فمنهم من قال إنّ أصله (أوَلَ)، ومنهم من عاد به إلى (وَأَلَ)، ومنهم إلى (وَوَلَ)، ومنهم إلى (أَيَلَ). والأول بمعنى المتقدم وهو نقيض الآخر(٢).

وذهب الدكتور إسماعيل عمايرة إلى أن الأقرب إلى معنى (أول) أو (وأل) هو الأصل الذي يأل ويرجع إليه الشيء أو الإنسان؛ لأن من معاني كلمة (الأول) هو القديم الذي لا أول له ولا آخر، وهذا المعنى يتفق مع أسماء الله، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو القديم الذي لا أوّل له ولا آخر، وهو الذي إليه المآل والمرجع(٣).

٣. (الرحمن) و (الرحيم)/ المعيار: توحيد أسماء وصفات

اسمان مشتقان من الرحمة. والرحمة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وهي في حق الله إحسان دون رقة. ولكن هل لهما الدلالة نفسها؟ وإذا كانا يؤديان الدلالة نفسها، فلم جاء بالوصفين، ولم يأت بأحدهما على اعتبار أنه يؤدي الدلالة عينها؟

لهذا نقول إن الدلالة مختلفة بينهما، وإلا لما جمع بينهما في سياق الآية، واكتفى بأحدهما للدلالة على المعنى المراد. فما الفرق الدلالي بينهما؟ وما رأي المفسرين والنحاة في ذلك.

ذهب المفسرون والنحاة في الفرق بينهما مذاهب، وهي:

١) أن (رحمن) أبلغ من (رحيم)؛ لأن زيادة المبنى في الغالبيؤدي إلى زيادة المعنى. واعتُرض عليه بأنه أردف وصفه (الرحمن) وهو الأبلغ بوصفه (الرحيم)، والأصل العكس؛ لأن أهل البلاغة ينتقلون من البليغ إلى الأبلغ ومن القوي إلى الأقوى. وقدأجابوا عن هذا بأنه من باب التعميم بعد التخصيص، وذلك بكون الرحمن مختصاً به تعالى لا يشركه به غيره، فهو الذي

(١) انظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج٥: ٥٤٧-٥٤٨، وابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٣٠: ٦١٤.
(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١: ١٩٣-١٩٥، مادة (أوَلَ)، و٢١٢ مادة (أَيَلَ)، وج١٥: ١٣٧-١٣٨، مادة (وَأَلَ).
(٣) انظر: عمايرة، دراسات لغوية مقارنة:٢٧٨.

وسع كل شيء رحمة، والرحيم يُطلق على غير الله، وهو الذي كثرت رحمته. فالصفة الخاصة به سبحانه أولى بالتقديم من الصفة التي تستعمل في غيره[١].

٢) أنّ الله هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أن إحسانه في الدنيا يشمل المؤمن والكافر. وفي الآخرة يختص بالمؤمن[٢].

٣) أنّ (الرحمن) للمقتصدين، و(الرحيم) للظالمين[٣].

٤) أنّ (الرحمن) هو المتجاوز عن زلات الأولياء، و(الرحيم) المتجاوز عن الجفاء[٤].

٥) أن (الرحمن) يوجب محبته، و(الرحيم) يوجب رحمته[٥].

٦) أنه (الرحمن) لأنه يخلق ما لايقدر عليه العبد. و(رحيم) لأنه يفعل ما لا يقدر العبد على جنسه[٦].

٧) اتهم بعض المستشرقين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– بأنه قدّم اسماً لله تعالى وهو (الرحمن)، وحاول أن يفرض له شعبية، إلا أنه فشل لذلك عمل على محوه. وهذا الاتهام الخطير مرفوض ويدل على جهل قائله؛ لأن هذا الاسم يقع في بداية (١١٣ سورة) من القرآن الكريم، ويردده المسلم في كل عمل يقوم به، وتوجد سورة في القرآن تحمل هذا الاسم، وهذا يدل على أنه اسم من أسماء الله كباقي أسمائه[٧]. كما قال المستشرق الفرنسي (بلاشير) إنّ لفظ الرحمن يمكن استعماله للبشر، وهذا خلاف ما جاء في أغلب التفاسير، ويترجمه إلى الفرنسية ترجمة غير دقيقة، يخالف فيها معظم المترجمين الفرنسيين الذين ترجموا هذه اللفظة[٨].

والذي يبدو أن المعنى الثاني هو الأقرب إلى المعنى العام للرحمة؛ لأنه فيه دلالة على الإنعام والإفضال، وهو الموافق للإحسان الدال عليه مفهوم الرحمة. إضافة إلى أنه موافق

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٤٩–٥٠، والأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٧، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١: ٣٩، وابن عاشور،التحرير والتنوير، ج١: ١٧١–١٧٢، والآلوسي، روح المعاني، ج١: ٥٩.

[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٤٩–٥٠، والأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٧، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١: ٣٩، والآلوسي، روح المعاني، ج١: ٥٩.

[٣] انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج١: ١٧٧.

[٤] انظر: المصدر السابق، ج١: ١٧٧.

[٥] انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج١: ١٧٧.

[٦] انظر: المصدر السابق، ج١: ١٣٩.

[٧] انظر: خليفة، محمد، الاستشراق والقرآن العظيم، ط١، ترجمة: مروان عبد الصبور شاهين، مراجعة: عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٤م: ١٤٧–١٤٨.

[٨] انظر: عوض، إبراهيم، المستشرقون والقرآن: دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٣م: ٥٥–٥٦.

للسياق القرآني، فقد جاءا في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [(١)]، بعد لفظ (الله) الدال على القهر والكبرياء والعظمة، وصفة (رب) الدال على القدرة والعظمة ليشعر الخلق بأنه كما وصف بالقهر والكبرياء والهيبة والقدرة، فإنه بالمقابل الرحمن الرحيم المحسن إلى عباده، المنعم المتفضل عليهم بما يشاء ومتى يشاء وكيف يشاء. فمعظم تدبيره بنا سبحانه رحمات علينا.

وجاءا في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٢)]، وصفين (لإله) الدال على أنه المعبود الحق المستحق وحده للعبادة، ليدل على أنه هو المنعم عليك في دار الدنيا بالإنشاء السوي والصحة والعافية ودين الحق وغيرها من النعم، ثم بالوعد الصادق بالنعيم والإحسان وحسن العاقبة في الآخرة[(٣)].

كما أنه –المعنى الثاني– يشمل المعاني: الثالث والرابع والخامس والسادس؛ لأن إحسان الله ومنّه وفضله يشمل المقتصدين والظالمين، والذي يُحسن يتجاوز عن الزلات والجفاء، ويحبُّ من يُحسن إليهم إذا أطاعوه، إضافة إلى أن الإحسان لا يكون إلا عن مقدرة.

---

(١) الفاتحة: ٢–٣.

(٢) البقرة: ١٦٣.

(٣) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٢: ٧٦– ٧٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢: ٧٥–٧٦

المبحث الثاني
الأثر النفسي لآيات التوحيد

مقدّمة

يُعرض في هذا المبحث أثر الخطاب التوحيدي على المخاطـب، وذلـك باسـتخلاص المعاني النفسية المستقاه من الخطاب التوحيدي، مستفيداً مـن الأسـاليب التعبيريـة للخطـاب التوحيدي، ومن الإشارات الإيحائية للألفاظ والتراكيب في السياق.

وهذه المعاني تختلف باختلاف المخاطب، لأن المخاطب إمّا أن يكون موحداً، أو مشركاً، أو ملحداً، أونصرانياً، أويهودياً. لهذا ستُعرض المعاني النفسية التي أتت عليها آيـات التوحيـد وأثرت في نفسية هذا المُخاطب مرتبة حسب الكثرة، ثم يُستشهد على هذه المعـاني بالأسـلوب التعبيري الذي شملته الآية، إضافة إلى الأثر النفسي لأسماء الله وصفاته، وهذا كله يكون ضمن السياق الذي ورد فيه هذا الأسلوب، أو ذلك الاسم، او تلك الصفة، لأن السياق بما يحملـه مـن ألفاظ وإشارات، يُساعد في الكشف عن المعنى النفسي،ومدى تأثيره في نفس المخاطب.

قبل البدء في عرض هذه المعاني النفسية، لا بد من الإشارة إلى أن بعض هذه المعـاني مستنتجة من قراءاتٍ في تفاسير، حيث لم يكن هذا المعنى أو ذلك مصرحاً به نصـاً فـي هـذه التفاسير، وإنما توصلنا إليه بناء على ما تحتويه من إشارات ترجّح المعنى الذي أثبتناه.

وقد كشف البحث في الأساليب التعبيرية وفي ألفاظ الخطاب التوحيدي،عن عدة معانٍ كان لها أثر واضح في نفس متلقي الخطاب التوحيدي،وهذه المعاني هي:

المعنى الأول: الخوف والرهبة

جاءت آيات التوحيد تحذر من معصية الله، والإشراك به، وتأمر بترك عبادة الأصنام التي جاءت بها الديانات الأخرى، وتدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده. وهذا ترك أثراً نفسياً في نفوس هؤلاء المشركين، وهو الخوف والرهبة، الخوف من هذا الشرك الذي هم عليه، والخوف من مصيرهم إن استمروا في عنادهم واستكبارهم.

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن معنى الخوف والرهبة، بطرائق كثيرة امتازت بدقة السبك، ورصانة الصياغة، لتكون أبلغ تأثيراً في النفوس، وأهمها:

أولاً: الاستفهام: جاء الاستفهام لإثارة معنى الخوف والرهبة، بطريق التهديد والوعيد، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[١]، فهو تهديد، حيث يتجلى سلطان الله محيطاً بالعباد، وهو ما يُثير في النفس الخوف والانكسار لله تعالى، وبالتالي تسقط جميع الآلهة الزائفة[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾[٣]، تهديد ببطش الله، وأخذ المكذبين بسلطانه، الذي لا يُرد، وهذا يُزلزل قلوبهم ويُفزعهم؛ لأن لا أحد غيره سبحانه يستطيع إرجاع ذلك[٤].

وعبّر بالاستفهام لإثارة الخوف والرهبة في نفوس منكري البعث، عن طريق تهديدهم وتقريعهم وتوبيخهم على إنكارهم لهذه القضية، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٥]، الخطاب مُشعر بالتهديد لمنكري البعث، كون هذا الإنكار يؤدي بهم إلى القول بعبثية الخلق، فخاطبهم الله موبخاً إياهم على هذا الاعتقاد، مما يؤدي إلى زلزلة قلوبهم، وخوفهم من مصيرهم الذي سيلاقونه: (وأنكم إلينا لا ترجعون)[٦].

---

[١] الأنعام: ٤٠.
[٢] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٧: ١٠٢٥.
[٣] الأنعام: ٤٦.
[٤] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٧: ١٠٢٧.
[٥] المؤمنون: ١١٥.
[٦] انظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،ج١٨: ٢٤٨٢،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٨: ١٣٣.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[١]، لم يرد أن يسألهم، لاستحالة ذلك، وإنما أراد أن يُثبت حقيقة من وراء الاستفهام، وهي أن الرسل كانوا يقرون بحقيقة التوحيد منذ أقدم هؤلاء الرسل، فعلام يرتكن هؤلاء الذين يجعلون من دون الرحمن آلهة يعبدونها؟ فهو إنكار لمقولة المشركين، يحمل التهديد على فعلتهم، وهذا يُثير في أنفسهم الاضطراب والقلق، الذي يؤدي إلى الرهبة والخوف، من مصيرهم الذي ينتظرونه جراء عنادهم واستكبارهم[٢].

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن إثارة معنى الخوف بأسلوب الاستفهام، عن طريق الدعوة إلى التفكر والنظر في خلق الله، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[٣]، الخطاب يبعث في النفس العظمة لهذا الخالق العظيم عن طريق التأمل والتفكر في خلق الله، للاستدلال على خالقهما العظيم، وهذا التفكر والتأمل يوحي في النفس الخشوع والإيمان، فينفتح القلب، ويوقظ الحس،ليتجاوب مع هذا الكون، ولكن أين لهؤلاء المستكبرين المعاندين من هذا التفكر والنظر الدال على قدرته في تدبير أحوال العالم العلوي والسفلي، فيبقوا وحدهم شواذ في هذا المقام العجيب، فيزيد هذا من خوفهم[٤].

ثانياً: القصر: عبّر الخطاب التوحيدي عن إثارة معنى الخوف والرهبة، بأسلوب القصر، عن طريق الدعوة للنظر والتفكر ،نحو قوله تعالى:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٥]، فهو لم يُرد حصر الألوهية الواحدة به، وأنه هو المتفرد بها، بل أراد الدعوة إلى النظر المبني على الخوف، في الأدلة التكوينية المذكورة سابقاً، للوصول إلى التوحيد؛ لأن الخشية أم الخير كله[٦].

---

(١) الزخرف: ٤٥.
(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢٥: ٣١٩١.
(٣) النحل: ٤٨.
(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٢٢٩، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٤: ٢١٧٣.
(٥) إبرهيم: ٥٢.
(٦) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٥٣٢، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ١٦٣.

وقد يعبّر عن الخوف والرهبة بأسلوب القصر، لا لحصر العبادة به، وإنما لتوبيخهم وتشنيع قولهم، نحو قوله تعالى: ﴿...لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[٢]، فالخطاب هنا لليهود والنصارى، الذين يزعمون الولد لله –تعالى عن ذلك–، فالله يوبخهم ويشنّع قولهم هذا بقوله: إنّ أمرهم ما كان إلا بعبادة إله واحد، المتفرد بالألوهية[٣].

ويأتي الحصر لتخويف المشركين عن طريق التحدي والاستنكار، نحو قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٤]، فالرسول –صلى الله عليه وسلم– يُنكر الآلهة الأخرى المدعاة من قبل المشركين، ويقرر عكسها، ويشهد لربه بالوحدانية المطلقة والألوهية المتفردة، فهو يتبرأ من شركهم مستنكراً عليهم هذا الشرك[٥].

وقد يُعبر عن إثارة الخوف والرهبة بالحصر، لإنكار اعتقاد المشركين، نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٧]، فهو يُبطل اعتقاد المشركين، الذين ادّعوا لله البنين والبنات– تعالى عن ذلك–، وأن له شركاء، ويقرر مقابل ذلك أنه هو المعبود بحق، فلا إله غيره، ولا ربّ سواه، وهذا يغيظ المشركين، ويُثير في نفوسهم الخوف والفزع[٨].

وقد يعبّر الخطاب التوحيدي عن إثارة الخوف والرهبة بالحصر لتسخيف معتقد، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[٩]، فإبراهيم يبيّن لهم فساد ما هم عليه، وسُخف ما يعبدون من دون الله، وبطلان ما يفعلونه؛لأن فعلهم هذا يخلقونه خلقاً بلا سابقة، أو

---

[١] من سورة آل عمران: ٢، ٦، ١٨.
[٢] التوبة: ٣١.
[٣] انظر: ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٣: ١٤٧، وج١٠: ١٦٩– ١٧٠.
[٤] الأنعام: ١٩.
[٥] انظر: سيد قطب،في ظلال القرآن،ج٧: ١٠٥٧،و ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٧: ١٧٠.
[٦] الأنعام: ١٠٢.
[٧] الأنبياء: ١٠٨.
[٨] انظر:سيد قطب، في ظلال القرآن،ج٧: ١١٦٣، وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٧: ١٧٠.
[٩] العنكبوت: ١٧.

مقدمة، وهذا التسخيف بآلهتهم، يُثير في أنفسهم الاضطراب والقلق، فيجعلهم غير مرتاحين لما هم فيه من ضلال[١].

وقد يُراد من القصر التعريض بالمشركين وتقريعهم، وهذا يثير في نفوسهم الخوف والرهبة، نحو قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٢]، فهو يعرّض بالمشركين عن طريق إبطال دعواهم (تعدد الآلهة) بقوله: (لا إله إلا هو)[٣].وهذا يُثير في أنفسهم الخوف والفزع؛ لأنهم ادّعوا باطلاً واتبعوا هوى.

ثالثاً:الأمر: جاء الخطاب التوحيدي بأسلوب الأمر، لإثارة الخوف والرهبة، مستخدماً صيغ الأمر، ومنها: فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤]، الخطاب دعوة للتفكر والنظر، والتمعن في أسرار هذا الكون، للوصول إلى ألوهيته الحقة، ومن ثمَّ إفراده بالعبادة، حيث إن هذه الأسرار تشهد بألوهيته –سبحانه–، فلماذا لا تهتز مشاعركم وأحاسيسكم للاستجابة لهذه الدعوة، وهي إفراده سبحانه بالعبادة، وعدم الإشراك (اعبدوه). فالخطاب هنا تفظيع بالمشركين، الذين لم يتعظوا بهذه الدلائل على وحدانيته، وأشركوا معه غيره. فهو توبيخ وتقريع لهم، يثير في أنفسهم الخوف والرهبة[٥].

وعبّر الخطاب التوحيدي بالأمر عن معنى الخوف والرهبة، بطريقة إبطال معتقدٍ بالحجة والبرهان، وتوبيخهم على هذا الاعتقاد الباطل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾[٧]، المسيح يخاطب قومه، الذين قالوا: إن الله اتّحد بالمسيح، وها هو يُبطل ذلك بقوله: (ربي، وربكم)، فالمربوب لا يمكن أن يكون إلهاً. فهو توبيخ لهم، واستخفاف بعقولهم . فأنتم تدّعون أني إله ،

---

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢٠: ٢٧٢٨.
(٢) المزمل: ٩.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩: ٢٦٧.
(٤) يونس: ٣.
(٥) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١١: ١٧٤٩.
(٦) آل عمران: ٥١، ومريم: ٣٦، وفي الزخرف: ٦٤: (إن الله هو ربي...).
(٧) المائدة: ٧٢.

وها أنا أنفي ذلك. فقول عيسى –عليه السلام–: (اعبدوا الله) تنبيهٌ وتعريضٌ، وإثباتٌ لكفرهم وإشراكهم، وهذا يثير في أنفسهم الاضطراب والقلق، و الخوف مما ارتكبوه في حق الله(١).

وقد عبّر الخطاب التوحيدي بالأمر عن معنى الخوف والرهبة، بطريقة التعريض بالمشركين والتفظيع بهم، نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ﴾(٢)، الأمر موجه للمشركين، بالخضوع إلى الله، وعدم تكذيب رسوله، وعدم الإعراض عن القرآن، وفي هذا تعريض بهم لعدم امتثالهم دعوة نبيهم، مما يثير في أنفسهم الخوف والرهبة مما هم عليه(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ... ﴾(٤)، الأمر للنبي بمجاهدة النفس في العبادة، وذلك للتنويه بالتوحيد، والتفظيع بالإشراك(٥).

وقد استخدم الخطاب التوحيدي صيغة: (لام الأمر + الفعل المضارع)، لإثارة الخوف في نفس المشركين (قريش)، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾(٦)، حيث جاءت هذه الآية بعد ذكر نعم منّ الله بها على قريش، فذكّرهم بأن المنعم بهذه النعم، هو وحده المستحق للعبادة، ويجب عليكم أن تعبدوه، وهذا المن على قريش وهم مشركون، وتذكيرهم بأن هذا الإنعام ما كان إلا لعبادة الله وحده، وعدم الإشراك، يجعلهم خائفين من ذهابها(٧).

رابعاً: الشرط: عبّر الخطاب التوحيدي بالشرط، لإثارة الخوف والرهبة في نفوس المشركين، عن طريق إبطال دعواهم، التي تزعم تعدد الآلهة، وذلك في آيات كثيرة(٨)، منها: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ

---

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٣: ٤٠١، وج٦: ٩٤٣، وج١٦: ٢٣٠٨-٢٣٠٩، وج٢٥: ٣١٩٩-٣٢٠٠، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٦: ٢٨٠- ٢٨١.
(٢) النجم: ٦٢.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧: ١٦١.
(٤) مريم: ٦٥.
(٥) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن،ج١٦: ٢٣١٥،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٦: ٤٢.
(٦) قريش: ٣.
(٧) انظر:الشوكاني، فتح القدير،ج٥: ٦٧١،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج٣٠: ٥٦٩- ٥٦٠،.
(٨) الإسراء: ٤٢، والأنبياء:٩٩، والمؤمنون:١١٧، ويُنظر تفسيرها في: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١٧: ٢٣٩٩، وج١٨: ٢٤٨٢-٢٤٨٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ١١٠، وج١٧: ١٥٣.

ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١]، هذه الآية دليل كوني على إبطال آلهة الكفار، وهذا الدليل مترتب على سؤالهم في الآية السابقة: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾[٢]، حيث يستنكر من سؤالهم، وهو اتخاذهم آلهة من دون الله، ويسخر من هذه الآلهة، التي لا تستطيع نشر الأموات من الأرض، وهذا التهكم والسخرية بآلهتهم يثير في أنفسهم الاضطراب والخوف[٣].

وعبّر بالشرط المقدّر لإثارة الخوف عن طريق تسخيف قول المشركين المخالف للتوحيد، نحو قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[٥]، يكشف سبحانه في هاتين الآيتين عن سخف وتفاهة تصور المكذبين والكافرين، الذين زعموا لله ولداً، وهذا التسخيف يثير في أنفسهم الاضطراب والخوف من مصيرهم، بسبب ما قالوه في حق الله[٦].

وعبّر بالاسم الموصول المتضمن معنى الشرط لإثارة الخوف عن طريق التهديد والوعيد، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[٧]، وعيدٌ لهم بالمجازاة على استهزائهم، وجعلهم إلهاً مع الله في الآخرة، كما جوزوا في الدنيا، وهذا الوعيد والتهديد يثير في أنفسهم القلق والاضطراب، والخوف من مصيرهم: (فسوف يعلمون)[٨].

---

(١) الأنبياء: ٢٢.
(٢) الأنبياء: ٢١.
(٣) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٧: ٢٣٧٣.
(٤) المؤمنون: ٩١.
(٥) الزمر: ٤.
(٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٨: ٢٤٧٨- ٢٤٧٩، وج٢٤: ٣٠٣٧.
(٧) الحجر: ٩٦.
(٨) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٤٩٨، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٤: ٢١٥٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤: ٩٠.

خامساً: القسم: جاء القسم في آيات التوحيد، على لسان نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، ليزيد من خوف المشركين، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ﴾(١)، القوم يستنبؤن الرسول إن كان عذاب الآخرة حق، فهم مزلزلون من الداخل اتجاهه، يريدون التيقن منه، وليس بهم من يقين، فجاء الجواب منه –صلى الله عليه وسلم– حاسماً مؤكداً بيمين، ليزيد من الاضطراب والخوف في أنفسهم(٢).

وعبّر عن هذا الخوف بلسان المشركين أنفسهم، الذي أدّى بهم الخوف إلى القسم به سبحانه، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾(٣)، هذا المشهد البائس المخزي المهين؛ وهم موقوفون في حضرة ربهم الذي كذبوا بلقائه، لا يبرحون الموقف، وكأنما أخذ بأعناقهم حتى وقفوا في هذا المشهد الجليل الرهيب، يسألهم: (أليس هذا بالحق)، وهو سؤال يُخزي ويُذيب! (قالوا بلى وربنا) أكدوا جوابهم بالقسم تحقيقاً لاعترافهم بما شاهدوا يوم الحساب أنه لله تعالى، والقسم مشعر بخوفهم، فهم من هول الموقف اعترفوا بأحقية ذلك لله(٤).

وعبّر بالقسم لإثارة الخوف والرهبة عن طريق التهديد، نحو قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾(٥)، القسم مشعر بالتهديد، فالله يُقسم بنفسه، –وهو أعظم وأجلُّ قسم–، أنكم أيها المنكرون للبعث سوف تحشرون إليّ، وهذا يثير في أنفسهم الاضطراب والخوف(٦).

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٧)، القسم مُشعر بالتهديد، ومستعمل في لازم معناه، وهو عقاب المسؤول، فهو وعيد وتقريع، وهذا يثير في أنفسهم الخوف(٨).

---

(١) يونس: ٥٣.
(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٣٣٥، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٧١، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١١: ١٧٩٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١: ١٩٦.
(٣) الأنعام: ٣٠.
(٤) انظر:سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٧: ١٠٧١،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج٧: ١٨٨.
(٥) مريم: ٦٨.
(٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٦: ٢٣١٧.
(٧) الحجر: ٩٢-٩٣.
(٨) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٥٥٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤: ٨٧.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ... ﴾[١]، إثبات إتيان الساعة بالقسم للدلالة على ثقة المتكلم بأنها آتية، وليس ذلك لإقناع المخاطبين، وهو تأكيد يروّع السامعين المكذبين[٢].

سادساً: النهي: جاء الخطاب التوحيدي بالنهي، لإثارة معنى الخوف والرهبة في نفوس المشركين، عن طريق التهديد والتقريع، نحو قوله تعالى:﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ﴾[٣]، تهديد وتقريع لكل فرد يحيد عن التوحيد، بأنه سوف يقعد مذموماً بالفعلة الذميمة التي ارتكبها، مخذولاً لا ناصر له، وهي صورة توحي بالضعف والاستكانة والعجز، التي يكون عليها المخذول، وهذا يزيد من الخوف في نفوسهم[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾[٥]، توعد من الله تعالى، لكل من أشرك مع الله، وادّعى الألوهية لغيره، فهو يحذرهم من الشرك، ويعرّض بهم بأنهم سيعذبون: (فتكون من المعذبين)، وهذا يثير في نفوسهم الخوف من مصيرهم[٦].

سابعاً: التصوير الفني: قدّم الخطاب التوحيدي مشهداً دالاً على قدرته –سبحانه–، لإثارة الخوف في نفوس المشركين، نحو قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ... ﴾[٧]، وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٨]، مشهدٌ يحمل من الدلالة على الوعيد، والتهديد، والترهيب للكافرين المكذبين بالرسول –صلى الله عليه وسلم–، ما يجعل

---

[١] سبأ: ٣.
[٢] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢: ١٣٩.
[٣] الإسراء: ٢٢.
[٤] انظر:سيد قطب،في ظلال القرآن، ج١٥: ٢٢٢٠،وابن عاشور،التحرير والتنوير، ج١٥: ٦٤.
[٥] الشعراء: ٢١٣.
[٦] انظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،ج١٩: ٢٦١٩،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٩: ٢٠٠.
[٧] الأنعام: ١٥٨.
[٨] الفجر: ٢٢.

النفس تضطرب، وتهتز من هول العذاب الذي سيجيئهم، لسوء ظنهم، وتكذيبهم بالرسول – صلى الله عليه وسلم –، بعد ما جاءهم بالدلائل على صدقه[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾[٢]، مشهد النكاية في الإنس والجن، والانتقام منهم، عن طريق الوعيد والتهديد الشديد من الله لهم، وأنه –سبحانه– لا يشغله شأن عن شأن. وهذا يثير في نفوسهم الاضطراب والقلق والخوف[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾[٤]، مشهد البخل والكرم. تهديد لليهود الذين زعموا أنه تعالى بخيل: (يد الله مغلولة)، بإبطال هذا الزعم، وبيان أن عطاياه لا تنفد عن كل مخلوق، ظاهرة للعيان، شاهدة باليد المبسوطة، والفضل. وهذا التهديد يثير في أنفسهم الاضطراب والقلق والخوف مما قالوه، ومن مصيرهم الذي ينتظرهم[٥].

وقد كان الخطاب التوحيدي بارعاً في عرض الصورة للتعبير عن المعنى المُراد في هذه الآية أو تلك، لتشكّل مشهداً أشاع في نفس متلقيه الخوف والرهبة.

المعنى الثاني: الارتياح والطمأنينة

وهو شعور في النفس، يحس المرء معه بارتياح كبير، وهذا الشعور خاص بالمخاطب الموحد، على عكس غير الموحد، الذي يشعر تجاه هذا الخطاب بالخوف والرهبة، والاضطراب والقلق. وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن هذا المعنى بطرائق كثيرة، منها:

أولاً: الأمر: جاء أسلوب الأمر، لإشاعة الطمأنينة في نفس الموحد، مستخدماً صيغة فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾[٦]، الخطاب للمؤمنين، لتجديد معنى التوحيد

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٧٧–٧٨، وج٥: ٧٥٤–٧٥٥، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧: ١٤٤، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٤: ٦٩٨، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٨: ١٢٣٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨: ١٨٥.

(٢) الرحمن: ٣١.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٤٤٨، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٦٣، والشوكاني، فتح القدير، ج٥: ١٨١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧: ٢٥٧، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٧: ٣٧٦، والعسكري،أبا هلال ، الحسن بن عبدالله بن سهل(ت٣٩٥هـ) الصناعتين،ط١،تحقيق مفيد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت١٩٨١م : ٢٩٦– ٢٩٧.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) انظر: سيد قطب، الظلال، ج٦: ١٩٢٩.

(٦) النساء: ٣٦.

في النفوس، بالخضوع والامتثال لأمر الله، وهذا يثير في نفس المؤمن الارتياح و الطمأنينة، لكونه خاضعاً، وممتثلاً لأمر الله، فيشعر برضاه –سبحانه– وهو يقر بالتوحيد له[١].

وقد خاطب الله نبيّه بالعبادة، وأمره في عدة آيات[٢]، منها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣]، ليس لأنه غير موحد، وإنما لإراحته وطمأنته، وبث روح الثقة في نفسه، و إراحة كل موحد. فالخطاب للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– والمقصود به كل موحد، فهي تقرر عقيدة التوحيد، فيشعر الموحد بالراحة والاطمئنان؛ لأنه يؤمن بأن الله هو مبدع كل شيء، ويحس بذلك في كل ما حوله، وهذا يخلق في نفسه الأنس بالله، وببدائعه التي تلمسها يداه، وتقع عليها عيناه، كما أنها تخلق في النفس الخضوع والانقياد لله تعالى، فلا يحني هامته لأحد سواه، ولا يطلب شيئاً من غيره، ولا يعتمد على أحد من خلقه. وهذا يثير في نفسه الاطمئنان، لأنه يشعر بأن مصيره بيد خالق عظيم قادر[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[٥]، الأمر بعبادة الله وحده، يُشعر بالاطمئنان للمؤمنين، الذين يفتنهم أولئك المكذبون عن دينهم، ويمنعونهم من عبادة ربهم، فيناديهم ربهم ويدعوهم إلى الفرار بدينهم، ليشعروا بقربهم من الله (عبادي)، والحرية في العبادة، ويعيشوا مطمئنين في أرض الله الواسعة[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[٧]، يأمر الله نبيّه موسى –عليه السلام– بالعبادة، وهو موحد لله تعالى، وخاطبه بأمور التوحيد والاعتقاد، ليس لأنه يجهلها، وإنما لإراحة نفسه، وإيناسها، وليشعر بالاطمئنان؛ لأن هذا الخطاب، جاء بعد أن كان بالوادي المقدّس مستوحشاً، يبحث عن مصدر إضاءة، فأراد الله أن يُذهب الخوف عنه، فخاطبه بما يؤنس وحشته، وهي أمور التوحيد والعبادة[٨].

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥: ٤٨.
(٢) هود: ١٢٣، والحجر: ٩٩، والزمر: ٦٦.
(٣) الزمر: ٢.
(٤) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢٤: ٣٠٣٦.
(٥) العنكبوت: ٥٦.
(٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢١: ٢٧٤٨– ٢٧٤٩.
(٧) طه: ١٤.
(٨) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦: ٢٠٠.

ثانياً : الحصر: عبّر الخطاب القرآني عن معنى الارتياح والطمأنينة، بأسلوب الحصر، مستخدماً أسلوب النفي والاستثناء،نحو قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴾[١]، الخطاب هنا لسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، يأمره تعالى بالثبات على التوحيد، عن طريق زيادة تقريره في النفس، حيث ينتج عن هذا الإقرار والثبات، الاطمئنان لنفسه –صلى الله عليه وسلم–، ثم التواضع المعبر عنه بالاستغفار[٢].

وفي قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ... ﴾[٣]، كلمة التوحيد تشرح صدر الموحد، وتزرع في نفسه الطمأنينة والراحة، وتجعله يوقن في نفسه، أن المتصرف في شؤونه هو إله واحد[٤].

وقد استخدم الخطاب التوحيدي، طريقة تقديم ما حقه التأخير، لإثارة الراحة والطمأنينة في نفس الموحد، نحو قوله تعالى: ﴿ ...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ... ﴾[٥]، حصر الخالقية والأمر له سبحانه، يثير في النفس الاطمئنان؛ لأن الموحد يطمئن أن مصيره بيد خالق عظيم، لا يظلم ولا يقهر عباده، فيرضى بمقام العبودية لهذا الخالق. وأيضاً حصر الألوهية به سبحانه، ينفي أن يكون لآلهة الكفار شيء من الخلق أو الأمر[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٧]، جاء بكلمة التوحيد، ثم التفريع عن ذلك بعبادته وحده، لإزالة الشرك من نفوس البشر، وتهذيب النفوس وتطهيرها من هذا الشرك، فالله يظهر عنايته بالبشر، وهذا يثير في نفوسهم الارتياح والطمأنينة، كون العناية منه سبحانه وتعالى[٨].

---

[١] محمد: ١٩.
[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٣٣٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦: ١٠٤.
[٣] البقرة: ٢٥٥.
[٤] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ،ج٣: ٢٨٦.
[٥] من سورة الأعراف: ٥٤.
[٦] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٨: ١٢٩٥– ١٢٩٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨: ١٦٠– ١٧٠، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٢: ٥٦٤.
[٧] الأنبياء: ٢٥.
[٨] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧: ٤٩.

ثالثاً: التصوير الفنـــي: عرض سبحانه عنايته بأنبيائه، لإشاعة الراحة والاطمئنان في نفوســـهم، نحو قوله تعالى: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[١]، الخطاب لموسى –عليه الســـلام–، والمراد أنه –تعالى– مُراعيه ومراقبه، كما يراعي الرجل الشيء بعينيه، إذا اعتنـــى بـــه، هـــذا الاهتمام والمراعاة، يثير في نفس موسى –عليه السلام– الراحة والطمأنينة، لكون الرعاية مـــن عنده تعالى[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ... ﴾[٣]، وقوله تعـــالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[٤]، اهتمام ومراعاة من الله تعالى، لنبيه نوح –عليه السلام–، وذلك بحماية الله وحفظه، وهذا يثير في نفسه الراحة والطمأنينة[٥]. وهذه المشاهد التصويرية في الآيـــات الســـابقة، أدّت المعنى المُراد بدقة، فجاء تأثيرها في النفس واضحاً، وهو الراحة والطمأنينة.

المعنى الثالث: التعظيم

وهو شعور في النفس، إزاء شيء أو صفة، سببه إمّا التعجب من شيء، أو مدح شيء، أو التأمل والتفكر في شيء يُبهر النفس، فينتج عن ذلك تعظيم لهذا الشيء المتعجـــب منـــه، أو الممدوح، أو المتؤمل والمتفكر به.

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن التعظيم، بطرائق كثيرة، منها:

أولاً: الحصر: عبّر الخطاب التوحيدي بالحصر، لإثارة التعظيم في النفس، عن طريـــق الـــدعوة إلى النظر والتفكر في خلق الله، للاستدلال على قدرته، نحو قوله تعـــالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ... ﴾[٦]، فهي دعـــوة

---

[١] طه: ٣٩.

[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٦٥، والقرطبي، الجامع لأحكـــام القـــرآن، ج١١: ١٩٦-١٩٧، وأباحيان، البحر المحيط، ج٦: ١٤٩، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٥٠١، سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٦: ٢٣٣٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦: ٢١٨.

[٣] هود: ٣٧.

[٤] القمر: ١٤.

[٥] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٣٧١، والقرطبي، وأباحيان، البحر المحـــيط، ج٦: ١٤٩، وج١٠: ٣٩، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٦٩٣،وج٥: ١٦٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢: ٦٦-٦٧، وج٢٧: ١٨٥.

[٦] يونس: ٥، وينظر سورتي : الحجر: ٨٥، والأحقاف: ٣.

للنظر والتفكر في هذا الكون، توحي أن الله بارع في تصميم هذا الوجود وما فيه ومن فيه، و في تكوينه وتدبيره،وهذه الدعوة توقظ القلب، وتنبه الحس، فيثير في النفس العظمة لهذا الخالق، الحكيم القادر على كل شيء[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[٢]، دعوة إلى التفكر والنظر في خلق الله، لتنبيه العقول إلى الحكمة من وراء هذا الخلق، وهذا التفكر يثير في نفس الموحد التعظيم لمبدع هذا الكون[٣].

وقد عبّر الخطاب التوحيدي بطريقة تقديم ما حقه التأخير، عن معنى التعظيم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[٤]، أمر بتعظيم الله، وتوحيده في كل زمان، وكل حال، هذا التعظيم يملأ القلب والحواس، فينتج عنه، عدم الخشية من غيره سبحانه[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٦]، تعظيم لله تعالى، عن طريق إخلاص العبادة له، والتحرر المطلق من كل عبودية، والامتثال له. وتوحي بأن العبد يفعل خلاف هوى نفسه، تعظيماً لربه[٧].

ثانياً: القسم: عبّر الخطاب التوحيدي بالقسم، بالله سبحانه، عن طريق القسم بلفظ (رب) الدال على القدرة والمهابة[٨]، نحو قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[١٠].

---

[١] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١١: ١٧٦١-١٧٦٢، وج١٤: ٢١٥٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤: ٧٥-٧٦.
[٢] الأنبياء: ١٦، وفي الدخان: ٣٨ (والسماوات والأرض، بدل السماء والأرض).
[٣] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧: ٣٠- ٣٢، وج٢٣: ٢٤٦- ٢٤٧.
[٤] المدثر: ٣.
[٥] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩: ٢٩٦، والسعافين، إبراهيم، وآخرون، أساليب التعبير الأدبي: ١٩.
[٦] الفاتحة: ٥.
[٧] انظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،ج١: ٢٥،وابن عاشور،التحريروالتنوير،ج١: ١٨٠- ١٨١.
[٨] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦: ٣٥٥، وج٢٩: ١٧٩.
[٩] الذاريات: ٢٣.
[١٠] المعارج: ٢٣.

ثالثاً: الاستفهام: عبّر الخطاب التوحيدي بالاستفهام، لإثارة العظمة في النفس، عن طريق الدعوة إلى التفكر والنظر في خلق الله، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]، دعوة للنظر والتأمل والتفكر في هذا الخلق العظيم، للاستدلال على أن خالقهما هو القادر العظيم على صنع ذلك. وهذا التأمل والتفكر في خلق الله، يثير في النفس الدهشة من هذا الصنيع العظيم المتقن، الدال على أنه خالق متفرد، و التعظيم له سبحانه. أمّا الذين عطلوا فطرتهم، فلن يلتفتوا إلى هذه القدرة في خلق السماوات والأرض، فيجيء التهديد: (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)[2].

رابعاً: التصوير الفني: عبّر الخطاب التوحيدي عن إثارة التعظيم في النفس، عن طريق رسم صورة ذات دلالة على قدرته -سبحانه-، مما يثير في النفس العظمة، تجاه هذه القدرة وصاحبها، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[3]، الاستواء على العرش، يوحي بسعة سلطانه عز وجل، وهيمنته على الكون كله، وفي هذا دلالة على قدرته -سبحانه-، التي تثير في النفس العظمة لهذا الخالق العظيم[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ...﴾[5]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾[6]، تنبيه لكل نفس، أنه تعالى المستحق لصفات الألوهية، وأنه -سبحانه- المهيمن، والمحيط بكل شيء، وفي هذا دلالة على القدرة، وهو ما يثير في النفس العظمة لهذا الخالق العظيم[7].

---

(١) إبراهيم: ١٩.

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٣: ٢٠٩٤-٢٠٩٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير،ج١٣: ٢١٤.

(٣) طه: ٥، وورد الاستواء أيضاً في السور الآتية: الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣، والرعد: ٢، والفرقان: ٥٩، والسجدة: ٤، والحديد: ٤، وفصلت: ١١.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ١٥٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ٢٥٤-٢٥٥، وأباحيان، البحر المحيط، ج١: ٢١٧-٢١٨، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٦: ٢٣٢٨، وج٢٤: ٣١١٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق٢: ١٦٢- ١٦٥، وج١: ٣٨٥، وج١٦: ١٨٧، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٢: ٥٦٣، وج٤: ٦٦، وج٦: ٦١٥.

(٥) الأنعام: ٣.

(٦) الزخرف: ٨٤.

(٧) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٤: ٤٣٤.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾[١]، وقولــه: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[٢]، وقولـــــه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣]، فـــي هذه الآيات، تصوير لجانب من حقيقة القدرة والإرادة، التي لا تتقيد بشكل، ولا تتحيّز في حيّــز، ولا تتحدد بحدود، حيث يكشف لهم عن جانب من عظمته سبحانه، وقوته ، وتفرده بخلقه، وملكه لهم، وأنه هو المتصرف بهم، والقادر عليهم، ولا يستطيع أحد من خلقه أن ينصرف ويتحرك إلا بإرادته، فهو يصوّر كل هذا بطريقة التصوير القرآنية، التي تقرب للبشر الحقائق الكليـــة، فـــي صورة جزئية، يتصورها إدراكهم المحدود[٤].

خامساً: المدح: عبّر الخطاب التوحيدي بألفاظ المدح، التي تثير في النفس التعظــيم للممــدوح، ومن هذه الألفاظ: (تبارك)، في قوله تعالى: ﴿ ...تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥]، هو تمجيد وتنزيــه لله تعالى. ومنها: (تعالى)، في خمس آيات من آيات الدراسة[٦]، منها قوله تعــالى: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[٧]، فهو من العلو بمعنى: ارتفع، وهو للمبالغة في الاتصاف، وهــو مــدح لله – تعالى–. وهذان اللفظان يثيران في النفس العظمة لهذا الخالق، الذي منّ علــى عبــاده بــالخير الكثير[٨].

---

[١] يس: ٧١.
[٢] ص: ٧٥.
[٣] الزمر: ٦٧.
[٤] انظر:أباحيان، البحر المحيط، ج٩: ٨٢،وسيد قطب، في ظــلال القــرآن ، ج٢٤: ٣٠٦١–٣٠٦٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤: ٦٢.
[٥] الأعراف: ٥٤.
[٦] الآيات هي: المؤمنون: ٩٢، ١١٦، والنمل: ٦٣، والزمر: ٦٧.
[٧] الإسراء: ٤٣.
[٨] انظر: ابــن عاشــور، التحريــر والتنــوير، ج٧: ٤٠٩، وج٨ ق٢: ١٧٠، وج١٨: ١٣٥، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٢: ٥٦٤، والخالدي، كريم حسين ناصح، الخطاب النفســي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية، ط١، دار صفاء، عمان ٢٠٠٧: ٩٤.

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن معنى المدح، الذي يثير في النفس التعظيم للممدوح، بالمصدر (سبحان)، في عدة آيات من آيات الدراسة[١]، منها: ﴿...رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢]، ومعنى سبحان الله: برءة الله من السوء.

وعبّر أيضاً عن معنى المدح، الذي يثير في النفس العظمة للممدوح، بأسماء الله تعالى وصفاته. فجاء باسم الفاعل صفة لله –تعالى–، وهذه الصفات مدح لله تعالى، يثير في النفس العظمة لهذا الخالق المان، المتفضل على خلقه، وهذه الأسماء هي: (خالق، وواحد، وراحم، وقائم، وقادر، وعالم، ومالك، وجامع، وغافر، وقابل، ورازق، وفاتح، وواسع، والبارىء، والمؤمن، والمهيمن، والمتكبر، ومجيب)[٣].

وعُبّر بالمدح لتعظيمه سبحانه، باستخدام صيغ المبالغة، وهي أسماء وصفات لله عز وجل، وهي: (جبّار، وقهّار، وغفّار، ووهّاب، وتوّاب، وخلاّق، وعلاّم، ورحيم، وسميع، وعليم، وبصير، وقدير، وغفور، ورؤوف، ورحمن، وقدوس، وقيّوم)[٤].

وجاءت صفات مشبهة أو صفات لله، للدلالة على عظمة هذا الخالق، وهي: (عظيم، وعزيز، وحكيم، ووكيل، ورقيب، وشديد، وشهيد، ويسير، والعلي، والحي، والملك، والأحد، والصمد، والحق)[٥].

وقد نُزّه –سبحانه– عن صفات، لا تليق بعظمته سبحانه، فجاءت هذه الصفات منفية عنه ، وهما: صفتي (النعاس، والنوم)، في قوله تعالى: ﴿...لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٦]، وفي هذا النفي، تحقيق لكمال الحياة، ودوام التدبير والاطمئنان؛ لأن هذا الكون ومصير من فيه، بيد الله العالم المدبر، الذي لا يغفل عن خلقه، وهذا يثير في النفس العظمة لهذا الخالق العظيم[٧].

---

[١] الآيات هي: النساء: ١٧١، والتوبة: ٣١، والإسراء: ٤٣، ومريم: ٣٥، والأنبياء: ٢٢، والمؤمنون: ٩١، وسبأ: ٤١، والزمر: ٤، ٢٣، والطور: ٤٣.

[٢] آل عمران: ١٩١.

[٣] ينظر المستوى الصرفي، مبحث المشتقات:١٢٨-١٤٢، للتعرف على معاني هذه المشتقات، والآيات التي وردت فيها،

[٤] ينظر المستوى الصرفي، مبحث المشتقات: ١٢٨-١٤٢، للتعرف على معاني هذه المشتقات، والآيات التي وردت فيها.

[٥] ينظر المستوى الصرفي، مبحث المشتقات: ١٢٨-١٤٢، للتعرف على معاني هذه المشتقات، والآيات التي وردت فيها.

[٦] البقرة: ٢٥٥.

[٧] انظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،ج٣: ٢٨٧،وابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٣: ١٩- ٢٠.

المعنى الرابع: التعجب

انفعال يهز النفس عند حدوث شيء غريب، أو مثير غير معتاد، جاء في شرح الرضي على الكافية:"واعلم أن التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، لهذا قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب، ولا يجوز التعجب منه تعالى حقيقة، إذ لا يخفى عليه شيء"(١).

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن معنى التعجب بأسلوب الاستفهام، مخاطباً بــه مُنكــري البعث، الذين ادهشوا وتعجبوا من هذه القضية، والتي كانت من أكثر القضايا التوحيدية جدالاً مع الرسول –صلى الله عليه وسلم–، لهذا جاء الخطاب التوحيدي بالأدلة التي تثبت ذلك.

وقد عبّر عن هذه الأدلة، بطريق إشراكهم في التأمل والتفكر بمــا هــو مشــاهد مــن المخلوقات، للاستدلال على قدرة الله في إعادة الخلق، فدعاهم للنظــر فــي خلــق الســماوات والأرض، والمخلوقات العظيمة، التي خلقها في عدة آيات(٢)، منها قولــه تعــالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ...﴾(٣)، يُخاطب منكري البعث، منكراً عليهم قولهم، وموبخاً لهم على مقولتهم، و يدعوهم إلى تحكيم عقولهم، لأن القــادر علــى خلــق الســماوات والأرض، قادر على خلق أمثالهم من الإنس؛ لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهن(٤).

ودعاهم للنظر والتفكر في خلقهم الأول، وتجدده للاستدلال به على الخلق الثاني، وهــو الأهون، في عدة آيات(٥)، منها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ

---

(١) الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٥: ٢٤٣– ٢٤٤.

(٢) يس: ٧١، ٨١، والأحقاف: ٣٣، والصافات: ١١، والطور: ٣٥-٣٦، يُنظــر تفســير هــذه الآيات في: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٤١٦، وأبا حيان، البحر المحــيط، ج٩: ٥٧٥، و ســيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٣: ٢٠٢٥-٢٠٥٣، وج٢٣: ٢٩٨٢– ٢٩٨٤، وابــن عاشــور، التحرير والتنوير، ج٢٣: ٧٣– ٧٤، و٩٤، وج٢٧: ٦٧– ٧٠.

(٣) الإسراء: ٩٩.

(٤) انظر:الزمخشري، الكشاف،ج٢: ٦٥٠– ٦٥١، وابن عاشــور، التحريــر والتنــوير، ج١٥: ٢١٩– ٢٢٠.

(٥) النمل: ٦٤، ولقمان: ٢٨، ومريم: ٦٧، وق: ١٥، والطارق: ٥-٦، ويُنظــر: الزمخشــري، الكشاف، ج٤: ٧٣٦، و سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٥: ٢٢٣٣، وج٢٠: ٢٦٦٠، وابــن عاشور، التحرير والتنــوير، ج١٦: ١٤٥– ١٤٦، وج٢١: ١٨٣، وج٢٦: ٢٩٧، وج٢٠: ١٨، والسامرائي، معاني النحو، ج٢: ١٣.

﴿ يَسِيرٌ ﴾(١)، دعوة للنظر والتفكر، للاستدلال بما هو مشاهد من تجدد المخلوقات، في كل حين بالولادة ، وبروز النباتات، على قدرة الله في إعادة الخلق، وهو ما ينكرونه(٢).

وهذه الدعوة (النظر والتفكر)، لإقامة الحجة عليهم، وتوبيخهم على تعجبهم، وإنكارهم لهذه القضية، التي تشهد على صدقها، وأنها حاصلة لا محالة، هذه الآياتُ، والأدلة المشاهدة، ولكنهم أناس لا يحكمون عقولهم، ويأبون إلا أن يبقوا في عنادهم، وضلالهم، الذي سيقودهم إلى الهلاك.

وقد يعبر عن التعجب بالاستفهام، عن طريق عرض قول منكري البعث، الذي يدل على تعجبهم من هذه القضية، نحو قوله تعالى: ﴿ ...أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾(٣).

وعبّر الخطاب التوحيدي بالاستفهام، لإثارة التعجب في نفس الموحد، وهو نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾(٤)، فهذا الخطاب يثير في نفسه –صلى الله عليه وسلم– التعجب من حال الذين اتخذوا إلههم هواهم، وهذا التعجب مشوب بالإنكار منه –صلى الله عليه وسلم–(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ... ﴾(٦)، تعجب واستنكار منه –صلى الله عليه وسلم–، فهم يرغبون أن يعترف بربوبية أصنامهم، فيرد عليهم مستنكراً ومتعجباً؛ لأنهم يعترفون بأنه خالق وغيره مخلوق، والأصنام باعترافهم غير خالقة لشيء، فالرسول –صلى الله عليه وسلم– يجلي مشهد الإيمان كما هو في قلبه(٧).

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن التعجب في نفس الكافر وهو فرعون، مستخدماً أسلوب الحوار بينه وبين موسى –عليه السلام–، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ

---

(١) العنكبوت: ١٩.
(٢) ينظر :سيد قطب،في ظلال القرآن،ج٢٠: ٢٧٢٩،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج٢٠: ٢٢٨.
(٣) الإسراء: ٤٩، ٩٨.
(٤) من سورتي: الفرقان: ٤٣، والجاثية: ٢٣.
(٥) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٩: ٢٥٦٦، وج٢٥: ٣٢٣٠، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩: ٣٦.
(٦) الأنعام: ١٦٤.
(٧) انظر: سيد قطب،في ظلال القرآن،ج٨: ١٢٤١،وابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٨: ٢٠٥–٢٠٦.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾(١)، جدال بين فرعون وموسى –عليه السلام–، والسؤال عن حقيقة رب العالمين الصادر من فرعون المستنكر المتهكم، يدل على جهل السائل وغبائه ، فكان جواب موسى –عليه السلام– يحمل استصغارَ ما يدّعيه فرعون، ويوجه نظره إلى التفكر في هذا الكون الهائل: (رب السماوات والأرض وما بينهما)، وهذا الجواب يثير في نفس فرعون التعجب والاستغراب، فاتهم موسى بالجنون ليُذهب أثر مقالته، ولكن يمضي موسى في طريقه بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة المتجبرين: (قال رب المشرق والمغرب)(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾(٣)، المشركون متعجبون من جعل آلهتهم الباطلة إلهاً واحداً، وهذا يثير في أنفسهم الدهشة تجاه مقولة الإله الواحد الحق(٤).

المعنى الخامس: الترغيب والترهيب

عبّر الخطاب التوحيدي عن الترغيب والترهيب، برسم مشهد شُحن بما يثير في النفس الطمأنينة (ترغيب)، ثم اتبع ذلك بما يثير الخوف (ترهيب)، أو بالعكس. نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا ﴾(٥)، إبراهيم –عليه السلام– يبدأ بالترغيب بالدعوة، وبيان ما يتبع ذلك. فما تميل النفوس إليه، وترغبه: (اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم)، يثير في نفوسهم الراحة والطمأنينة. ثم يرهّب مما هم عليه من الاعتقاد الباطل الزائف، وذلك بتسخيف آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأنها لاتضر ولا تنفع، وهذا يثير في نفوسهم الخوف، ثم يعود للترغيب بأن رازقهم والمتفضل عليهم هو الله(٦).

---

(١) الشعراء: ٢٣– ٢٨.
(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٩: ٢٥٩٢–٢٥٩٣.
(٣) ص:٥.
(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣: ٢١٠.
(٥) العنكبوت: ١٦–١٧.
(٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢٠: ٢٧٢٨.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[١]، ذكر الالهية الفردية وهو ما يفيد القهر والعلو، ثم أعقبهما بذكر المبالغة في الرحمة، ترويحاً للقلوب عن هيبة الإلهية، وعزة الفردانية، وإشعاراً بأن رحمته سبقت غضبه، وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[٣]، "وصف نفسه –تعالى– بعد رب العالمين، بأنه الرحمن الرحيم؛ لأنه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب، قرنه بالرحمن الرحيم، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته، وأمنع"[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[٥]، ذكر سبحانه صفتين من صفاته (غافر الذنب وقابل التوب)، للترغيب بأنه يجمع للمذنب بين رحمتين، وهما قبول التوبة وجعلها طاعة، ومحو الذنوب وكأنه لم يفعلها، ثم أعقب ذلك بما يدل على الترهيب لمن يكذب بالقرآن، ولا يؤمن بالله وحده: (شديد العقاب)، ثم أردف ذلك بما يُطمع في رحمته: (ذي الطول)[٦].

المعنى السادس: التكبر والعناد

هو حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. وأعظم التكبر هو التكبر على الله، بالامتناع عن قبول الحق، والإذعان له بالعبادة[٧].

وهذا المعنى ما دلّ عليه الخطاب التوحيدي، فهم تكبروا على دعوة نبيهم إلى الحق، فحادوا عن التوحيد عناداً وتكبراً منهم.

---

[١] البقرة: ١٦٣.
[٢] انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج٤: ١٩٧.
[٣] الفاتحة: ٢-٣.
[٤] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ١٣٩، وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١: ٨٧.
[٥] غافر: ٣.
[٦] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ١٣٩، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٩: ٢٣٥، والشوكاني، فتح القدير، ج١: ٨٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤: ٧٩- ٨١.
[٧] انظر: الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٤٣٨.

وقد عبّر الخطاب التوحيدي عن هذا المعنى بأسلوب الأمر: (اعبدوا الله)، في قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[١]، فالأمر هنا موجّه من أنبياء الله إلى أقوامهم، يدعونهم إلى التوحيد، فكل نبي يقدم لقومه النصح المخلص، فهو مشفق عليهم، بسبب ما يراه من العاقبة التي تتربص بهم، وهم عنها غافلون، ولكنهم لا يقدّرون هذا النصح والإخلاص، الذي يحمله قلب الرسول، فيقابلون هذا بالاستكبار والعناد، ويصرّون على ذلك، وهذا ناتج من الثورة والرفض لهذا النبي، ومما جاء به، لهذا كان عقابهم عقاباً يهز القلوب، عقاباً يتهددهم بسبب غفلتهم؛ لأنهم غير مدركين بأن قدر الله يتربص بهم[٢].

وعبّر عن معنى التكبر والعناد بأسلوب القصر، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[٣]، هذا القول خاطب به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، الذين كذبوا دعوته، وهو يثير في نفوسهم التكبر والنفور من كلمة التوحيد، والبقاء على الشرك، دليل ذلك قوله: (يستكبرون) في نهاية الآية[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾[٥]، الرسول -صلى الله عليه وسلم- يخاطب أهل الكتاب، ويدعوهم إلى المساواة في العبودية، لمعبود واحد، لا إله إلا هو، وألا يعبد بعضهم بعضاً، ولكنهم يأبون إلا البقاء في ضلالهم تكبراً وعناداً منهم[٦].

هذه هي المعاني النفسية، التي جاءت آيات التوحيد للتعبير عنها، وهي معانٍ ليس لها ضابط، أو قواعد نحتكم إليها، وإنما تعتمد على التذوق للنص القرآني، وما يحيط به من إشارات لفظية، ومعنوية. وبعض هذه المعاني، ربما لا يكون نصاً في هذا التفسير أو ذاك، ولكن ما يحيط في الآية وتفسيرها من إيحاءات يرجّح المعنى الذي ذهبنا إليه.

---

[١] من سور: الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤، والمؤمنون: ٣٢، ٢٣.
[٢] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٨: ١٢٤٩- ١٢٥٠.
[٣] الصافات: ٣٥.
[٤] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٤٤، والشوكاني، فتح القدير، ج٤: ٥١٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣: ١٠٧.
[٥] آل عمران: ٦٤.
[٦] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٣: ٤٠٦- ٤٠٧.

ويُلاحظ على هذه المعاني، أن معنى الرهبة والخوف استخدم معظم الأساليب التعبيرية، مقارنة بباقي المعاني، ويدل هذا على أنه استخدم جميع الوسائل لإقناعهم بأنه هو الإله الواحد، المستحق للعبادة، ولكنهم أصروا على عنادهم واستكبارهم، فاستخدم معهم التهديد والتقريع والتوبيخ، الذي أثار في أنفسهم الخوف من فكرة الإله الواحد، والمعبود الحق. وقد كان الاستفهام هو الأكثر في التعبير عن هذا المعنى، ويبدو أن السبب هو ما يحمله هذا الأسلوب من معانٍ، وهي: التهديد، والتوبيخ، والتقريع، والتقرير، والنفي، وهذه المعاني تثير في نفس المخاطب بها الخوف والرهبة. أضف إلى ذلك أن الاستفهام يجنح إلى إشراكهم في الجواب، لإقامة الحجة عليهم، حيث لا يدع لهم مهرباً من التوحيد. لهذا كان هذا الأسلوب هو الأنجع في محاورة المشركين وجدالهم.

ويُلاحظ أيضاً أن الأسلوب القرآني، استخدم الدليل المادي لإثبات تفرده، واستحقاقه للعبادة، وهو الدعوة إلى النظر والتفكر والتأمل في خلقه، للاستدلال بهذه الأدلة على توحيده، كما استخدم التصوير الفني لرسم مشهدٍ قرآني يُقرّب الصورة إلى ذهن الإنسان، بما يألفه، ويستطيع عقله أن يتصوره، فصوّر مشهد القدرة، لإثارة الخوف في نفوس المشركين، كما صوّر مشهد الاهتمام، لإثارة الطمأنينة والراحة في نفس الموحد.

بقي أن نقول إن هناك أسلوباً، لا يؤثر في نفس المخاطب، وإنما يُعبّر عن نفسية صاحبه، وهو أسلوب النداء الذي حمل ما تكنّه النفس من الخشوع لخالقها، فتتكسر النفس أمام عظمة خالقها –سبحانه–، كما يحمل من الضراعة لله تعالى ما يضمن قبول الدعاء، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾(١)، فزكريا يتضرع لخالقه، لإجابة طلبه، ولكنه قدّم لذلك بما يُظهر ضعفه، وانكسار نفسه، وهذه من مقوّمات الدعاء، لقبوله من الله(٢).

وقد يكون الدعاء مصحوباً باستعطاف، يُقدّمه الداعي بين يدي ربه، لقبول دعائه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ... ﴾(٣)، فإبراهيم شرع بذكر كلمة استعطاف قبل الدعاء، وهو النداء، مبالغة في استعداد الإجابة(٤).

---

(١) آل عمران: ٤٠.
(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٣٨٨، والشوكاني، فتح القدير، ج١: ٥٥٨.
(٣) البقرة: ١٢٦.
(٤) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٦١٢.

وقد يحمل النداء تحسراً، وانكساراً لنفس الداعي، نحو قوله تعـالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾[١]، فامرأة عمران تحسرت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه، وهو الذكر الذي نذرته لخدمة بيت المقدس[٢].

والنداء في آيات التوحيد، كان بلفظ (رب)، الدال على القدرة، وهذا يثير في النفس العظمة، حيث يشعر العبد أنه يطلب من عظيم قادر على تلبية طلبه[٣].

---

(١) آل عمران: ٣٦.
(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١: ٥٥٥.
(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٣٨٨، والشوكاني، فتح القدير، ج١: ٥٥٨.

الفصل الخامس
التوحيد على المستوى البلاغي

المبحث الأول
الحقيقة والمجاز في آيات التوحيد

يُعرض في هذا المبحث لمفهوم الحقيقة والمجاز، ثم الكلمة التي وقع فيها المجاز، حيث نذكر المعنى الحقيقي الذي وُضعت له الكلمة، والمعنى المجازي الذي استُعملت فيه،ثم العلاقة؛ وهي الصلة بين المعنيين، ولولاها ما استطعنا أن ننقل الكلمة من معناها الأول الذي وُضعت له إلى معناها الثاني الذي استُعملت فيه، ثم القرينة التي تبين أن المعنى الحقيقي غير مُراد، وأن المعنى المجازي هو المقصود.

وما يريد هذا المبحث إيصاله إلى القارىء، ليس حقيقة هذا اللفظ أو مجازه أو هذا التركيب أو ذلك، وإنما الخلاصة المستفادة من سياق الآية، وما أرادت التعبير عنه وهو المقصود، وهو ما أطلق عليه الزمخشري الكناية، وعدّها السيوطي كناية غريبة، وحدّها: "أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر، فتأخذ الخلاصة، من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز، فتعبر بها عن المقصود"[١]. ويبدو أن هذا أقرب إلى الدلالة التوحيدية من حقيقة هذا اللفظ ومجازه.

مفهوم الحقيقة

لغة: حقّ الأمر يحقُّ حقاً وحقوقاً: صار حقاً وثبت. وحقّه يحقّه حقاً وأحقه: أثبته وصار عنده حقاً لا يشك فيه[٢]. إذن الحقيقة هي: الشيء الثابت.

اصطلاحاً: "ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة"[٣].

مفهوم المجاز

لغة: من جاز الموضع جوازاً ومجازاً: سار فيه وسلكه، وأجازه: خلفه وقطعه. إذن المجاز هو قطع الشيء وتعدّيه وتركه[٤].

إصطلاحاً: قال ابن جني: "المجاز: ما كان بضد ذلك [يعني الحقيقة] "[٥]، أو" أن يُزال –أي اللفظ– عن موضعه ويُستعمل في غير ما وضع له"[٦].

---

(١) السيوطي، الإتقان، ج٣: ١٠٣.
(٢) انظر: ابن منظور، اللسان، ج٤: ١٧٦، (مادة حقق)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط: ٨٧٤، (مادة حقق).
(٣) ابن جني، أبو عثمان، (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م، وانظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:٢٩٠، و القزوييني، الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٢.
(٤) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢١٣، وابن منظور، اللسان،ج٣: ٢٣٨، والقاموس المحيط: ٥٠٦، (مادة جوز).
(٥) ابن جني، الخصائص، ٥٩٨.
(٦) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٢٩٠، و انظر: القزوييني، الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٢، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٣١٨.

وسوف نتكلم عن ألفاظ خاصة بأسماء الله وصفاته، خاضَ بها المفسرون كثيراً، واختلفوا بين حقيقتها ومجازها، فمنهم من قال بمجازها، ومنهم من رفض المجاز فيها وبناها على الحقيقة. وفي الورقات اللاحقة يُعرَض لآراء المفسرين واللغويين كما هي، ثم نعلّق على ما قالوه، ونُثبت ما ذهبنا إليه، والألفاظ هي: الاستواء، مجيء وإتيان ربنا، نفس الله، جنب الله، تفرّغ الله، يد الله وقبضته ويمينه، وجه الله، عين الله.

ـ الاستواء

المعنى الحقيقي: الاعتدال والاستقامة[(١)].

المعنى المجازي: خاض المفسرون كثيراً في تفسير معنى الاستواء، بوصفه حاصلاً من الله، وأشهر ما قاله المفسرون: إنه بمعنى قصد، أو صعد أمره، وقيل: أقبل، وقيل: استولى، وقيل: علا، وقيل: استقر[(٢)].ويبدو أن المعنى الأقرب إلى المراد من الآيات، وهو معنى حقيقي وليس مجازياً، وهو (قصد) ، والسبب أن العرب استخدمت الفعل (استوى) للدلالة على هذين المعنيين، كما أنّ الفعل (استوى) إذا لم يكن بمعنى (قصد) لا يتعدى بحرف الجر (إلى)، فحرف الجر (إلى) قرينة على أنه يُستخدم بمعنى (قصد)، ولكن من غير أن نقول إنّ الاستواء مجاز عن القصد وأنه بمعنى القصد. أمّا بقية المعاني فمنها ما هو خاص بالفعل (استوى) إن عُدّي بحرف الجر (على)، وهما: علا واستقرّ، ومنها ما لا يجوز في حقه سبحانه وهو: استولى؛ لأنّه مالك الشيء، ومالك الشيء كيف يستولي على ما يملكه[(٣)]؟!

أمّا العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي،فسوف نستخلصها من خلال العرض لما قاله المفسرون أثناء تفسيرهم للآية التي وردت فيها هذه الكلمة.

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ١٥٢، وابن منظور، اللسان، (مادة سوا)، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مادة سوي)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، (مادة سوي) ،وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٣٨٥.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ١٥٢، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٢١٧–٢١٨، وج٥: ٦٥، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ٢٥٤–٢٥٥، وسيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢٤: ٣١١٤، وج١٦: ٢٣٢٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق٢: ١٦٢–١٦٥، وج١: ٣٨٥، والدرويش، إعراب القرآن، ج٢: ٥٦٣.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ٢٥٤–٢٥٥، وأبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٢١٧–٢١٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١: ٦٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٣٨٥، وج٨ ق٢: ١٦٤.

جاء في الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١]: "والاستواء: الاعتدال والاستقامة. يُقال استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً، من غير أن يلوي على شيء. ومنه استعير قوله: (ثم استوى إلى السماء)، أي قصد إليه بإرادته ومشيئته. بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر."[٢]

فالزمخشري يجعل المعنى المجازي للاستواء هو القصد، ويجعل وجه العلاقة بينهما أن إرادته ومشيئته توجّهت إلى السماء من غير أن يريد شيئاً آخر، فكأنه قصدها –أي السماء– مستوياً دون النظر إلى خلق شيء آخر.

وذكر هذا الرأي القرطبي، ضمن عدة عدة آراء ذكرها[٣]. وممن تابع الزمخشري في رأيه أبو حيان الأندلسي، حيث ذكر عند تفسيره للآية نفسها عدة آراء، كان أولها الرأي السابق، وعاد وذكره ثانية عند تفسيره للآية (١١) من سورة فصلت[٤].

وتابع الزمخشري أيضاً سيدُ قطب عند تفسيره لآية سورة فصلت، وهي: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ... ﴾[٥]، حيث قال: "الاستواء هنا القصد. والقصد من جانب الله تعالى هو توجه الإرادة"[٦]. وساق ابن عاشور الرأي نفسه ولكن بأسلوبه عند تفسير الآية نفسها [٧].

فالمعنى الذي وضع له (الاستواء) أولاً هو: الاعتدال والاستقامة، والمعنى الذي استعمل فيه ثانياً: هو القصد، والصلة بين المعنيين هي: أنك إذا قصدت شيئاً فإنك تتوجه إليه مستوياً، أي تسير إليه باستقامة واعتدال. فالعلاقة –هنا– علاقة تشابه، والبلاغيون يقولون: إنها إذا كانت –أي العلاقة– علاقة تشابه فهي استعارة. فالمفسرون واللغويون ذهبوا إلى مجاز واستعارة الاستواء لأنهم نظروا إلى معنى واحد للاستواء هو الاعتدال والاستقامة، ولكن العرب استخدمته

---

[١] البقرة: ٢٩.
[٢] الزمخشري، الكشاف، ج١: ١٥٢.
[٣] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١: ٢٥٤-٢٥٥.
[٤] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٢١٧، وج٩: ٢٨٨.
[٥] فصلت: ١١.
[٦] سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢٤: ٣١١٤.
[٧] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٣٨٥.

بمعنى القصد، جاء في معجم مقاييس اللغة: "ويُقال قصدتُ سوى فلان: كما يُقال قصدتُ قصده"[١] فيكون الاستواء بمعنى القصد على الحقيقة لا المجاز في جميع الآيات.

المعاني السابقة خاصة بـ(استوى)، إنْ عُدّي بحرف الجر (إلى)، حيث جاء في آيتين من القرآن فقط[٢].

أمّا بقية آيات الدراسة وعددها سبع آيات[٣]، فقد عُدّي الفعل (استوى) بحرف الجر (على)، والمفسرون والنحاة يجعلون له عدة معانٍ مغايرة عن (استوى إلى)، وهي: تمكن واستقر استقراراً مجرداً عن الكيفية، أو علا وارتفع من غير تكييف ولا تحديد، أو استولى[٤]. والرابط بين (استوى إلى) و(استوى على)، أنّك إذا اعتليت شيئاً فلا بدّ أن تكون قد قصدته أولاً، ثم يأتي العلو، فالرابط بينهما اشتراكهما في معنى القصد.

والمعنى الأخير –أي استولى– بعيد؛ لأن العرش من مخلوقات الله، فهو ملك له، فكيف يستولي عليه؟[٥].

فالله –تعالى– علا فوق عرشه واستقر وتمكن. وهذه المعاني الأصل فيها العلو، لأنك إذا اعتليت شيئاً فقد استقررت عليه وتمكنت منه، فهو فوق عرشه عالٍ ومستوٍ استواء يليق بعظمته –سبحانه– بدون تكييف أو تحديد.

ويجعلون قرينة المجاز لفظية، وهي (إلى، على)؛ ذلك أن الفعل (استوى) إذا كان بمعناه الحقيقي لا يتعدى بهذين الحرفين، فدلّ ذلك أنه استُعير لأداء معنى آخر وهو : (القصد والعلو)[٦].

فالاستواء حقيقي لا مجاز فيه، حيث إنه ورد في كلام العرب بمعنى القصد، والتوجّه، وذلك إن عُدّي بـ(إلى)، وورد في كلام العرب أيضاً بمعنى العلو إن عُدّي بـ(على). فما يقوله المفسرون من أنّ (إلى) و(على) قرينتا المجاز، اعتمدوا فيه على أنّ معنى الاستواء هو الاعتدال والاستقامة، دون أن ينظروا إلى معناه الآخر في اللغة وهو القصد والعلو. وبالنظر إلى هذين

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سوي).
[٢] الآيتان هما: البقرة: ٢٩، وفصلت: ١١.
[٣] الأعراف: ٥٤، ويونس:٣، والرعد: ٢، وطه: ٥، والفرقان: ٥٩، والسجدة: ٤، والحديد: ٤.
[٤] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٧: ٢٢٠،وأبا حيان،البحر المحيط،ج١: ٢١٧، وج٥: ٦٥،وابن كثير،تفسير القرآن العظيم،ج١ : ٦٧ وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١١: ١٧٦٢، وج١٦: ٢٣٢٨، و ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق٢: ١٦٢– ١٦٥، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٢: ٥٦٣.
[٥] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق٢: ١٦٤.
[٦] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٣٨٥.

المعنيين للاستواء ينتفي المجاز في هذه الآيات، ويكون الاستواء حقيقي، وهو صفة تليق بالله تعالى.

وإضافة إلى المجاز اللغوي السابق، فقد تعرضوا إلى مجاز عقلي (إسنادي)، وهو إسناد هذه الأفعال إلى ذاته سبحانه، حيث لا يحق هذا في ذات الله، لأنك تثبت له النقلة والحدود، وهو منزه عنهما. لهذا نجدهم قد أسندوهم إلى مضاف محذوف والتقدير: استوى (توجه، صعد، قصد،..) أمره إلى السماء. واستوى (علا، استقر، تمكن،...) مجده وملكوته على العرش[١]. وهذا المجاز منتفٍ أيضاً؛ لأن الاستواء في حقه –سبحانه– حقيقي، فيكون قصد إلى السماء وعلا على العرش قصداً وعلواً يليق به سبحانه.

وبعيداً عن حقيقة ومجاز الاستواء في هذه الآيات، فالله أراد أن يُظهر كمال قدرته وسعة سلطانه عزّ وجلّ، وسيطرته واستعلاءه على جميع المخلوقات، وتصرّفه وإحاطته بها، لهذا أعقب التركيب (استوى) بما يدل على معنى التصرف الدال على كمال قدرته وإحاطته[٢]؛ ففي الأعراف (٥٤): ﴿ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾،وفي يونس(٣): ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ‌ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾،وفي الرعد ٢: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ‌ۖ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾، وفي السجدة: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِى يَوۡمٍ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.فهذا كله يدل على تصرفه سبحانه بما خلق،فهو الملك وغيره مملوكون تحت تصرفه وإحاطته سبحانه،وهذا هو المعنى المقصود والخلاصة المُراد إيصالها إلى القارىء،فلم نخوض في البحث عن دلالة الكلمة نفسها،أحقيقة هي أم مجاز؟ونغفل عن المعنى المركزي المراد!.

---

[١] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج١: ٢٥٤–٢٥٥، وج٧: ٢٢٠، وأبا حيان،البحر المحيط،ج١: ٢١٧– ٢١٨، وج٥: ٦٥، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٢٩٨.

[٢] انظر: السيوطي، الإتقان، ج٣: ١٠٣، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١١: ١٧٦٢، وج١٦: ٢٣٢٨، ، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق٢: ١٦٤.

ـ مجيء ربنا وإتيانه

يقولون إنه مجاز عقلي، بإسناد المجيء والإتيان إلى الله تعالى، وهذا الإسناد يجعلونه إلى مضاف محذوف، تقديره: جاءت قدرته وسلطانه، ويأتي أمر ربك أو عذاب ربك أو قضاء ربك، أو قدرة ربك، أو إهلاك ربك، أو بطش ربك، أو حساب ربك. وسبب إسناد المجيء والإتيان إلى مضاف، وعدم إسناده إلى ذات الله، هو أن الإتيان والمجيء المفهوم من اللغة مستحيل في حق الله؛ لأنه تنقل من مكان إلى مكان، وسبحانه منزه عنه؛ لأنها من صفات الحوادث، والله ليس بحادث[١]. وقال الزمخشري: "أو يأتي كل آيات ربك بدليل: (أو يأتي بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي"[٢].

وقرينة المجاز -كما يقولون- غير لفظية، تُستفاد من الجملة، وهي استحالة المجيء والإتيان من الله تعالى؛ لأنه لا يوصف بالتنقل. لهذا أسندوا المجيء لأمر الله وقوته وإرادته.

ويبدو أن الإسناد على حقيقته، ولا مجاز في الآية، فالله وصف نفسه بالمجيء والإتيان، مجيء وإتيان يليق به، لا يُشبه مجيء وإتيان الإنسان، لأنه سبحانه منزّه عن مُشابهة مخلوقاته فهو :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣]، فهو إتيان ومجيء خاص به سبحانه. ولا يحق لنا أن نسأل كيف يجيء أو يأتي.

وتقدير المضاف يُذهب عظمة المشهد المراد تصويره، لأن في إسناد المجيء والإتيان إلى ذاته -سبحانه- زيادة في عظمة الموقف، وإثارة الخوف والرهبة في نفوس المشركين، وهذه هي الخلاصة والمقصود من الآية[٤]، وهذا لا نجده إن أُسند إلى مضاف محذوف، كما أنه لو أراد الإسناد إلى المضاف المحذوف لصرّح بذلك، كما صرّح به في قوله تعالى:﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ .. ﴾[٥]،وقوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٦]،

---

[١] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج٤: ٦٩٨، وج١٠: ٤٧٥، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٧: ١٤٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨: ١٨٥، وج٣٠: ٣٣٧.
[٢] الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٧٧- ٧٨.
[٣] الشورى: ١١.
[٤] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٨: ١٢٣٨.
[٥] هود: ٧٦.
[٦] غافر: ٧٨.

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ... ﴾[(٢)]. فالإبقاء على الحقيقة، وعدم الأخذ بالمجاز أقوى في الدلالة التوحيدية المرادة، وهي إظهار عظمة الله وقدرته في ذلك الموقف (يوم القيامة) لتخويف المشركين المكذبين.

وجاء المجيء والإتيان مسنداً إلى لفظ (رب) في آيتين، هما:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ... ﴾[(٣)]، و﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[(٤)] وفي هذا الإسناد إلى لفظ (رب) دون (الله، أو إله)، دلالة على القوة والقدرة والعظمة[(٥)]، وهذا يُناسب الموقف؛ وهو موقف عذاب وتخويف للمشركين.

ـ نفس الله

جاءت (نفس) مضافة إلى الضمير، في آيتين، هما: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[(٦)]، و﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[(٧)].

ويقولون إنّ المجاز مُرسل؛ والمعنى: ولا أعلم ما تعلمه، وقيل: لا أعلم ما تخفي، وقيل: لا أعلم ما عندك، وقيل: لا أعلم ما تقول وتفعل، وقيل: لا أعلم سرك، وقيل: لا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة، وقيل: النفس بمعنى الغيب؛ أي تعلم غيبي يا علام الغيوب[(٨)]. وقال الزمخشري: "والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة... فقيل: (في نفسك)، لقوله (في نفسي)"[(٩)].

---

(١) النحل: ٣٣.
(٢) النحل: ١.
(٣) الأنعام: ١٥٨.
(٤) الفجر: ٢٢.
(٥) انظر: دلالة (رب) في المستوى الدلالي ،المبحث الأول: ١٩٨-٢٠٢من هذا الفصل.
(٦) آل عمران: ٢٨.
(٧) المائدة: ١١٦.
(٨) انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج٤: ٤١٧، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٦: ٣٧٦، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ١٣٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧: ١١٥.
(٩) الزمخشري، الكشاف، ج١: ٧٢٦.

وكل هذه المعاني لزعمهم أن النفس، لا يجب أن تطلق في حق الله (وهذه هـي قرينـة المجاز لديهم)، فبدأوا بإطلاق هذه المعاني، لتنزيهه سبحانه عن مشابهة خلقه.

ويبدو أن لا مجاز في الآية؛ لأن النفس تطلق في اللغة على الذات[١]، فالله له نفسٌ تليق بعظمته ليس كنفوسنا المخلوقة، وهي أقوى في الدلالة؛لأن النفس(الذات) تحوي جميع المعـاني التي قالوا بها،فكلها تكون في الذات،فهي مقر كل شيء.والمعنى المركزي المراد التعبيرعنه في قوله تعالى:﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾[٢] ، هو إثبات علم الغيب وما تخفيه السرائر لذاته سبحانه، ونفي هذا العلم عمّن سواه[٣].

وقالوا إنّ النفس في قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾[٤]، بمعنـى: عقابـه، وذلـك لتخويف وتهديد من يوالي أعداء الله[٥].

ويبدو أن النفس –هنا– أيضاً لم تخرج عن معنى الذات. والتخويف الشديد والتهديد متأتٍ من التحذير في قوله: (ويحذركم)، فيكون التحذير من ذاته سبحانه أقوى في التهديد والتخويـف لأعدائه، وتعظيم له –سبحانه–.

ـ جنب الله

جاء في قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ... ﴾[٦]. والجنـب فـي اللغة: الجانب والناحية، والجهة، والقرب، والجوار، والجارحـة[٧]. ويبـدو أن معنـى الناحيـة والجانب والقرب والجوار قريبة للمعنى المُراد من الآية، ولكنها لا تعبر عـن المعنـى الـدقيق

---

[١] انظر: ابن منظور، اللسان، (مادة نفس)، والأصـفهاني، معجـم مفـردات ألفـاظ القـرآن: ٥٢٢،والشوكاني،فتح القدير، ج١: ٥٥١،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج٧: ١١٥

[٢] المائدة: ١١٦.

[٣] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٦: ٣٧٦، وأبا حيـان،البحر المحـيط،ج٤: ٤١٧، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ١٣٤.

[٤] آل عمران: ٢٨.

[٥] انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١: ٥٥١.

[٦] الزمر: ٥٦.

[٧] انظر: ابن منظور، اللسان، مادة (جنب)، والأصفهاني، معجم مفردات ألفـاظ القـرآن: ٩٧، وابن فارس ، معجم مقاييس اللغة: ٢٠٨– ٢٠٩.

المراد؛ فقد استخدم (الجنب)،- والذي يكون أصلاً للدلالة على الناحية والبعد[١]-، ولم يستخدم المعاني السابقة، لأنه أراد التنبيه على أن إضاعة حق الله يشمل القريب منها، وهو توحيد الله والإقرار بنبوة رسوله (صلى الله عليه وسلم)[٢]، والبعيد وهو العبادات والمعاملات وحقوق العباد. وهذان المعنيان لا يمكن أن يُعبر عنهما إلا بلفظ (الجنب)، لأنه ذو دلالة ثنائية، بخلاف المعاني الأخرى (الجانب، الناحية، الجوار، القرب)، والتي لا تحمل إلا دلالة واحدة.

المعنى المجازي: وضع المفسرون عدة معانٍ، هي: في أمر الله، وقيل: في ذكر الله، بمعنى القرآن والعمل به، وقيل: في جهة طاعته، وقيل: في قرب الله وجواره، وقيل: في طريق الله وهو التوحيد، وقيل: في أمر الله وحدّه الذي حدّه لنا، وقيل: في شأن الله وصفاته ووصاياه، وقيل: في ثواب الله، وقيل: في طلب جوار الله وقربه وهو الجنة[٣].

فإضافة الجنب بالمعنى الحقيقي له مستحيل في حق الله، لهذا فهو مجاز في حقه، جعلوا له المعاني والتأويلات السابقة، وقالوا: إن قرينة المجاز غير لفظية مستفادة من السياق، وهي استحالة الجهة والجارحة على الله تعالى[٤].

ولا أدري ما العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، الذي اعتمدوا عليه؛ لأن في المجاز لا بد أن تكون هناك علاقة غير المشابهة. لهذا فالجنب معنى حقيقي في حق الله وهو بمعنى الحق.

وذهب بعض المفسرين إلى أنها استعارة على طريقة التشبيه التمثيلي: "فيكون الجنب مستعاراً للشأن والحق، أي شأن الله وصفاته ووصاياه تشبيهاً لها بمكان السيد وحُماه إذا أهمل حتى اعتُدي عليه أو أقفر"[٥]. وذهب بعضهم إلى انها كناية عن إضاعة الحق[٦].

وأميل إلى الرأي الأخير، وهو أن الآية كناية عن إضاعة الحق؛ لأن الخلاصة والمعنى المقصود المراد التعبير عنه في هذه الآية هو التحسر على إضاعة الفرصة والتفريط في حق الله[٧]. فالجنب في حق الله حقيقة لا مجاز فيه وهو بمعنى الحق، مع إثبات أنه -سبحانه- ﴿لَيْسَ

---

[١] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢٠٨.
[٢] انظر: ابن منظور، ج٣: ٢٠٧.
[٣] انظر: الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٩٧، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج١٥: ٢٧١، وأبا حيان،البحر المحيط،ج٩: ٢١٣، وابن منظور، اللسان، ج٣: ٢٠٧، والشوكاني، فتح القدير، ج٤: ٦١٨-٦١٩.
[٤] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج٩: ٢١٣.
[٥] ابن عشور، التحرير والتنوير، ج٢٤: ٤٦.
[٦] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ١٣٩، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٩: ٢١٢-٢١٤.
[٧] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢٤: ٣٠٥٩.

﴿ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١]، وأنه منزه عن الحيز والحدود، وأن صفاته ليست كصفات مخلوقاته؛ لأنه منزه عن الشبيه والمثيل.

ـ تفرُّغ الله

تستعمل (فرغ) في اللغة بمعنى انقضاء الشغل الذي كان الإنسان مشتغلاً به؛ فهو خلاف الشغل. وقيل: إن (فرغ) تُستعمل بمعنى قصد واهتمّ وعمد[٢].وقد جاء الفعل (فرغ) في قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[٣].

ويقولون إنّ المجاز عقلي، والقرينة غير لفظية، مستمدة من الإسناد،فالله تعالى لا يشغله أمر عن أمر، ولا يلهيه شأن عن شأن، فهو قائم لا يسهو،وإنما أراد بالتفرغ، التوجه نحو الثقلين، توجّه المتفرغ الذي لا يعنيه غير هذا الموضوع، فهو قاصد إليهم، لا أنه كان مشغولاً ففرغ[٤].

وذهب الزمخشري إلى أن (الفراغ) "مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغله عنك، حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه"[٥]. ويبدو أنه لا مجاز ولا استعارة في الآية، والمعنى على حقيقته؛ لأن (فرغ) تأتي في كلام العرب بمعنى قصد وعمد، -وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن المعنى اللغوي لفرغ-، فيصبح المعنى: سنقصد ونعمد لحسابكم، بعد إنهاء الإمهال وإزالة الفرصة التي جعلناها لكم.

وبعيداً عن الخوض في حقيقة ومجاز (فرغ)، فإن الآية أرادت التعبير عن معنى، وهو الخلاصة المرادة، والمقصود المطلوب،ألا وهو التهديد والوعيد الشديدان للإنس والجن[٦].

ـ يد الله وقبضته ويمينه

اليد: الجارحة، والقبضة واليمين وصف لليد. والمعاني المجازية التي قال بها المفسرون، هي: القوة، والقدرة، والإرادة، والنعمة، والتصرف، والاستيلاء. لكنّ الله له يدٌ تليق بعظمته وليست كأيدينا، فهو مُنزّه عن التشبيه والتجسيم والتكييف[٧].

---

[١] الشورى: ١١.
[٢] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٨١٤، و الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩١، وأبا حيان،البحر المحيط،ج١٠: ٦٣، وابن منظور، اللسان، ج١١: ١٦٧.
[٣] الرحمن: ٣١.
[٤] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج١٠: ٦٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧: ٢٥٧.
[٥] الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٤٤٨.
[٦] انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٥: ١٨١، والدرويش، إعراب القرآن، ج٧: ٣٧٦.
[٧] انظر:أبا حيان،البحر المحيط،ج٩: ٨٢، و١٧٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩: ١٠.

أمّا توضيح هذا المجاز، ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾[١]، و﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[٢]، اليد عبارة عن القدرة والقوة، والعلاقة بينهما وبين المعنى الحقيقي هي السببية؛ لأن اليد هي سبب القدرة والقوة والإرادة المحدثة، والإنسان معتاد على أن البطش والقوة باليد، وأنه معتاد على أن تولي الأمر الدال على القوة والإرادة والإبداع لا يكون إلا باليد، فعبّر بها لأنها سبب ذلك[٣].ومن المفسرين من جعلها استعارة[٤].

وقد أبى الشيخ أبو الحسن الأشعري وغيره، حملها على المجاز، فقد أبطلوا حمل اليدين على القدرة؛ لأن قدرة الله واحدة، واليدان مذكورتان بصيغة التثنية، وأبطلوا حملها على النعمة؛لأن نعم الله لا تحصى، فكيف تُحصر بالتثنية، وغيرهم من أهل السنة حملها على المجاز والمراد القدرة، والتثنية للتعظيم[٥].

وفي قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ...﴾[٦]، جُعل (غل اليد وبسطها) مجازاً عن البخل والجود، وعلاقته السببية؛ لأن اليد هي سبب الإنفاق[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٨]، جُعل (بيده الملك) مجازاً عن القدرة والتصرف والاستيلاء، والعلاقة سببية؛ لأن اليد هي سبب القدرة[٩]. وجعل بعض المفسرين (بيده الملك) كناية عن القهر والاستيلاء[١٠].

---

[١] يس: ٧١.
[٢] ص: ٧٥.
[٣] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥: ٥٥، وأبا حيان،البحر المحيط،ج٩: ٨٢، و١٧٤، والشوكاني، فتح القدير، ج٤: ٥٠٣.
[٤] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٣٠.
[٥] انظر:حاشية الكشاف،ابن المنيّر،ج٤: ١٠٧-١٠٨،والقرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج١٥: ٢٢٨،والشوكاني،فتح القدير، ج٤: ٥٨٥- ٥٨٦، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٦: ٤٨٤.
[٦] المائدة: ٦٤.
[٧] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٦٨٧-٦٨٩، وأبا حيان،البحر المحيط،ج٤: ٣١٢-٣١٤، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٢: ٢٦٣-٢٦٤.
[٨] الملك: ١.
[٩] انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٥: ٣٤٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩: ١٠.
[١٠] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج١٠: ٢٢٠.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾[١]، القبضة مجاز عن القدرة، والطي مجاز عن الذهاب والفناء،واليمين مجاز عن القدرة، والعلاقة سببية؛ لأن اليد هي سبب القدرة[٢].

وبعد عرض آراء المفسرين يبدو أنه لا مجاز في الآيات، والله له يدٌ تليق بعظمته وهي ليست كأيدينا، يجب علينا الإيمان بها وإثباتها بلا تكييف ولا تشبيه. ولكن الخلاصة التي أرادت الآيات التعبير عنها هي إثبات الإرادة والقوة لله تعالى، من غير أن نقول: إنّ اليد مجاز عن القدرة والقوة،...، ولكن هذه المعاني مفهومة من سياق الآيات. فالآيات عبارة عن مشاهد قرآنية أُريد منها تقريب الصورة من إدراكنا وفهمنا المحدودين، وذلك بتصوير قدرته وإرادته – سبحانه–، عن طريق إبراز الأشياء من العدم (الخلق والإبداع)، والكشف عن جانب من عظمته –سبحانه–؛ بأن ما أبدعناه لم يُشركنا فيه أحد، وأنه هو القوي المتفرد بخلقه والمالك لهم، وأنه هو المتمكن منهم، والمتصرف بهم، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يتصرف ويتحرك إلا بإرادته[٣]. أي هي كناية عن القوة، والقدرة، والتصرف، والعظمة والجلالة، دون الذهاب باليد، أو القبض، أو اليمين إلى حقيقة أو مجاز[٤].

ـ وجه الله

الوجه: الجارحة والعضو. والمعاني المجازية كثيرة، تختلف باختلاف الآية التي ورد فيها اللفظ، ففي قوله تعالى: ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾[٥]، معناه: قبلة الله؛ فيكون الوجه بمعنى الجهة التي جعلها الله قِبلة، وهو مثل قولنا: بيت الله وناقة الله. وقيل: رضا الله، وقيل: الوجه صلة، والمعنى: فثمّ الله، أي علمه وحكمه، وقيل: ذاته، وقيل: العمل لله، وقيل: الوجود، أي من له الوجه، وهو الله، وهذا من تعبير الصفة عن الموصوف[٦].

---

[١] الزمر: ٦٧.
[٢] انظر: ابن عاشور،التحريروالتنوير،ج٢٤: ٦١-٦٣،والدرويش، إعراب القرآن وبيانه،ج٦: ٥٤١.
[٣] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج٩: ٨٢، وسيد قطب، الظلال، ج٢٤: ٣٠٦١-٣٠٦٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤: ٦٢.
[٤] انظر: السيوطي، الإتقان، ج٣: ١٠٣.
[٥] البقرة: ١١٥.
[٦] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ٢٠٦-٢٠٧، والأصفهاني، معجم مفردات القرآن: ٥٥٠، والقرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج٢: ٨٣-٨٤، وأبا حيان،البحر المحيط،ج١: ٥٧٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٦٨٣.

وقد أطلق المفسرون هذه المعاني، ولم يوضحوا العلاقة بينها وبين المعنى الحقيقي، إلا في معنى الذات، قالوا: إن العلاقة هي إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لأن الوجه يطلق في كلامهم على الذات، ومنهم من جعله حقيقة لغوية في الذات، وقرينة ذلك لفظية، مستفادة من استحالة أن يحمل الوجه على العضو؛ لأنه منزه سبحانه عن التجسيم والتحيّز [١].

ويبدو أنه لا مجاز في الآية، والوجه حقيقة في حق الله، مع الإيمان الجازم بأنه منزه عن الشبيه، والمثيل، والكيف. والمعنى المقصود والمراد التعبير عنه في هذه الآية، دون النظر إلى حقيقة ومجاز الوجه، هو الامتثال لأمر الله في كل شيء، والاعتقاد الجازم بسعة ملكه سبحانه، وأنه لا جهة له، وإنما الجهات التي يقصد منها رضا الله تفضل غيرها، وهو سبحانه عليم بمن يقصد مرضاته[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[٣]، و﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٤]، الوجه مجاز عن الذات،والجارحة منفية عن الله تعالى، والعلاقة ذكر البعض وإرادة الكل؛ لأن عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة، وقرينة ذلك غير لفظية، مستفادة من استحالة الجارحة في حقه سبحانه؛ لأنه منزه عن التجسيم والتحيّز.ومنهم من ذهب إلى أن(وجه ربك)،أي حجته التي يُتقرّب بها إلى الله[٥]. وبعيداً عن حقيقة الوجه ومجازه ؛ فإن المعنى المقصود المراد تعريفه للقارىء هو التعبير عن أنه هو المتفرد بالبقاء والألوهية[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾[٧]، و﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٨]،ذهب أغلب المفسرين أن الوجه مجاز عن الذات، والعلاقة والقرينة هما نفسهما في الآيات السابقة.ومنهم من ذهب إلى أن الوجه بمعنى: رضا الله سبحانه، ومرضاته[٩].

---

[١] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج١: ٥٧٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٦٨٣.
[٢] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ٦٨٣.
[٣] القصص: ٨٨.
[٤] الرحمن: ٢٧.
[٥] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٤٤٥-٤٤٦، وأبا حيان،البحر المحيط،ج١٠: ٦٢، والشوكاني، فتح القدير، ج٥: ١٨٠، والدرويش،إعراب القرآن وبيانه،ج٥: ٦٦٧.
[٦] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢٠: ٢٧١٦.
[٧] الإنسان:٩.
[٨] الليل: ٢٠.
[٩] انظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج١: ٨٢-٨٣، وج١٩: ١٣٠، وج٢٠: ٨٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠: ٣٩٢.

أمّا الخلاصة في هاتين الآيتين من غير اعتبار الحقيقة والمجاز، فهـي تعلـيم الخلـق الإخلاص لله في القول والعمل، وعدم انتظار المكافأة على ذلك، والتعامل معه سـبحانه علـى أساس الإحسان[١].

ـ عين الله

العين: الجارحة. وقد جاءت (عين) مُضافة إلى الضمير العائد إلى الله في ثلاث آيـات، هـي: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾[٢]، و﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[٣]، و﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[٤]. ويجعلون المجاز في جميعها مرسل؛ ففي قوله تعـالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾، و﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾، ويقولون إنّ العين مجـاز عـن الحفـظ والرعايـة والاهتمام والعناية، أي: بمرأى منّا والمُراد بحراستنا لك، وحفظنا لك، والعلاقة آلية، فالعين آلـة الرؤية، وهي التي تكون بها الحراسة والحفظ في الغالب، وهذه العلاقة التي ذهبوا إليها لا تجوز في حق الله؛ لأنّ العلاقة الآلية هي عند الإنسان، أمّا بالنسبة إلى الله فهي ليسـت آليّـة. وقيـل بعلمنا، وقيل: بأمرنا، وقيل: بأعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على حفظك. وجمع الأعين قيل: للتعظيم، وقيل: للتكثير؛ أي تكثير الكلاءة والحفظ وديمومتها[٥]. وقد قالوا بهذه المعاني تنزيهاً لله عن الجارحة، وهذه هي القرينة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾، يقولون إنّ العين مجـاز عـن المحبة، أي على المحبة منّي، وقيل: على محبتي وإرادتي، وقيل: مجاز في المراعاة والمراقبـة والعناية والرعاية. والعلاقة سببية؛ لأن العين سبب المحبة. والقرينة غير لفظية، مُسـتفادة مـن السياق، وهي تنزيه الله سبحانه عن الجارحة[٦].

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٦٦٩، و٧٦٩.
[٢] هود: ٣٧.
[٣] طه: ٣٩.
[٤] القمر: ١٤.
[٥] انظر: أبا حيان،البحر المحيط،ج٦: ١٤٩، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٦٩٣، وج٥: ١٦٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢: ٦٦، وج٢٧: ١٨٥.
[٦] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٦٥، والقرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج١١: ١٩٦-١٩٧، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٥٠١، والدرويش،إعراب القرآن وبيانه،ج٤: ٦٨٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦: ٢١٨.

ويبدو أن لا مجاز في الآيات، والعين حقيقة في حق الله، فالله له عـينٌ تليـق بعظمتـه وليست كأعيننا. والآيات أرادت التعبير عن المراعاة والمراقبة الدالة علـى الاهتمـام والعنايـة والحفظ والحراسة. وجميع المعاني التي قال بها المفسرون حقيقة لا مجاز، فالعين تستخدم فـي اللغة لهذه المعاني، فنحن نقول: هو تحت عيني، أي تحت رعايتي واهتمامي وحفظـي، فأنـت تثبت العين وتثبت وظيفتها، دون أن تقول: إن العين مجاز عن هذه المعاني. فالآيات كناية[١] عن هذه المعاني، وليست مجازاً عنها. إضافة إلى أنه كناية[٢] عن إثبات القدرة والإتقان في الصنع، وأنه سبحانه لا يمكن أن يحيد عن الصواب في خلقه وحفظه، ولا يحول بينه وبين العمل أحـد. فهو مشهد العناية والاهتمام بأنبيائه، لإشاعة الراحة والاطمئنان في نفوسهم، على طريقة القرآن في تصوير مثل هذه المشاهد[٣].

وقد يظن قارىء الصفحات السابقة أنني أُنكر المجاز مطلقاً، فأقول: إنه لا مجـاز فـي أسماء الله وصفاته، بل جميعها على الحقيقة؛ معتمدين في ذلك على قوله تعـالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٤]، وهي الآية الأساس للتعامل مع أسمائه وصفاته -سبحانه-، فنثبت صفات حقيقية لله تعالى تليق به، وللمخلوق صفات حقيقية تناسـبه، فمعـاني صـفاته سـبحانه معروفة، أما كيفياتها فلا يعلمها إلا هو، كما قال مالك وأم سلمة: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول. والدليل على أن الكيف غير معقول قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[٥].

فعلينا الإيمان بكل ما ثبت في الكتاب العزيز والسنّة الصحيحة، على وجـه الحقيقـة لا المجاز، وذلك أن ننفي عنه التشبيه والتمثيل عن كل وصفٍ وَصَفَ به نفسه في الكتاب والسـنة؛ لأن من نفى وصفاً أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله -صلى الله عليه وسلم- فهو معطّل. ومـن شبّه وصفَ ربه بصفات المخلوق فهو مشبّه ملحد. ومن آمن بصفات ربه منزهاً له عن التشـبيه والتمثيل بصفات الحوادث فهو مؤمن موحد سالم من ورطة التشبيه والتعطيل،جامع بين الإيمان

---

(١) الكناية هنا: هي ما أشار إليها السيوطي في الإتقان، نقلاً عن الزمخشري، وقد أشرنا إليها في مقدمة هذا الفصل:٢٣٤.

(٢) الكناية هنا: هي ما أشار إليها السيوطي في الإتقان، نقلاً عن الزمخشري، وقد أشرنا إليها في مقدمة هذا الفصل:٢٣٤.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٣٧١، وج٣: ٦٥، وأبا حيان،البحر المحـيط،ج٦: ١٤٩، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٦٩٣، وابن عاشـور، التحريـر والتنـوير، ج١٢: ٦٦، وج١٦: ٢١٨، وسيد قطب، في ظلال القرآن ، ج١٦: ٢٣٣٥.

(٤) الشورى: ١١.

(٥) طه: ١١٠.

والتنزيه .وأعوذ بالله أن نكون معطلين أو مشبهين الخالق بالمخلوق. فصفاته وأسماؤه –سبحانه– تختلف عن صفات وأسماء المخلوقين، فالله يدٌ ووجهٌ ونفس ولكن ليس كأيدينا ووجهنا وأنفسنا، وهو مستوٍ فوق عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو ليس كاستواء المخلوقين وعلوّهم، وهو سميعٌ بصيرٌ رؤوفٌ رحيم، وبصره وسمعه ورأفته ورحمته ليست كسمعنا وبصرنا ورأفتنا ورحمتنا. وفرقٌ بين رضا الله وغضبه ومحبته وبُغضه وبين رضا المخلوق وغضبه ومحبته وبُغضه. فلا يجب تأويل هذه الصفات لأجل تنزيهه –سبحانه–، فلا نقول: اليد: القدرة، والوجه: الذات، ...، بل نُثبت هذه الصفات كما جاءت في القرآن، بدون تكييف أو تجسيم أو تعطيل، وبذلك نكون فرّقنا بين مقام الألوهية العظيم،وبين مقام العبودية الضعيف العاجز الفقير[١].

---

[١] انظر:الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، مطابع الرياض،(١٣٧٦ هـ): ٢٨-٢٩، والقبسات السنية: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٦، ٧٧، ١١٤، ١١٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٩٩.

المبحث الثاني
بعض الفنون البلاغية في آيات التوحيد

يُعرض في هذا المبحث الفنون البلاغية في آيات التوحيد، مقسّمة وفق علوم البلاغة الثلاثة، وهي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، حيث يُعرّف الفن البلاغي من كتب البلاغة، ثم تُعرض الآيات التي جاءت على هذا الفن، مع إيراد ما جاء في كتب المفسرين عليها. والفنون البلاغية في آيات التوحيد قليلة، ويبدو أنّ سبب ذلك هو مراعاة مُقتضى حال المُخاطب، بكونه مشركاً أو ملحداً، أو يهودياً أو نصرانياً، فجاء مباشراًسهلاً، دون تكلف أو عناء في فهمه، ليراعي بذلك عقل المخاطب ونفسيته، حتى لا تكون له حجة بعد ذلك في عدم فهم هذا الخطاب.

علوم البلاغة

العلم الأول: علم المعاني: وهو "أصول وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له"[١].

وله في آيات الدراسة المختارة فنون، هي: الإيجاز، ووضع الخبر موضع الطلب، وفن القسم، وخروج الخبر عن مقتضى الظاهر.

الفن الأول: الإيجاز: وهو "أداء المقصود من الكلام بأقل عبارات متعارف الأوساط"[٢]، أو: "وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح"[٣].

ويُقسم إلى قسمين:

أ- إيجاز قصر: وهو "تقليل الألفاظ وتكثير المعاني"[٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[٥]، و﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٦]، و ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾[٧]، ومفهوم القصر يكمن في دليل التمانع، المستخرج من هذه الآيات، وذلك أن السؤال عن وجه فسادهما، وذهاب كل إله بما خلق. وابتغاؤهم إلى ذي العرش سبيلاً، ينطوي على معانٍ كثيرة، وهي: أن وجود آلهة مع الله يستلزم أن يستبد كل منهم بالتصرف، وأن يعلو بعضهم على بعض، وأن تبتغي هذه الآلهة سبيلاً إلى الله بالمغالبة، فينتج عن ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد، وهذا

---

[١] الهاشمي، جواهر البلاغة: ٥٦، وانظر: القزويني، الإيضاح: ١٥.
[٢] القزويني، الإيضاح: ١٠٤.
[٣] الهاشمي، جواهر البلاغة: ٢٤١.
[٤] أبو هلال العسكري، الصناعتين: ١٩٥، وانظر: الهاشمي، جواهر البلاغة:٢٤٣.
[٥] الإسراء: ٤٢.
[٦] الأنبياء: ٢٢.
[٧] المؤمنون: ٩١.

القصر هو أبلغ في الحجاج من التصريح بكيفية فسادهما وسببه، وكيفية ذهاب كل إله بما خلق وسببه، وكيفية ابتغائهم سبيلاً إلى ذي العرش وسببه؛ لأن هذا القصر يشمل ما قيل في دليل التمانع، وكل ما يخطر بالبال لإبطال تعدد الآلهة[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ...﴾[٢]، حيث استوعبت هذه الجملة الكلام الجامع، واستقصت جميع الأشياء، فقد شملت إيجاد الموجودات (الخلق)، وسخرتها للعمل الذي خُلقت لأجله (الأمر)، وما بين هذا الخلق والأمر من الأشياء ما يشملها هذا الإيجاز البليغ[٣].

ومن بديع إيجاز القصر، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[٤]، حيث اشتملت على اسمين من أسماء الله تعالى، يتضمنان جميع أوصاف الكمال، هما: الأحد، والصمد؛ لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع صفات الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده، فكان مرجع الطلب منه وإليه، وهذا لا يكون إلا لمن حاز جميع صفات الكمال وهو الله. وتضمنت توجيه الاعتقاد ، وصدق المعرفة، وما يجب إثباته لله من الأحدية المنافية لمطلق الشركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال؛ الذي لا يلحقه نقص، واشتملت أيضاً على نفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى، ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والنظير[٥].

ب- إيجاز حذف: ويكون بحذف شيء من العبارة، وهذا المحذوف إما جزء من جملة، أو جملة أو أكثر من جملة، وهذا الحذف لا يخل بالفهم، لوجود ما يدل على المحذوف من قرينة لفظية أو معنوية[٦].

---

[١] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ٦٢٦، وج٣: ١١٠-١١١، و٢٠٣، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٥٣-٥٤، و٤١٩-٤٢٠، و٥٨١، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٣١٩، ٥٥١، ٦٧٥، والزركشي، البرهان، ج٣: ٢٦٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥: ١١١، وج١٧: ٣٨-٤٤، وج١٨: ١١٣-١١٦، وأبا هلال العسكري، الصناعتين:١٩٥.
[٢] الأعراف: ٥٤.
[٣] انظر:أبا هلال العسكري، الصناعتين: ١٩٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٨ق٢: ١٦٩.
[٤] الإخلاص: ١-٢.
[٥] انظر: الزركشي، البرهان، ج٣: ٢٦٤، والسيوطي، الإتقان، ج٣: ١٢١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠: ٦٢٠-٦٢١، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٨: ٤٤٩.
[٦] انظر: القزويني، الإيضاح: ١٠٩، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٢٤٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ فإن الخبر محذوف، وقدّره النحاة بـــــ(موجـــود) أو (لنا)، وإن كان المعنى غير متوقف عليه، ولكن الصنعة النحوية توجب ذلك[١]!

وفي قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٢]، حُذفت (لو) وشرطها، والتقدير: ولو كان معه آلهة ، وحُذفت لدلالة قوله: (وما كـــان معه من إله)[٣].

ومن إيجاز الحذف: حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع من قولـــه تعـــالى:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤]، وجميعها قبل ذكر لفظ (رب)؛ أي (هو رب)، و(الله ربكم)، و(الله رب المشـــرق)، وسبب هذا الحذف أنّ موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً، وصيانة عن ذكره، وتشريفاً له سبحانه[٥].

ومن حذف المبتدأ والخبر، قوله تعـــالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[٦]، والتقـــدير: هـــو الله، أو الله رب السماوات والأرض[٧].

---

[١] انظر: الزركشي، البرهان، ج٣: ١٣١، والسيوطي، الإتقان، ج٣: ١٣١.
[٢] المؤمنون: ٩١.
[٣] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٢٠٣، وأبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٥٨١، والزركشي، البرهان، ج٣: ٢٥١-٢٥٢، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٦٧٥.
[٤] الشعراء: ٢٣- ٢٨.
[٥] انظر: السيوطي، الإتقان، ج٣: ١٢٨.
[٦] الرعد: ١٦.
[٧] انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٤: ٨٥.

ومن إيجاز الحذف، حذف القول في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١]، والتقدير: قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله، أو وقلنا لهم: لا تعبدون إلا الله[٢]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٣]، والتقدير: قولوا لا إله إلا الله، وحذف لدلالة السياق عليه[٤].

– **الفن الثاني: وضع الخبر موضع الطلب:** وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، فـ**(لا تعبدون إلا الله)**: خبر في معنى النهي، وهو أبلغ من صريح النهي، لما فيه من إيهام أن المنهي يسارع إلى الانتهاء، فكأنه انتهى عنه ،أي سارع إلى الانتهاء والامتثال. والدليل على أنه في معنى النهي، العطف عليه بالأمر:(وقولوا للناس حسناً)؛ لأنه لو كان خبراً محضاً، لما صحّ عطف الطلب على الخبر، ولكن لما كان الأمر والنهي يلتقيان في معنى الطلب صح ذلك[٥].

– **الفن الثالث: القسم:** وهو "أن يريد المتكلم الحلف على شيء، فيحلف بما يكون فيه فخر، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه بقدره، أو ما يكون ذماً لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والترفق، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد"[٦].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[٧]، "فقد أقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة"[٨].

---

[١] البقرة: ٨٣.
[٢] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج١: ٤٧٥.
[٣] الصافات: ٣٥.
[٤] انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٦: ٣٨٣.
[٥] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١: ١٨٦، وحاشية الكشاف، ج١: ١٨٦، وأبا حيان، البحر المحيط،ج١: ٤٥٦–٤٥٧، والزركشي، البرهان،ج٣: ٣٩٩،والشوكاني، فتح القدير، ج١: ٢٢٤.
[٦] الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٧: ٢٨٩–٢٩٠.
[٧] الذاريات: ٢٣.
[٨] الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٧: ٢٩٠.

- **الفن الرابع: خروج الخبر عن مقتضى الظاهر**: وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴾[١]، فقد أنزل المنكر منزلة غير المنكر، وذلك لأن بين أيديهم من البراهين الساطعة، والحجج القاطعة، ما لو تأملوه لوجدوا فيه غاية الإقناع[٢].

العلم الثاني: علم البيان: وهو "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[٣]. وموضوع هذا العلم كما يقول البلاغيون هو: المجاز والتشبيه، والكناية، وقد عرضنا للمجاز في فصل مستقل، تكلمنا فيه عن مجازات خاصة في آيات الأسماء والصفات، ومنهم من ذهب إلى أنها استعارة، ورجحنا أن تكون كناية بمفهوم خاص بيناه في المبحث السابق. بقي أن نتحدث عن التشبيه.

- **التشبيه**: عرّفه كثير من البلاغيين بتعريفات عديدة[٤].وقد خرج الدكتور عبد العزيز عتيق من هذه التعريفات بتعريف شامل، وهو: "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو مقدرة، تقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه"[٥].

وقد جاء التشبيه في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٦]، وهو تشبيه مقلوب: "إذ مقتضى الظاهر عكسه؛ لأن الخطاب لعبّاد الأوثان، حيث سمّاها آلهة تشبيهاً به تعالى، فجعلوا غير الخالق كالخالق، فجاءت المخالفة في الخطاب كأنهم لمبالغتهم في عبادتها، ولإسفافهم وارتكاس عقولهم، صارت عندهم كالأصل، وصار الخالق الحقيقي هو الفرع، فجاء الإنكار على وفق ذلك"[٧].

وفي قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[٨]، "شبّه تحقيق ما أخبر الله عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده"[٩].

---

[١] البقرة: ١٦٣.
[٢] انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة: ٧١.
[٣] القزويني، الإيضاح: ١٢١.
[٤] انظر: العسكري، أبو هلال، الصناعتين: ٢٦١، والقزويني: الإيضاح: ١٢٢، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٢٧٢.
[٥] عتيق، عبد العزيز، علم البيان، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٤: ٦٢.
[٦] النحل: ١٧.
[٧] الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٤: ٢٢٩، وانظر: السيوطي، الإتقان، ج٣: ٩٢.
[٨] الذاريات: ٢٣.
[٩] الشوكاني، فتح القدير، ج٥: ١١٤، وانظر: أبا حيان، البحر المحيط،ج٩: ٥٥٣، والزركشي، البرهان،ج٣: ٤٨٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦: ٣٥٥.

العلم الثالث: علم البديع: وهو"علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ"[١]. وهذان الضربان أطلق عليهما البلاغيون المحسنات المعنوية، والمحسنات اللفظية:

أ- المحسنات المعنوية: ذكر البلاغيون محسنات كثيرة، ولكن ما ورد في آيات الدراسة المختارة منها هي: الطباق، والمقابلة، والمذهب الكلامي، والالتفات، والتجريد.

١. الطباق: وهو الجمع بين معنيين متقابلين، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، اسمين أو فعلين، أو حرفين، وإما بلفظين من نوعين. وهذا يسمّى طباق الإيجاب. وإذا جُمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو نهي، فهو طباق سلب[٢].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[٣]، و﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[٤]، والطباق بين (يحيي) و (يميت) طباق إيجاب. وفائدة هذا الطباق أنه من كان يحيي ويميت، فهو المستحق للتفرد بالربوبية ونفي الشركاء عنه؛ لأنه من جمع بين الإحياء والإماتة، فهو المستحق لأن يكون الإله. فهذا الطباق إثبات للألوهية الحقة، القادرة على الإحياء والإماتة، ونفيٌ لتعدد الآلهة غير القادرة عليها[٥].

وفي قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾[٦]،طباق إيجاب بين (يُبدىء الخلق)و(يُعيده)،وفي هذا الطباق بيان لقدرة الله تعالى على بدء الخلق ثم إعادته،وهو أهون عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[٧]، الطباق بين (تعلم) و(لا أعلم)، وهو طباق سلب. ومن طباق السلب، الطباق بين (لا أعبد)، و(تعبدون) في قوله تعالى: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[٨].

---

[١] القزويني، الإيضاح: ١٩٠.
[٢] انظر: القزويني، الإيضاح:١٩٠-١٩٢، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٣٩١-٣٩٢.
[٣] الأعراف: ١٥٨.
[٤] الدخان: ٨.
[٥] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢: ١٥٧، والشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٣٦٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩: ١٤٠.
[٦] العنكبوت: ١٩.
[٧] المائدة: ١١٦.
[٨] الكافرون: ٢.

٢. المقابلة: وهو "إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ، على جهة الموافقة أو المخالفة"[١]. ومنه المقابلة بين ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾[٢]، و﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[٣] في الاستقبال. والمقابلة بين ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾[٤]، و﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[٥] في الحال. وهذه المقابلة نفت عنه -صلى الله عليه وسلم- عبادة الأصنام في الحال والاستقبال، وأثبتت أنهم لم ولن يعبدوا الله، لأن الله حتّم عليهم الموت على الكفر[٦].

٣. المذهب الكلامي: وهو "أن يورد المتكلم حجة لما يدّعيه على طريق أهل الكلام"[٧]. ويسمّيه الزركشي إلجام الخصم بالحجة، وهو: "الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه"[٨].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾[٩]، و﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١٠]، فاللازم في هاتين الآياتين وهو ابتغاؤهم سبيلاً إلى الله، والفساد، وذهاب كل إله بما خلق، باطل، والملزوم وهو تعدد الآلهة باطل. والثاني امتنع لامتناع الأول؛ أي لم يبتغوا سبيلاً إلى الله، ولم يفسدا، ولم يذهب كل إله بما خلق؛ لأنه ليس فيهما آلهة إلا الله؛ لأنه لو وُجد مع الله إله آخر، فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال، وإما لا يتصف بها واحد منهما، وإما أحدهما دون الآخر، وعندئذٍ تفسد الرعية بتدبير الملكين؛ لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف، وهذه حجة عقلية، وهو ما يسمّى بدليل التمانع[١١]، أثبت من خلاله الإله الواحد وهو الله تعالى، وأبطل تعدد الآلهة.

---

[١] أبو هلال، العسكري، الصناعتين: ٣٧١.
[٢] الكافرون: ٢.
[٣] الكافرون: ٣.
[٤] الكافرون: ٤.
[٥] الكافرون: ٥.
[٦] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج١٠: ٥٦٠-٥٦١.
[٧] القزويني، الإيضاح: ٢٠٦.
[٨] الزركشي، البرهان،ج٣: ٥٢٤.
[٩] الإسراء: ٤٢.
[١٠] الأنبياء: ٢٢.
[١١] انظر: حاشية الكشاف، ابن المنير، ج٣: ١١٠، وأبا حيان، البحر المحيط،ج٧: ٤١٩-٤٢٠، والقزويني، الإيضاح: ٢٠٦، والزركشي، البرهان،ج٣: ٥٢٤-٥٢٥، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٣٦٩، و الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٥: ٢٠.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[١]،والآيتان حجة عقلية لإثبات أحقية الخلق له سبحانه، وهي: إذا تعذّر علينا خلق المني، فالواجب أن يكون غيرنا الخالق، ولكن لما ثبت أننا القادرون عليه، وجب أن نكون نحن الخالقين له[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣]، والحجة العقلية هي: الاستدلال بخلق مخلوقات عظيمة، وهي السماوات والأرض، على خلق ما دونها، وهو خلق الناس بعد الموت.[٤]

٤. الالتفات: وهو "نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، تطرية واستدراراً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه."[٥]

وجاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٦]، حيث انتقل من الغيبة (الحمد لله رب العالمين)، إلى الخطاب (إياك نعبد)؛ لأن الحمد دون العبادة في المرتبة، ثم لما ذكر الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لليوم الآخر، أقبل الحامد مخبراً بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له، تقرباً منه عز وجل، فعدل إلى الخطاب ليدل على هذا الخضوع له والقرب منه سبحانه[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ... ﴾[٨]، التفات من المتكلم إلى الغائب، إذ الأصل أن يقول: لا تعبدون إلا إيانا، ولكن في العدول إلى الاسم الظاهر من الفخامة والتفرد ما ليس في المضمر[٩].

---

[١] الواقعة: ٥٨-٥٩.
[٢] انظر: الزركشي، البرهان،ج٣: ٥٢٥.
[٣] يس: ٨١.
[٤] انظر: الزركشي، البرهان،ج٣: ٥٢٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣: ٧٨.
[٥] الزركشي، البرهان،ج٣: ٣٦١.
[٦] الفاتحة: ٢-٥.
[٧] انظر: أبا حيان، البحر المحيط،ج١: ٤٢، والزركشي، البرهان،ج٣: ٣٧٢، و٣٧٥-٣٧٦، والشوكاني، فتح القدير، ج١: ٨٩، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج١: ٣٢.
[٨] البقرة: ٨٣.
[٩] انظر: أبا حيان، البحر المحيط،ج١: ٤٥٧.

٥. التجريد: وهو "أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه (أي في المنتزع منه)"[١].

وجاء في سورة الإخلاص، فإن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٢]، تقتضي نفي الكفء والولد والمشاركة والمماثلة عنه. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣]، تقرير لمضمون ما قبله، وتخصيص له بالذكر بعد دخوله في العموم، وذلك مبالغة في كمال هذه الصفة في موصوفها، وزيادة في الإفصاح والبيان[٤].

ب- **المحسنات اللفظية:** وما ورد من المحسنات اللفظية في آيات الدراسة المختارة هي: الجناس، ورد العجز على الصدر.

١. الجناس: وهو تشابه اللفظين في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، واختلافهما في المعنى، ويسمّى جناس تام. وإن اختلف اللفظين في واحد من الشروط الأربعة يسمّى ناقصاً[٥].

وجاء في سورة الإخلاص جناس تام بين (أحد) صفة لله بمعنى أنه المتفرد، و(أحد) بمعنى إنسان أو موجود[٦]. وجناس ناقص بين (لم يلد) و(لم يولد) وذلك لتغير الشكل وبعض الحروف.

وجُعل منه في قوله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[٧]، جناس بين ألفاظ العبادة. وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٨]، جناس بين (أرحم) و(الراحمين)، وسمّوا هذا الجناس جناس الاشتقاق[٩].

ويبدو أنه لا جناس في هذه الآيات؛ لأن الألفاظ غير مختلفة في المعنى، فمعنى العبادة والرحمة واحد في الآيتين؛ أي أنهما متفقان في المعنى، وشرط الجناس الاختلاف في المعنى.

---

(١) القزويني، الإيضاح: ٢٠٤، وانظر: الهاشمي، جواهر البلاغة: ٤٠٠.
(٢) الإخلاص: ١-٣.
(٣) الإخلاص: ٤.
(٤) انظر:الشوكاني، فتح القدير،ج٥: ٦٩٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٣٠: ٦١٩-٦٢٠.
(٥) انظر: القزويني، الإيضاح: ٢١٥، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٤٢٤.
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٣٠: ٦٢٠.
(٧) الكافرون: ٢-٣.
(٨) المؤمنون: ١١٨.
(٩) انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة: ٤٢٧.

٢. رد العجز على الصدر: وهو "أن يُجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها"[١].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]، فقد "ردّ (العزيز) إلى تفرده بالوحدانية، التي تقتضي العزة، ورد (الحكيم) إلى العدل، الذي هو القسط، فهو الله تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف"[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[٤]، و﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[٥]، ردّ (الوهّاب) إلى (وهب)، وهما متفقان اشتقاقاً ومعنى (مكرران)، وجاءت اللفظة الأولى في بداية الآية، والثانية في آخرها.

وفي قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[٦]، ردّ (علاّم) إلى (تعلم)، وهما متفقان اشتقاقاً ومعنى (مكرران).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٧]، ردّ (الغفور) إلى (غفر)، وهما متفقان اشتقاقاً ومعنى (مكرران).

ومن الملاحظ أنّ رد العجز على الصدر في جميع الآيات جاء بلفظين مكررين، إلا في آية ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ردّ العجز إلى المعنى الذي يشمله هذا العجز وهو الصدر، فقد ردّ (العزيز) إلى (التفرد بالوحدانية)، وهو يشملها ويقتضيها، وردّ (الحكيم) إلى (القسط) وهو رد على المعنى لكون يشملها ويقتضيها أيضاً. أما رد العجز على الصدر بلفظين متجانسين، فلم يأت عليه شيء في آيات الدراسة المختارة.

---

(١) القزويني، الإيضاح: ٢١٨، وانظر: أبا هلال، الصناعتين: ٤٢٩-٤٣٣، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٤٣٦.
(٢) آل عمران: ١٨.
(٣) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج١: ٤٠٨.
(٤) آل عمران: ٨.
(٥) ص: ٣٥.
(٦) المائدة: ١١٦.
(٧) القصص: ١٦.

المبحث الثالث
من مظاهر الإعجاز
اللغوي في آيات التوحيد

يُقصد بالإعجاز اللغوي الدقة في التعبير: بوضع كل كلمة، بل كــل حــرف موضــعه، ورصانة الصنعة وعلوها ، فالمتفحص والمقارن بين الآيات المختارة يرى أنّه –سبحانه– بهــر العرب باللغة المستخدمة في التعبير بكل مستوياتها الصرفية، والنحوية، والدلالية، والأســلوبية، مع أنها لغتهم التي يتكلمون ويكتبون بها. فتجد تارةً أنه استخدم لفظة أو تركيباً أو أسلوباً أو أداة معينة ولم يستخدم غيرها، نحو استخدامه لــ(إلا) لا (غير) أو العكــس، أو (رب) لا (إلــه) أو العكس،...، وغيرها كثير. وقد عبّر بهذه الطريقة لمناسبة سياق الآية وأسباب النزول، وموضع الآية بالنسبة للسورة.

إن طريقة القرآن في استخدام مستويات اللغة طريقة تُعجز كلّ إنسان، حتى لو وصل ما وصل في هذه اللغة العظيمة، نعم إن اللغة العربية لغة القرآن، وهي اللغــة التــي يكتــب بهــا الشعراء والنقاد والأدباء وعلماء اللغة، ولكن في التعبير القرآني من الإعجاز ما يجعلك تسلّم أن هذا الكلام لا يقدر عليه بشر، حتى لو كان بلسانهم الذي ينطقون به ولغتهم التي يكتبون بها، إنه كلام لا يُمكن أن يكون إلا لرب البشر؛ لأنه القادر على مثل هذا التعبير الفني الراقي.

اللغة هي اللغة ولكن التعبير بهذه اللغة هو المعجز في الآيات التي اختيرت، فتشاهد أنه زاد هنا، وحذف هناك، وانتقل من صيغة إلى صيغة أخرى، واســتخدم لفظــة ولــم يســتخدم غيرها،...، وهذا كله في مكانه، بل لا يمكن أن يدل على المراد إلا إذا كان هكذا.

ـ لمَ عبّر بـ(إله)،ولم يُعبّر بـ(رب)،والعكس في كثير من الآيات؟ وما فائدة ذلك؟

نقول: إنّ لفظ (إله) يُعبّر به عند إثبات تفرده سبحانه بالعبادة، وأنه الإله المستحق لهذه العبادة، ونفي الشريك والتعدد عنه، لهذا جاء لفظ (إله) في آيات الدراسة المختارة، في موضع الرد على المشركين، واليهود، والنصارى، لإبطال معتقدهم، وإثبات تفرده سبحانه بالألوهية الحقة. أمّا (رب) فيعبّر به في موضع إثبات القدرة له سبحانه. ولقد بيّنا ذلك بالتفصيل، وتم عرض الآيات التي تؤيد ما ذهبنا إليه في المبحث الدلالي[١].

ـ لمَ وسّط لفظ (إله) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٢]، ولم يستغنِ عنه ويقل: (وإلهكم واحد)، وهو أوجز؟ وما فائدته؟

أراد الله في هذه الآية، تقرير معنى الألوهية في المُخبَر عنه، وهو الله تعالى (إلهكم)، فجاء بما أصله خبرمجيء النعت؛ لإثبات اتصافه سبحانه بالأحدية في ذاته، ونفي ما يقوله النصارى واليهود من التثليث، فهو واحد في ذاته وصفاته، لهذا عبّر بما أصله وصف ثابت، وهو النعت، وعدل عن الخبر الذي يكون وصفاً حادثاً[٣].

ـ لمَ قال (من) ولم يقل (ما)، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ...﴾[٤]، مع أنّ المُخاطب الأصنام وهي غير عاقلة؟

السبب أنه عاملهم على معتقدهم، فالكافرون أجروا الأصنام مجرى من يعلم، فعبدوها وسمّوها آلهة[٥]. ومن المفسرين من ذهب إلى أنّ مجيئه بـ(من)، لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل، ومن لا يعقل، وقيل: لاعتقاد الكافرين أنّ لها تأثيراً وأفعالاً؛ فعوملت معاملة أولي العلم، وقيل: للمشاكلة بينه وبين من يخلق[٦].وأرجح الأسباب السابقة –على ما يبدو– هو السبب الثاني، وهو اعتقادهم أن لها تأثيراً أو أفعالاً؛ لأن هؤلاء الكافرين اعتقدوا بأنها تضر وتنفع،

---

[١] انظر: المبحث الدلالي، دلالة (الله، إله، رب) :١٩٦-٢٠٢.
[٢] البقرة: ١٦٣.
[٣] انظر: الزركشي، البرهان، ج٢: ٤٥٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢: ٧٤-٧٥.
[٤] النحل: ١٧.
[٥] انظر: الزركشي، البرهان، ج٤: ٦٧، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٢١٣.
[٦] انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٦: ٥١٦، والشوكاني، فتح القدير، ج٣: ٢١٣.

فحاولوا التقرب إليها، وهم بذلك عاملوها معاملة من يعقل، وما جاء في سيرة هؤلاء الكـــافرين من أنهم كانوا يُقدمون لها القرابين حتى ترضى عنهم، وتدفع الشر عنهم،يؤيد هذا السبب.

أمّا السبب الأول وهو اشتمال المعبود على من يعقل ومن لا يعقل، فهو منتفٍ لأن تفسير الآية بيّن أن المقصود بـــ(من لا يخلق) هم الأصنام، وهي غير عاقلة. أمّا السبب الأخير وهـــو المشاكلة فهو محتمل لكنه لفظي. لهذا يترجّح السبب الثاني للسبب الذي ذكرناه آنفاً.

ــ لمَ قال (إلا)، ولم يقل (غير)، في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١)، مع أنهم يقولون: إنّ (إلا) بمعنى (غير) في الدلالة على المغايرة؟

يبدو أنّ سبب ذلك أن (إلا) في سياق الآية تُعطي معاني أخرى، غيـــر المغـــايرة التـــي تفيدها (غير)، وهذه المعاني هي:

١. معنى (غير)، فيصبح التقدير: (آلهة موصوفة بأنها غير الله).
٢. معنى (بدل)، فيصبح التقدير: (آلهة موصوفة بأنها بدل الله).
٣. معنى (مكان)، فيصبح التقدير: (آلهة موصوفة بأنها مكان الله)(٢).

فالمعاني السابقة جميعها محتملة؛ لمجيئه بـــ(إلا)، إذ لو جاء بـــ(غيـــر) لاحتمـــل الأول فقط. فـــ(إلا) أوسع من (غير) في الدلالة على نفي التعدد المراد من الآية؛ لأن هـــذه الـــدلالات تحتملها (إلا)، ولا تحتملها (غير)، فدلّ ذلك على أن المعاني المفهومة بـــ(إلا) أوسع وأقوى في الدلالة على التوحيد من (غير).

وكأن السياق أراد أن يوجهنا إلى عدة معانٍ لتقرير الحقيقة المرادة، وهي نفـــي التعـــدد، وإقرار هذا النفي في كل نفس، والاعتقاد به. وهذا كله متأتٍ عن طريق التدبر والفهـــم لســـياق الآية. فـــ(إلا) تجعلنا نفكر بمعانٍ كثيرة لنفي التعدد، بخلاف (غيـــر) التـــي لا تـــدل إلا علـــى المغايرة.

(١) الأنبياء: ٢٢.
(٢) انظر: أبا حيان، البحر المحيط، ج٧: ٤١٨-٤٢٠، والزركشي، البرهان، ج٤: ٢٦٥-٢٦٧.

ــ لمَ قال: (إلا الله) في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(١)]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[(٢)]، قال: (إلا إله)؟

لأنه أراد أن ينفي التثليث، وهو قول المبطلين النصارى: (إنه ثالث ثلاثة)، ويحصر الألوهية الواحدة في إله واحد، أمّا من هو هذا الواحد فليس المقصود تعينه هنا، فالمهم إبطال العقيدة الفاسدة؛ لأنه لو بطلت هذه العقيدة، لثبتت الوحدانية، وتعيّن أن هذا الواحد هو الله تعالى؛ لأنه متفق على ألوهيته. أمّا في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فلم يتقدّم (وما من إله إلا الله) القول بالتثليث المتقدم في المائدة، فالمراد هنا حصر الألوهية في الله تعالى دون عيسى –عليه السلام–، ولم يجرِ فيه ذكر لتعدد الآلهة. فهو عند إبطال قول النصارى المزعوم (التثليث)، يركّز الاهتمام على إبطال هذا المعتقد، ويُفهم المراد ضمناً أن الإله هو الله. أمّا إذا أراد حصر الألوهية دون النظر إلى الواحدية، بسبب عدم تقدم قول مزعوم فإنه يصرّح بتعيين هذا الإله[(٣)].

ــ لمَ قال في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾[(٤)]: (يُبدىء) بالمضارع ولم يقل: (بدأ)؟ ولمَ جاء بالآية التي تليها: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾[(٥)] بالماضي ولم يأتِ بالمضارع؟

جيء بالمضارع "لإفادة تجدّد بدء الخلق كلما وجّه الناظر بصره في المخلوقات"[(٦)]. وجيء بالماضي في الآية التي تليها؛ لأنه جاء بلفظ (سيروا)، والسير في الأرض قد يُري الإنسان ما يدل على نشأة الحياة الأولى، وكيفية بدء الخليقة، كمشاهدة بدء حياة النبات والحيوان،

---

(١) آل عمران: ٦٢.
(٢) المائدة: ٧٣.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٦: ٢٨٣.
(٤) العنكبوت: ١٩.
(٥) العنكبوت: ٢٠.
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠: ٢٢٨.

والإنسان في كل مكان يسيرون فيه، فيتوجّه نظر هذا الإنسان للاستدلال على وجود الخالق القادر، من خلال هذه النشأة، التي تدل على نشأة الاخرة[١].

فلمّا أراد الله سبحانه أن يوجّه النظر إلى المخلوقات لإفادة تجدد الخلق الدال على قدرته ، وبيان سهولة ذلك عليه سبحانه في كل وقت، جاء بالمضارع المناسب لمعنى التجدد والاستمرار. ولمّا أراد أن يستدل ببدء الخلق على النشأة الآخرة جاء بالماضي.

وهناك سؤال آخر في الآيتين، وهو: **لمَ صرّح باسمه في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ ثم أضمر ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾، وفي الآية الثانية بالعكس أضمر في ﴿بَدَأَ﴾ ، ثم أبرزه ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ﴾؟**

وسبب ذلك حتى لا تخلو الجملتان من صريح اسمه، ولتفخيم النشأة الآخرة، وتعظيم أمرها، وتقرير وجودها، بوصف الكلام واقعاً في الإعادة، فكأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، وهو لا يعجزه الإبداء، فوجب أن لا يعجزه الإعادة، فأبرز اسمه مع الإعادة للدلالة على عظمها وللتنبيه إليها[٢].

وثمّة سؤال أخير في الآية،وهو: **لم قال: (يُبدىء الخلقَ) في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾**[٣]**، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾**[٤]**، قال: (يبدأ الخلق)؟**

كلا الفعلين من مادة واحدة، وهي (بدأ) من البداية، فهما من أصل واحد، ولكن الاختلاف يكمن في الصيغة، والمعنى. فمن حيث الصيغة (يبدأ) مضارع الثلاثي (بدأ)، و(يُبدىء) مضارع الرباعي (أبدأ). أمّا من حيث المعنى فـ(يبدأ) يؤتى به عندما يتحدث عن بداية خلق الكون، أما (يُبدىء) فيؤتى به في سياق الخلق المستأنف، وليس للحديث عن الخلق الأول[٥].

ومما يدل على أن الحديث مع الفعل (يُبدىء) عن الخلق المستأنف، وليس عن بداية خلق الكون هو وجود الفعل (يروا) في الآية نفسها ، والفعل (سيروا) في الآية التي تليها، وعدم

---

[١] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢٠: ٢٧٣٠.
[٢] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣: ٤٥٣، وأبا حيان ، البحر المحيط، ج٨: ٣٤٩.
[٣] العنكبوت: ١٩.
[٤] يونس: ٤.
[٥] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني (ط١)، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ٢٠٠٠م: ٢٨٢-٢٨٣.

وجودهما قبل أو بعد آية يونس. وهذان الفعلان فيهما دعوة للنظر والتفكر والتأمل فيما يرونه عن طريق السير في هذا الكون، فهو يطلب منهم الاستدلال بما هو مشاهد على بداية الخلق(١).

ـ لمَ اختار صفة (الرحمن) من بين جميع صفاته وأسمائه في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾(٢)؟ أي لمَ قال: ﴿أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾، ولم يقل: (أو ادعوا الرحيم، أو العزيز، ...)؟

والسبب هو الاكتفاء بهذا الاسم، والمقصود أي اسم من أسمائه، بدليل قوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾؛ ذلك أن المشركين كانوا ينكرون تسمية الله بالرحمن، ويستبعدون هذا الاسم من أسمائه، فأمرهم بأن يدعوه بأي اسم من أسمائه، وخص (الرحمن)، ليقول لهم : إنه اسم من أسمائي كأي اسم، فتخيّروا الدعاء بأيّها(٣).

فهو خصّ هذا الاسم رداً على الكافرين الذين أنكروا أنه اسم من أسمائه.

ـ لمَ قدّم (الحمد) في قوله تعالى : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾(٤) ، وأخرّه في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾(٥)؟

في الفاتحة جاء على الأصل. أمّا في الجاثية فقد جاء على تقدير جواب؛ أي لمّا ذكر ما أنعم وتفضّل وسخّر وأقام للمسلمين، وما توعّد للكافرين، واحتج عليهم، خاطبهم: لمن الحمد؟ ومن أهله؟ فجاء الجواب لقصر الحمد عليه –سبحانه–: (لله الحمد)؛ وهذا نظير: (لمن الملك اليوم)، الجواب: (لله الواحد القهار). فقد جاء على الأصل لأنه ليس جواباً عن سؤال، وجاء خلاف الأصل لأنه جواب عن سؤال، وذلك لدلالة توحيدية وهي قصر الحمد عليه سبحانه(٦).

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج٢٠: ٢٧٣٠.
(٢) الإسراء: ١١٠.
(٣) انظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،ج١٥: ٢٢٥٤،وابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٥: ٢٣٦.
(٤) الفاتحة: ٢.
(٥) الجاثية: ٣٦.
(٦) انظر: الزركشي، البرهان، ج٣: ٣٢٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٥: ٣٧٧.

ـ لمَ قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[(١)]، ولم يقل: (ربِّ يوم الدين)؟

لأن (مالك) يُشعر بإقامة العدل بين الناس، والموقف هو موقف حساب ومجازاة. أمّا لو قال: (ربّ) لطمع المُفسدون ؛ لأن هذا اللفظ مشعر بالرحمة والصفح، أو مشعر بالقدرة، ومن ثمّ الشعور بالانتقام والعذاب الشديد. فجاء بـ(مالك) لطمأنة هؤلاء المحاسبين بأن كلاً سوف يأخذ حقه بكل عدل، لأنه سبحانه هو العادل[(٢)].

ـ لمَ ردّ الله على اليهود بتثنيه (يد) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[(٣)]؟

لينقض كلام اليهود، ويدل على سعة فضله سبحانه، وإنعامه وعطائه، وليزيد المبالغة في الجود في مقابل شح اليهود وبخلهم[(٤)].

ـ لمَ دخلت الباء في خبر (إنّ) في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[(٥)]، ولم تدخل على خبرها في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾[(٦)]؟

هذه الباء تأتي لتوكيد النفي في خبر (ليس، وما، ولا، وكان المنفية). إلا أنها دخلت على خبر (إنّ)؛ لأن ما قبل الباء في حيّز النفي المفهوم من: (أولم يروا) و(ولم يعي)، فكأنه قال: أليس الله بقادر؟ فهي لتوكيد القدرة على إحياء الموتى، لا لرؤيتهم؛ لهذا جاء بـ(بلى) لتقرير هذا الإحياء. ومنهم من ذهب إلى أن سبب دخولها هو تباعد ما بين إنّ وخبرها[(٧)].

---

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١: ١٧٤.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٦: ٢٥٠.

(٥) الأحقاف: ٣٣.

(٦) الإسراء: ٩٩.

(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٣١٦، وأبا حيان ، البحر المحيط، ج٩: ٤٥١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦: ٦٤، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٧: ١٨٦.

وبناء على الكلام السابق؛ فإن عدم دخول الباء في ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ يكون لعدم مجيء إحياء الموتى بعد (قادر). فهو لم يُرد توكيد القدرة على إحياء الموتى، وإنما أراد الدعوة إلى النظر والتفكر في خلق السماوات والأرض، للاستدلال بها على قدرته سبحانه، على خلق مثلهم، وهذا لا يحتاج إلى توكيد؛ لأنه مشاهد.

فالله – سبحانه– لمّا أراد لفت الانتباه إلى شيء غير مُشاهد، وإلى طلب الإيمان والتصديق به، جاء بالباء لتوكيد هذا الخبر، وهو قدرته على الإحياء بعد الموت. وعندما أراد الدعوة إلى النظر والتفكر في خلقه للاستدلال بها على قدرته، لم يأت بالباء لتوكيد الخبر؛ لكونه مُشاهداً لا يحتاج إلى توكيد، وإنما يحتاج إلى تمعنٍ ورجاحة عقل للاستدلال بما هو مُشاهد على قدرته سبحانه، والله أعلم.

ـ لمَ جاء بالضمير (هو) في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(١)، ولم يقل: (قل الله أحد)؟

والسبب هو لمناسبة سبب النزول؛ فقد قيل في سبب نزول هذه السورة إنّ اليهود سألوا محمداً: صف لنا ربك، فنزلت. فعلى هذا يكون الضمير عائداً على (الرب)، ويصبح التقدير: ربي الله. والمجيء بالضمير أقوى في الدلالة التوحيدية؛ لكونها مصرحة بالتوحيد، رادة على المذاهب المخالفة للتوحيد. فلو قال: (الله أحد) لم تكن رداً على مخالفي التوحيد، فوجود الضمير نص في الدلالة على إبطال معتقد مخالفي التوحيد. أضف إلى ذلك أن الضمير العائد إلى (الرب) قد جمع بين توحيد الربوبية، وهو الضمير العائد إلى الرب، وتوحيد الألوهية وهو قوله (الله أحد)، فتصبح هذه الآية جامعة لنوعي التوحيد(٢). بل للنوع الثالث من التوحيد ، وهو توحيد الأسماء والصفات في الآيات التالية.

---

(١) الإخلاص: ١.
(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٨٢٢، وأبا حيان ، البحر المحيط، ج١٠: ٥٧١.

ـ لمَ قال: (مذموماً مخذولاً)، في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[2]، مع أنّ سياق الآيتين متشابه، من حيث بناء هذه النتيجة على المقدمة وهي النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد؟

في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ هذا وصفهم في الدنيا، وهو الذم والخذلان؛ لأنه أقبل على فعل قبيح منكر، وهو الشرك وعدم الاعتراف بالألوهية الحقة لله تعالى، فكانت النتيجة أن ذمّه الله وترك إعانته، ولم ينصره ليبقى في ضلاله. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ هذا وصفهم في الآخرة، بدليل: ﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ ﴾، وهو اللوم والدحور، والوصف باللوم يكون بعد فوات الأوان، فهو فعل ما فعل، وأشرك، فذُمّ عليه وقُبّح، إلا أنه لم يعتبر وبقي على شركه وعدم توحيده لله، فهو ألحق الضرر بنفسه، فوصفَ باللوم، وهو آخر الأمر، فاستحق بذلك الطرد والبعد إهانة له واستخفافاً به[3].

ففي الدنيا الذم والخذلان، وهو أول الأمر، وفي الآخرة اللوم والطرد من رحمته، والإهانة والاستخفاف، وهو آخر الأمر[4].

ـ لمَ جاء بـ(رباً) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[5]،وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[6] جاء بـ(إلهاً)؟

المشركون في ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يطلبون من الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن يعبد آلهتهم، فجاء الرد منه –صلى الله عليه وسلم– بنفي الربوبية، وليس الألوهية، وذلك أنه إذا عبد آلهتهم فسيعترف بأنها قادرة على الخلق، وعلى النفع والضر، بوصفها شريكة

---

(١) الإسراء: ٢٢.
(٢) الإسراء: ٣٩.
(٣) انظر: أبا حيان ، البحر المحيط، ج٧: ٥١-٥٢.
(٤) المصدر السابق، ج٧: ٥٢.
(٥) الأنعام: ١٦٤.
(٦) الأعراف: ١٤٠.

لله تعالى، وهذا الاعتراف يُناسب دلالة الرب؛ فجاء بإنكار الربوبية ليناسب الدلالة المفهومة منه؛ فهو في معرض نفي القدرة (دلالة الرب) عن غيره، وإثباتها له سبحانه، بوصفه القادر على كل شيء[١].

أمّا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فقد طلب موسى -عليه السلام- من قومه عدم الإشراك معه آلهة لا تضر ولا تنفع، فهو في معرض نفي الشريك عنه سبحانه، والدعوة إلى عبادة الإله الواحد الحق، المستحق للعبادة، وهو الله. وهذه الدلالة هي عين دلالة (إله). فناسب -هنا- المجيء به بوصفه الحامل للدلالة المرادة[٢].

ـ لمَ عبّر بالمصدر المؤول (ليعبدوا)، ولم يعبّر بالمصدر الصريح، في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[٣]، و﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤]، و﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٥]؟

السبب أنه لو قال: (للعبادة) لفات ما أفاده الفعل من تجدد العبادة؛ أي حدوثها بعد أن لم تكن، والخطاب في هذه الآيات للكفار سواء أكانوا نصارى أم يهوداً أم مشركين، فناسب الفعل الذي يحمل التجدد والاستمرار الدلالة المرادة منه، وهي التحول من الكفر إلى الإيمان، والاستمرار على هذه العبادة.

---

[١] انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٢: ٢٦٠-٢٦١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ق١: ٢٠٥-٢٠٦.
[٢] انظر: أبا حيان ، البحر المحيط، ج٥: ١٥٩.
[٣] التوبة: ٣١.
[٤] الذاريات: ٥٦.
[٥] البينة: ٥.

ـ لمَ جاء بضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[١]، ولم يأتِ به في ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[٢]، و﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[٣]، مع أنهم متشابهون إلا في وجود ضمير الفصل في آية الزخرف؟

جاء بضمير الفصل في آية الزخرف؛ لأن السياق يتطلب ذلك، حيث إنها قيلت في سياق عبادة عيسى –عليه السلام–، واتّخاذه إلهاً، واختلاف الكفار فيه، وقولهم في حقه إنه كان معبوداً، فهو مع آلهتنا في النار.فلمّا ذكروا آلهتهم وقالوا:(آلهتنا خير أم هو)، و عقدوا مقارنة بينه وبين آلهتهم، جاء الرد منه –عليه السلام–: (إن الله هو ربي وربكم)، لتأكيد الربوبية لله تعالى وقصرها عليه سبحانه، أمّا في آل عمران ومريم، فلم يذكر آلهتهم، ولا ما ورد في الزخرف، فلم يحتج إلى توكيد[٤].

ـ لمَ قدّم (لا إله إلا هو)، وأخّر (خالق كل شيء) في آية: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٥]،وفي ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٦] جاء بالعكس؟

لأن الكلام في الأنعام جاء بعد الآيات التي تتحدث عن التوحيد، ونفي الشرك والصاحبة والولد، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾[٧]، لهذا قدّم ما هو مناسب للمقام وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) على (خالق كل

---

[١] الزخرف: ٦٤.
[٢] آل عمران: ٦١.
[٣] مريم: ٣٦.
[٤] انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤: ٢٦٢–٢٦٥، والغرناطي، أبا جعفر، أحمد بن الزبير (٧٠٨هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق الدكتور سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ج١: ٣٠٨- ٣٠٩، والشوكاني، فتح القدير، ج٤: ٧٣٣–٧٣٥.
[٥] الأنعام: ١٠٢.
[٦] غافر: ٦٢.
[٧] الأنعام: ١٠٠-١٠١.

شيء). أما في غافر، فالكلام عن الخلق وتعداد النعم وتفضله سبحانه على خلقه ، قال تعـالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ...﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴾[١]، لهذا قدّم الخلق على التوحيد ليناسب مقام الخلق في الآيات التي قبلها، فهو يضع كل تعبير في موضعه حسب السياق[٢].

ـ لمَ عَدَل عن صيغة (عجيب)، وهي الأكثر شيوعاً إلى صيغة (عُجاب)، في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[٣]؟

وذلك لمناسبة السياق، فالمشركون متعجبون من دعوة الإسلام الأولى، وهي الدعوة إلى الوحدانية: (لا إله إلا الله)، ونفي الشرك. وقد ردعهم الإسلام على هذا الشرك. بل قد وصل العجب أكثر من ذلك، فأدى بهم إلى العناد والتكبر، فحملوا السيف، وأعلنوا الحرب ضد الإسلام وأهله، على أن يقروا بهذه الكلمة، فآثروا القتل على أن ينطقوا بهذه الكلمة. فعبّر القرآن بما يناسب هذا العجب وزيادته، فعدل من (عجيب) إلى (عجاب)؛ لأن (فعالاً) عند العرب أبلغ من (فعيل)، فناسبت هذه الصيغة درجة العجب المبالغ فيها التي أبدوها مقابل دعوة الوحدانية المعروضة عليهم[٤].

---

[١] غافر: ٥٧-٦١.
[٢] انظر: الإسكافي، الخطيب (٤٢٠هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل،ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٣م: ١٢٧ ، والكرماني،محمد بن حمزة (٥٠٥هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق:د.السيد الجميلي،مركز الكتاب للنشر ، القاهرة: ٥٣،والغرناطي، ملاك التأويل، ج١: ٣٤١، والسامرائي، التعبير القرآني: ٦٣.
[٣] ص: ٥.
[٤] السامرائي، التعبير القرآني: ٣٧.

ـ لمَ نفى الرسول –صلى الله عليه وسلم- عن نفسه عبادة الأصنام بالصيغتين الفعلية والاسمية: (لا أعبد ما تعبدون)، و(ولا أنا عابد ما عبدتم)، وبالفعلين: المضارع والماضي (تعبدون) و(عبدتم). ونفى عن الكافرين العبادة الحقة بصيغة واحدة مرتين، وهي الصيغة الاسمية: (ولا أنتم عابدون ما أعبد)؟

أراد أن ينفي عن نفسه عبادة الأصنام في جميع الأزمنة، فجاء بالفعلية الدالة على التجدد والحدوث، والاسمية الدالة على الثبات، ليعلن براءته من معبوداتهم في كل حال. واستخدم الفعلين الماضي والمضارع، ليستغرق جميع الأزمنة، أي أنه غير عابد لهذه الأصنام لا في الماضي ولا في الحاضر، ولن يعبدها في المستقبل. في حين نفى عبادتهم بالجملة الاسمية فقط الدالة على الثبات، ليُشنّع كفرهم، ويخبر بأنهم ثابتون على هذه الحالة؛ لأن الله حتّم عليهم هذا الكفر، فلن يبرحوه أبداً. وبهذا دلّ السياق على أن حاله –صلى الله عليه وسلم- أكمل من حالهم، والنفي عنه أدوم وأبقى من النفي عنهم. أضف إلى ذلك أن النفي عنهم بالصورة الاسمية، ناسب خطابهم في بداية الصورة بالجملة الاسمية: (قل يا أيها الكافرون)، فهو ينفي عنهم العبادة على وجه الثبات، كما يُثبت أنهم موصوفون بالكفر أيضاً على وجه الثبات[١].

ـ لمَ جمع بين صيغتين من مادة واحدة، وهما: (الرحمن)، و(الرحيم) في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٢]، و﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣]؟

لأنه أراد أن يجمع لنفسه –سبحانه- بين صيغة دالة على الحدوث والتجدد، وهي صيغة (فعلان)، وصيغة دالة على الثبوت، وهي (فعيل)، وبهذا تكون رحمته سبحانه مستمرة متجددة لا تنقطع، وفي هذا رد على كل من يتوهم أن رحمته سبحانه تُعرض ثم تنقطع، أو يأتي عليه وقت لا يرحم فيه، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه[٤].

---

(١) انظر: السامرائي، التعبير القرآني:٢٩-٣٠.
(٢) الفاتحة: ٣.
(٣) البقرة: ١٦٣.
(٤) انظر: السامرائي، معاني الأبنية: ٩١-٩٢، والتعبير القرآني: ٣٩.

ـ لمَ كرّر لفظ الشهادة (لا إله إلا هو) في قولـــه تعـــالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]؟

"لأن الأول جرى مجرى الشهادة،وأعاده ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد بـــه الشهود"[2].

ـ لمَ قال في قوله تعـــالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[3]، ثـــم أعادها في آخر السورة بعينها من غير زيادة ولا نقصان، في قوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[4]؟

"هذا ليس بتكرار؛ فإن الأول من كلامهم في الدنيا حين جادلوا الرسول وأنكروا البعـــث، والثاني من كلام الله تعالى حين جازاهم على كفرهم، وقولهم وإنكارهم البعث"[5].

ـ لمَ نكّر (أحد) ، وعرّف (الصمد) في قولـــه تعـــالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[6]؟

لأن المراد حصر الألوهية به سبحانه، وهذا الحصر فُهم من الكلمتين الـــواقعتين قبـــل (أحد)، وهما: المبتدأ والخبر (هو الله). ولمّا أدّى المطلوب وهو الدلالة على الحصر بـــ(هو الله) استغنى عن تعريف أحد، وأبقاها على أصلها. وهناك حكمة أخرى وهـــي للتعظـــيم والتفخـــيم

---

(١) آل عمران: ١٨.
(٢) الكرماني، البرهان: ٣٣.
(٣) الإسراء: ٤٩.
(٤) الإسراء: ٩٨.
(٥) الكرماني، البرهان: ١٠٥.
(٦) الإخلاص: ١–٢.

والتكريم، وللإشارة إلى عدم الإحاطة به سبحانه. أما (الصمد) فجاء معرفة؛ لأنه هو الخبر الذي يحقق إفادة الحصر مع المبتدأ المعرفة بوصفهما معرفتين، وهي حصر الصمدية به سبحانه[١].

فالمراد الحصر عن طريق تعريف الجزئين: (المبتدأ والخبر) وهذا حاصل قبل (أحـــد)، لهذا جاءت نكرة. أمّا (الله الصمد) فالحصر متأتٍ من تعريف (الصمد)، ولو جاء نكرة لانتفـــى الحصر المتأتي من هذا التعريف.

---

[١] انظر: الخالدي، إعجاز القرآن: ٢٣٦.

الخاتمة

خُصّصت هذه الدراسة المعنونة بـ(آيات التوحيد في القرآن الكريم: دراسة لغويّة بيانيّة)، لبحث مستويات اللغة في آيات التوحيد، وكيف أسهمت في إعطاء دلالة توحيدية، إمّا من خلال الأسلوب التعبيري نفسه، وإمّا من خلال دلالة بعض الألفاظ، والبُنى الصرفية والمباحث النحوية، إضافةً إلى مستوى بلاغي عُرِض فيه للحقيقة والمجاز في آيات التوحيد وبعض الفنون البلاغية، ومظاهر الإعجاز اللغوي في آيات التوحيد . وقد أبرزت هذه الدراسة النتائج والتوصيات الآتية:

١. إنّ أسلوب الاستفهام هو الأنجع في حوار المشركين، والأقوى في محاججتهم؛ لأنّه يُشرك المُخاطَب في هذا الحوار، ويُحقق المطلب الذي بُعث من أجله (وهو التوحيد)، عن طريق إقامة الحُجّة عليهم بإشراكهم في هذا الحوار.

٢. غلب الاستفهام بالهمزة على أدوات الاستفهام ؛ لأنّ الهمزة خاصة بمعنى الإنكار، والمطلوب إنكار معتَقدهم المُخالف للتوحيد فناسب ذلك الهمزة التي تؤدي هذا المعنى، كما أنّ الهمزة تكون في إثبات المُستَفهم عنه.

٣. لا يمكن حصر زمن فعل الأمر بالاستقبال _ كما يقول النحاة_ ،فقد يكون لزمن آخر ،وهذا ما دلت عليه آيات العينة ، فزمن فعل الأمر في قوله تعالى :﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٩] ،هو الاستمرار على ما هو حاصل، وليس الاستقبال. لهذا نقول إنّ الاستقبال في زمن فعل الأمر هو الغالب وليس دائماً.

٤. حقق أسلوب النهي في آيات الدراسة فائدتين : الفائدة الأولى وهي فائدة التعبير الشرطي بوصف النهي يحتاج إلى جواب كالشرط، والفائدة الثانية هي الفائدة المستفادة من النهي وهي طلب الترك، وهذه الفائدة لا تتحقق في الشرط، فالخطاب التوحيدي استخدم النهي ولم يستخدم الشرط في الآيات؛ لأنّه أراد تحقيق الفائدتين مجتمعتين، وهذا ناسب المعنى التوحيدي المستفاد من الآيات، لأنّ جميع الآيات جاءت لإبطال تعدّد الآلهة، فهو أراد دعوتهم لترك القول بتعدّد الآلهة وإثبات الألوهية الحقة له (دلالة النهي وهي الترك)، إضافةً لتخويف من يقول بتعدّد الآلهة وذلك عن طريق الجزاء المترتب على قولهم (دلالة الشرط).

٥. حققت أداة الشرط (لو) دلالة توحيدية، من خلال اختصاصها بالدخول على ما هو مستحيل وقوعه (باطل)، وهو في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء: ٢٢] : وجود

آلهة غير الله(الشرط) وهذا مستحيل وقوعه، ويترتب على هذا المستحيل مستحيل آخر باطل وهو عدم وقوع الجواب، وهو فساد السماوات والأرض. وكون الشرط والجواب باطلين لا يمنع من أن تكون القضية الشرطية حقة، وهذا ما حققته (لو)، وهو امتناع الشرط والجواب. أمّا (مَن) و(إنْ) و(الذي) فقد حققت الدلالة التوحيدية بالاستنتاج القياسي البرهاني.

٦. أُتبع النداء الذي بجملة خبرية ، يكون الطلب في الآية فيه مقدراً، و الجملة الخبرية فيه ما هي إلا تمهيد لقبول الطلب . وهذا التقدير يعتمد على فهم السياق .وقد بينا ذلك مفصلاً .

٧. جاء التوكيد بجميع صوره في آيات الدراسة دعائمة ؛ إمّا للأسلوب التعبيري التوحيدي، وإمّا للفظ التوحيدي، مما يُساعد في تقوية الدلالة التوحيدية في الآية .

٨. حقّق تمييز النسبة في آيات الدراسة دلالة توحيدية من خلال العدول عن الأصل (التحويل من فاعل أو مفعول أو مبتدأ) إلى التمييز في بعضها، وفي بعضها الآخر من دلالة التمييز في سياقه وما أضافه على الجملة.

٩. كان العدول عن الأصل إلى التمييز لعدّة أغراض في آيات الدراسة هي: المبالغة والشمول، والتشويق؛ والمقصود بغرض المبالغة والشمول: أنّ التركيب بالتمييز يصبح ذا دلالة ثنائية وهي الدلالة على المبالغة والشمول (من غير التمييز)، ثمّ الدلالة على المبالغة والشمول والتخصيص (مع التمييز). أمّا التشويق فهو ما يُثيره التركيب في نفس متلقي الخطاب الناتج عن التفصيل بعد الإجمال والإيضاح بعد الإبهام .

١٠. أعطى التمييز بعد أفعُل التفضيل دلالتين: دلالة عامة وهي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء: ٨٧] : صدقه في كل شيء. ودلالة خاصة: وهي صدقه في الحديث الذي تتشوّق النفس إلى معرفته. وهذا ينطبق على الآيات جميعها التي جاء فيها التمييز بعد أفعل التفضيل.

١١. أعطى معنى الملك والاستحقاق والاختصاص، دلالة توحيدية من خلال الدلالة على استحقاقه واختصاصه –سبحانه– بالربوبية، نحو: (ربي، ربنا، رب السماوات). أو الدلالة على استحقاقه واختصاصه بالتسبيح والتنزيه ، نحو : (سبحانه،سبحانك،سبحان الله). وجاء معنى الملك والاستحقاق والاختصاص الأكثر في إضافات الدراسة ، وبلغ ثماني وخمسين إضافة.

١٢. رُجحّت الإضافة في بعض الإضافات المُختلف في تقدير حرف الجر فيها ، أن تكون بيانية (معنى من) وذلك في عشر إضافات؛ لأن معنى (من) أقوى في الدلالة التوحيدية من (اللام) التي ذهب إليها النحاة .

١٣. استخدم الخطاب التوحيدي المصدر المؤوّل في آيات ولم يستخدم المصدر الصريح؛ لأنّه أراد الدلالة الزمنية المستفادة من المصدر المؤوّل، التي لا تُؤدّى بالمصدر الصريح، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠]، جاء بالمصدر المؤول للدلالة على إثبات الخلق له سبحانه منذ القدم (دلالة الفعل الماضي)، فهو استفاد من دلالة الفعل الماضي للتعبير عن المعنى المراد.وإنّ الخطاب التوحيدي عبّر بالمصدر المؤوّل بوصفه دالاً على الحدث دون احتمال آخر، بخلاف المصدر الصريح الذي يحمل مع الحدث صفة أو هيئة .

١٤. يعبّر القرآن بلفظ (إله) في موضع إبطال معتقد المشركين واليهود والنصارى، وإثبات التفرد له سبحانه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ،أما لفظ (ربّ) فيُعبّر به في موضع إثبات القدرة له –سبحانه–، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء: ١٠٢].

١٥. استخدم الخطاب التوحيدي أساليب تعبيرية كثيرة للتأثير في نفس المُخاطَب ، فنتج عن ذلك عدة معانٍ، أهمها: الخوف والرهبة في نفسية غير الموحد، والراحة والطمأنينة في نفسية الموحّد، بالإضافة إلى معانٍ أخرى ، هي : التعظيم، والتكبر والعناد، والترغيب والترهيب.

١٦. استخدم الخطاب التوحيدي مشاهد تصورية للتأثير في نفسية المخاطب، فرسم مشهد قدرته – سبحانه – لإثارة الخوف والرهبة في نفس غير الموحّد، كما رسم مشهد العناية والاهتمام لإثارة الراحة والطمأنينة في نفس الموحّد .

١٧. عرضت الدراسة آراء المفسرين واللغويين في حقيقة اللفظ ومجازه وكان الهدف من هذا العرض ليس حقيقة هذا اللفظ ومجازه، وإنما الوصول إلى المعنى المركزي المراد من الآية، وهو ما أطلقنا عليه الكناية وفق مفهوم الزمخشري، وهذه الكناية لا تنظر إلى حقيقة اللفظ ومجازه ، ولكن إلى المعنى المراد التعبير عنه في الآية (المعنى المقصود من الآية)، وقد رأينا أنّ هذا أقوى وأقرب إلى الدلالة التوحيدية.

أما أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث فهي :

١. دراسة بقية آيات التوحيد؛ ذلك أنّ آيات التوحيد في القرآن كثيرة وبحاجة إلى عدة دراسات، وبخاصة الآيات التي احتوت صراحة على لفظ (الله)، والآيات التوحيدية التي جاءت لمحاججة المشركين وإثبات توحده سبحانه.

٢. الاستعانة بعلم الساميات؛ للكشف عن دلالة بعض الألفاظ التوحيدية ، وعقد مقارنـــات بـــين دلالتها في العربية ودلالته في تلك اللغات نحو: لفظ (رب، ورحمن، وقيوم، ...) وذلك للإجابـــة عن عدة أسئلة وهي: هل وردت هذه الألفاظ في اللغات السامية؟ وما دلالتهـــا؟ وهـــل تتشـــابه بدلالتها مع الأصل في العربية؟ وهل تعدّدت دلالتها في هذه اللغات؟ والإجابة عن هذه الأســـئلة بحاجة إلى متخصص ذي دراية متعمقة في هذه اللغات وكيفية عقد المقارنات بينها.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١ــ الأزهري ، خالد بن عبد الله (ت٩٠٥ هــ) ، **شرح التصريح على التوضــيح** ، ط١ ،٣ ج، دار الكتب العلمية ، بيروت٢٠٠٠م.

٢ــ الأستراباذي ، رضي الدين ، محمد بن الحسن(ت٦٨٦ هــ) ،**شرح الرضى على كافية ابن الحاجب** ، ط٧،١ج في ٤مج، (تحقيق عبد العال سالم مكرم)، عالم الكتب ، القاهرة ٢٠٠٠م.

٣ــ الإسكافي، الخطيب (ت ٤٢٠هــ)، **درة التنزيل وغرة التأويل** ، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٣م .

٤ــ الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت ٥٠٢هــ)، **معجــم مفــردات ألفــاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت .

٥ــ الألوسي ، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هــ) ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظــيم والسبع المثاني** ، ٣٠ج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٨٥ م) .

٦ــ الأندلسي ، أبو حيان ، أبو عبدالله محمد بن يوسف (ت ٧٥٤ هــ) ، **البحر المحــيط فــي التفسير** ،١٠ج، (مراجعة : صدقي محمد جميل) ، دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٥ م .

٧ــ البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦ هــ) ، **صحيح البخــاري** ، دار المنار، القاهرة ٢٠٠١ م .

٨ــ بوخلخال ،عبدالله ،**التعبير الزمني عند النحاة العــرب** ، ديــوان المطبوعــات الجامعيــة ، الجزائر .

٩ــ البيضاوي ، أبوسعيد ، ناصر الدين ، عبدالله بن عمر بن محمد بن علــي الشــيرازي،(ت ٧٩١ هــ) ، **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، ٥ج ، (تحقيق عبدالقادر عرفات العشا حسونة) ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦ م .

١٠ــ الجرجاني ، عبدالقاهر، (ت ٤٧١هــ) ، **دلائل الإعجاز** ، (تحقيق محمد رشيد رضا،نسخة محمد عبده ومحمد الشنقيطي) ، مكتبة العلم بجدة ١٩٩٠ م .

١١ــ الجرجاني ،علي بن محمد (ت ٨١٦هــ) ،**التعريفات** ، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٦٩م .

١٢ــ ابن جني، أبو عثمان، (ت ٣٩٢هــ)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م .

١٣ــ الجوهري ، إسماعيل بن حمّاد(ت٣٩٣ هــ) ، **تاج اللغة وصحاح العربيــة (الصــحاح)** ، ط٣ ،٦ج ،(تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار)، دار العلم للملايين .

١٤ــ الحملاوي، أحمد(ت١٩٣٢م)، **شذا العرف في فن الصرف**، ط١٢،دار الأرقم ١٩٥٧م .

١٥ــ الخالدي ، صلاح عبد الفتاح (٢٠٠٠ م) . **القبسات السنيّة من شرح العقيــدة الطحاويــة** ط١، دار القلم ، بيروت .

١٦ــ الخالدي، صلاح عبد الفتاح(٢٠٠٠م)، **إعجاز القرآن البياني ودلائــل مصــدره الربــاني** ،ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن .

١٧ــ الخالدي، كريم حسين ناصح(٢٠٠٧م)، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية،** ط١، دار صفاء، عمان .

١٨ــ خليفة، محمد(١٩٩٤م)، **الاستشراق والقرآن العظيم**، ط١، ترجمة: مروان عبد الصــبور شاهين، مراجعة: عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، .

١٩ــ الدرويش ، محيي الدين (٢٠٠٣ م) ، **إعراب القرآن الكريم وبيانه** ، ط٩ ، ٩ج ، دار ابن كثير واليمامة ، دمشق .

٢٠ــ الرازي ، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هــ)، **التفسير الكبيرومفــاتيح الغيب** ، ١٧ج ، (تحقيق خليل محيي الدين الميس)، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٥ م .

٢١ــ الرازي، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر ، (ت ٦٠٦هــ)، **شرح أسماء الله الحسنى،** (مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد)، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٦ .

٢٢ــ الرشيد ، عبد العزيز بن ناصر ، **التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية** ،ط٣ ، الــدار الإسلامية ، المنصورة .

٢٣ــ الرماني ، أبو الحسن ، علي بن عيسى (ت ٣٨٤ هــ) ، **معاني الحروف** ، ط٣ ، (تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي)، دار الشروق ، جدة ، ١٩٨٤ م .

٢٤ــ الزجاجي، أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق (٣٤٠ هـــــ) ، **إشــتقاق أســماء الله** ، (تحقيق الدكتور عيد الحسين المبارك)، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦م .

٢٥ــ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤ هــ) ،**البرهان في علوم القــرآن** ، ٤ج ،(تحقيق مصطفى عبد القادر عطا) ، دار الفكر ، بيروت ٢٠٠١م .

٢٦ــ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر(ت ٥٣٨هـــــ) ،**أســاس البلاغــة** ، ط١ ، دار النفائس ١٩٩٢م .

٢٧ــ الزمخشري،أبو القاسم ،محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هــ)، **الكشاف عــن حقــائق التنزيــل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، (تحقيق عبد الرزاق المهــدي) ، دار إحيــاء التــراث العربي، بيروت ١٩٩٧م .

٢٨ــ السامرائي ، فاضل صالح (٢٠٠٣ م) ، **معاني النحو** ، ط٢ ، ٤ج ، دار الفكر ، عمان.

٢٩ــ السامرائي، فاضل صالح(١٩٨٦-١٩٨٧م)، **التعبير القرآني**، منشورات جامعة بغداد .

٣٠ــ السامرائي، فاضل صالح (١٩٨١م) ، **معاني الأبنية** ، ط١، نشر جامعة بغداد.

٣١ــ السعافين، إبراهيم، وآخرون، **أساليب التعبير الأدبي** .

٣٢ــ سيبويه ، أبو البشر ، عمرو بن عثمان بن قنبــر(ت ١٨٠هــــ)، **الكتــاب** ، ط١ ، ٤ج ، (تحقيق عبدالسلام هارون) ، دار الجيل ،بيروت .

٣٣ــ سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ط١١،٣٠ ج في ٦مج ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٥م .

٣٤ــ السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هــ) ، **الإتقــان فــي علــوم القرآن** ، ٤ج،(تحقيق طه عبدالرؤوف سعد)، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

٣٥ــ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين بن عبدالرحمن (ت ٩١١ هــ) ،**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، ط١ ،٤ج، (تحقيق أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٦ــ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،**منع جواز المجاز في المنــزل للتعبــد والإعجاز**، مطابع الرياض١٣٧٦ هــ .

٣٧ــ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هــ) ، **فتح القدير الجــامع بــين فنــيّ الرواية والدراية في علم التفسير** ، ط٢ ، ٥ج ، دار الوفاء المنصورة ، ودار الخاني الريــاض ١٩٩٧ م .

٣٨ــ الصبان ،أبو العرفان محمد بن علي(ت١٢٠٦هــ) **حاشية الصبان على شرح الأشــموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني** ،٤ج، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة .

٣٩ــ ابن عاشور،محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**،٣٠ج فــي١٢مــج، دار ســحنون للنشــر والتوزيع، تونس١٩٩٧م .

٤٠ــ عبد الوهاب ، سليمان بن عبدالله بن محمد (ت١٢٣٣هــ) ، **تيسير العزيز الحميــد فــي شرح كتاب التوحيد** ،ط٣ ، الدار البيضاء ١٩٩١م .

٤١ــ عبد المطلب ، محمد(ت١٩٣١م) ، **البلاغة:العربية قراءة أخــرى**،مكتبــة لبنــان،بيروت ،والشركة المصرية ،القاهرة ١٩٧٧م .

٤٢ــ عتيق، عبد العزيز، **علم البيان**، دار النهضة، بيروت ١٩٧٤م .

٤٣ــ العثيمين ، محمد بن صالح (٢٠٠٤ م) ، **القول المفيد على كتاب التوحيد** ، ط١ ،٢ج ، (تحقيق الشحات أحمد الطحان) ، دار المنار، القاهرة

٤٤ــ ابن أبي العز ، علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ) ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، ٢ ج، (تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرناؤوط) ، مؤسسة الرسالة بيروت .

٤٥ــ العسكري،أبو هلال ، الحسن بن عبدالله بن سهل(ت٣٩٥هـ) ،**الصناعتين**،ط١،(تحقيق مفيد قميحة)، دار الكتب العلمية،بيروت١٩٨١م .

٤٦ــ ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله العقيلي المصري الهمذاني (ت ٧٦٩ هـ) ، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، ٤ج ، (تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي)، مؤسسة الصادق ، طهران .

٤٧ــ العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين (٦١٦ هـ)، **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، (مراجعة: نجيب الماجدي)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ٢٠٠٢ م .

٤٨ــ عمايرة، إسماعيل أحمد(٢٠٠٣م)، **دراسات لغوية مقارنة**، ط١، دار وائل للنشر، عمان- الأردن .

٤٩ــ عمايرة ، إسماعيل، والسيد ، عبد الحميد (١٩٨٨م)،**معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم** .ط ٢، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٥٠ــ عوض، إبراهيم(٢٠٠٣م)، **المستشرقون والقرآن: دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه**، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة .

٥١ــ الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن الزبير (٧٠٨هـ)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (تحقيق الدكتور سعيد الفلاح)،دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت١٩٨٣م .

٥٢ــ الغلاييني ، مصطفى (ت ١٩٤٤م)، **جامع الدروس العربية** ، ط٣٧ ،٣ج في ١مج، (مراجعة وتنقيح د.محمد أسعد النادري)، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت .

٥٣ــ ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، **معجم مقاييس اللغة** ، ط ١ ، (اعتنى به د. محمد عوض مرعب ، وفاطمة محمد أصلان)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت٢٠٠١ م .

٥٤ــ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (١٧٥هــ) ، **العــين** ،٧ج ،(تحقيــق مهــدي المخزومــي وإبراهيم السامرائي)، دار ومكتبة الهلال

٥٥ــ الفيروز آبادي،مجد الدين ،محمد بن يعقوب (ت٨١٧هــ)،**القاموس المحيط**، ط٦،(تحقيــق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف محمد نعيم العرقسوسي)،مؤسســة الرســالة ، بيروت١٩٩٨م .

٥٦ــ الفيروز آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هــ) ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**،٦ج ،(تحقيق محمد النجار وعبد العليم الطحاوي)، المكتبة العلمية ، بيروت .

٥٧ــ القرطبي ، أبو عبدالله ،محمد بن أحمد (ت٦٧١هــ) ، **الجامع لأحكــام القــرآن** ،٢١ج ، (تحقيق أحمد عبد المنعم البردوني) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م .

٥٨ــ القزويني ، جلال الدين ، محمد بن عبد الرحمن(ت٧٣٩هــ) ، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، ط١، (تحقق عماد بسيوني زغلول) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٩٩٥م .

٥٩ــ القنوجي ،محمد صديق حسن(ت١٢٥٣هــ)،**الــدين الخــالص** ، ط١ ، ٤ج ، دار الكتــب العلمية ، بيروت ١٩٩٥م .

٦٠ــ ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥٢ هـــــ)، **بــدائع الفوائد**، ٤ج في ٢ مج، إدارة المطبعة المنيرية، مصر .

٦١ــ ابن كثير ، أبو الفداء ، عمادالدين إسماعيل(ت ٧٧٤ هــ)، **تفسير القرآن العظيم** ، ٤ج ، دار المعرفة ، بيروت١٩٦٩ م .

٦٢ــ الكرماني،محمد بن حمزة (٥٠٥هــ)، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيــه مــن الحجة والبيان**، (تحقيق د.السيد الجميلي)، مركز الكتاب للنشر،القاهرة.

٦٣ــ المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هــ) ، المقتضب ، ٤ج ، (تحقيق محمــد عبد الخالق عضيمة) ، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٦ هــ.

٦٤ــ المنصوري، علي جابر، والخفاجي، علاء هاشم(٢٠٠٢)، **التطبيــق الصــرفي** ، الــدار العلمية، ودار الثقافة– عمان .

٦٥ــ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـــــ) ، **لسان العرب** ، ط١ ، ١٨ج، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ٢٠٠٠ م .

٦٦ــ الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم ، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، ط١ ، (تحقيق محمد التوتنجي)، مؤسسة المعارف ، بيروت ١٩٩٩ م .

٦٧ــ ابن هشام ، أبومحمد ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله (ت٧٦١هــــ)، **مغنـــي اللبيب عن كتب الأعاريب** ،٢ج،(تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد)،مطبعة المدني،القاهرة .

٦٨ــ ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، ط١ ،٣ج ، (تحقيق حسن حمــد ، إشــراف إميل بديع يعقوب)، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٩٨م

٦٩ــ ابن يعيش ، موفق الدين بن علي(٦٤٣ هــ) ، **شرح المفصل** ، ٩ج ، (تحقيق أحمد السيد أحمد ، مراجعة إسماعيل عبد الجواد عبد الغني) ،المكتبة التوفيقية ، القاهرة.

VERSES OF MONOTHEISM (TAWHID) IN HOLLY QURA'AN: LINGUISTIC AND RHETORICAL STUDY

By

Mohammad Farouq Abu-Halaweh

Supervisor

Dr. Esmaeel Ahmed Amayrih, Prof.

Abstract

This study deals with expressive styles in the verses of Monotheism (Tawhid) , by extracting and analyzing these styles in Holly Qura'an, then to study their characteristics, and clarifying the most common styles , in addition to some of the morphological topics related to monotheistic significance like infinitives, derivatives, tenses, and some of the grammatical topics like transitive verb with two objects , specification and syntax of some of the monotheistic verses, as well as studying the differences in their syntax . This study also addressed the significance of some monotheistic words by highlighting on their importance in strengthening the monotheistic significance within the context of the verses of the study, then viewing the psychological impact resulted by the monotheistic speech on the psychology of the addressee. However, the study then concluded with the rhetorical chapter focusing on the most important rhetorical arts in the monotheistic verses, and some aspects of the linguistic rhetorical Inimitability (Ijaz) in the studied verses.

The study concluded with the number of results, represented in the diversity of expressive style during the presentation of monotheistic expressive speech , but the Interrogative style is the most effective and powerful in the presentation and contribution of some words to strengthen the monotheistic speech , either through the focusing on expressive style by one of intensifier like a adjective, apposition and conjunction , ..., or by using some monotheistic words, which can not be replaced with the Other words, like the (Lord) other than (Allah) and vice versa

In addition to monotheistic speech , most of the expressive styles was used to affect in addressee's psychology , resulting several psychological meanings, as the most important is fear and dread to a polytheist , atheist Christian and Jewish, and rest and peace of mind for monotheistic believer . The names and attributes of Allah do not include Figurative meaning. The rhetorical arts are few, despite the large number of selected verses of the study. and the linguistic inimitability appeared in all levels of language; for example , in one verse was grammatically, in another verse was inflectionally , and a third is lexically , all of which were strictly in place, and can not be in other styles .